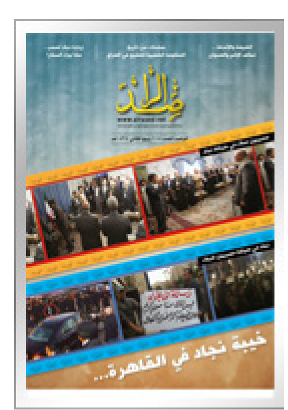


الشيعة والأقباط ..
تحالف الإثم والعدوان
صفحات منْ تاريخ
المقاومة الشعبية للتشيّع في العراق
زيارة نجاد لمصر..
ماذا وراء الستار؟
الراصد
www.alrased.net
سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة
الراصد العدد ١١٨ ربيع الثاني ١٤٣٤هـ
مصريون عملاء في ضيافة نجاد
نجاد في ضيافة مصريون شرفاء
رسالة الى نجاد
ليس لك منا من كرام
الضيف إلا ضرب النعال
خيبة نجاد في القاهرة...





رسالة دورية تصدر بداية كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١١٨)
ربيع الثاني - ١٤٣٤ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

المحتويات

فاتحة القول

فرق ومذاهب

سطور من الذاكرة

دراســـــات

كتاب الشهر

قالوا

جولة الصحافة

خيبة نجاد في القاهرة

شهدت زيارة الرئيس الإيراني أحمدي نجاد للقاهرة للمشاركة في اجتماع قمة منظمة المؤتمر الإسلامي الكثير من الجدل والنقاش، ولكن الجميع متفق على أن هذه الزيارة ليست زيارة بريئة أو زيارة عادية، بل لها أبعاد كثيرة جداً وعلى أصعدة متعددة منها:

❖ الصعيد الشخصي لنجاد، الذي سيرحل قريباً عن السلطة في طهران ويريد أن يختم مسيرته بإنجاز يسجل له، خاصة أنه الآن يخوض صراعا عنيفا مع المرشد الأعلى علي خامنئي والجيش والعديد من المحافظين الذين يتهمونه بالانحراف ومعاداة الإسلام!!

❖ الصعيد الإيراني الخاص بتحدي العقوبات والحصار الدولي، ولذلك تحرص إيران على المشاركة في أي اجتماع دولي أو إقليمي.

❖ الصعيد الإيراني الساعي لاختراق مناطق جديدة لتوسيع نفوذه وعلاقاته، ولذلك حرص نجاد على اللقاء بالجماعات السياسية الإسلامية والليبرالية الحاكمة والمعارضة.

❖ الصعيد الشيعي الهادف للتمدد والهيمنة في المنطقة، ولذلك حرص نجاد على زيارة الأزهر ومسجد الحسين والالتقاء بالمتشيعين في مصر.

وقد اعترض كثير من الشخصيات والهيئات على أصل الزيارة، ولكن كونها زيارة تخص مؤتمرا عاما ولا يخص مصر، كما يحدث من زيارة نجاد لأمريكا لحضور اجتماعات الأمم المتحدة، أو زياراته لكثير من الدول العربية والخليجية لحضور مؤتمرات رسمية، وأيضاً فإن دولنا تستقبل من قادة الأعداء الكثير كالإسرائيليين والأمريكان والروس والصين وغيرهم، فمن هذا الباب فقد تفهم الكثير من الناس هذه الزيارة ولكن اعترضوا على تساهل القيادة السياسية مع برنامج نجاد في القاهرة، والذي أظهر وقاحة نجاد وإيران من خلفه بطلب مقابلة رموز المعارضة وزيارة ميدان التحرير ومسجد الحسين والأزهر.

ولكن هناك إيجابيتان جديدتان في هذه الزيارة وهما اللتان يجب أن نركز عليهما ونراكم عليهما وتصبحا منهجاً ثابتاً في التعامل مع نجاد ومع من سيخلفه وبقية قادة إيران، وهما:

١- أن تنفصل مواقف الهيئات الشرعية كالأزهر عن مقتضيات المجاملة الدبلوماسية التي تتورط بها دولنا – بسبب الخور والخبل – وتعلن موقفها الشرعي الصحيح من مشاريع إيران الدينية والساعية لنشر التشيع والتعدي على ثوابت الإسلام بسب الصحابة وأمهات المؤمنين وزعم تحريف القرآن، وكذلك موقفها من المشاريع السياسية الإيرانية التي تضطهد أهل السنة في إيران وأماكن نفوذها في العراق وسوريا ولبنان واليمن وغيرها، واحتلال الأحواز.

فيجب أن تصبح استقلالية مواقف المؤسسات والشخصيات الشرعية عن مجاملات السياسة منهجا ثابتا لتصدع بالحق وتكشف خيانات وخداعات إيران والشيعة، ويجب تجاوز المرحلة السابقة التي كانت تكبل مواقف هذه المؤسسات والشخصيات الشرعية بسقوف السياسة العلمانية، ومن كان يتجاوز هذه السقوف كان يتم عقابه وتأديبه بدلاً من تكريمه

وتقديره!!

٢- الإيجابية الثانية في زيارة نجاد ترسيخ قيم حرية التعبير وإعلان الرأي، فحين رُجم نجاد بالأحذية بالقاهرة، سرعان ما أفرجت السلطات المصرية عن الذين قاموا بذلك بكفالة مالية قيمتها ٥٠٠ جنيه، وهذه سياسة يجب أن تعمم في كل الدول الإسلامية، فللشعوب التي تصرخ إيران وقادتها بأنهم أنصارها والساعون لتمكينها من التعبير عن نفسها بوجه المستكبرين، فلذلك على قادة إيران أن يتقبلوا تعبير الجماهير عن شعورهم تجاههم ولو رجموهم بالأحذية؛ وعلى السلطات في البلاد الإسلامية أن لا تتوتر بسبب ذلك وإنما ترسخ قيمة حرية التعبير للأفراد.

وإذا انتقلنا لتأمل بعض تفاصيل زيارة نجاد للقاهرة وما انطوت عليه من مكائد وخبث إيراني وشيعي في نموذج فريد يجسد لنا بوضوح كثيرا من معالم سياسات إيران والشيعة المعاصرة على النحو التالي:

١- السياسة الإيرانية تقوم على التواصل دوماً ولو مع ألدّ الأعداء، ولذلك لا تتوقف اجتماعات إيران مع كل خصومها، فإيران تتعامل بواقعية مع وجود خصومها بالسعي للقاء بهم، حيث أن اللقاء بخصومها يحقق لها بعض المكاسب، منها: قد يخفف من حالة العداء بينهما لصالح إيران، أو تفهمه بشكل أفضل لتعرف كيف تتعامل معه، أو تكسبه لصفها بالرشوة المالية أو الجنسية، أو تستفيد من صور اللقاء به عند البسطاء الذين يشاع بينهم أن الخصم قد تراجع عن عدائه لإيران والشيعة!! ومن هنا كان سفر نجاد للقاهرة ودعوة الجميع للقائه حتى دعوا الأحزاب السلفية والتي رفضت اللقاء به.

٢- السياسة الإيرانية تقوم على الوقاحة، ولذلك وجدنا نجاد يمسك بيد شيخ الأزهر لمدة طويلة في اللقاء مع ابتسامة برغم ضيق شيخ الأزهر من هذا السلوك، ولكن نجاد كان يخاطب المتفرج البسيط بأن العلاقة بين نجاد وشيخ الأزهر علاقة ودية ووثيقة، وأيضاً في المؤتمر الصحفي قاطع نجاد الشيخ حسن الشافعي وهدد بالمغادرة وأن هذا لم يتفق عليه حين بدأ يذكر اعتراضات الأزهر على سياسة إيران، وكأن نجاد يريد من الأزهر أن يقوم بالدعاية له فقط ولا يعلن عن رفض الأزهر لسياسات إيران الطائفية، فنجاد لا مانع عنده من سماع شكوى شيخ الأزهر في قاعة مغلقة يحضرها عشرات الناس، فالمهم هو المؤتمر الصحفي الدعائي لنجاد وإيران.

٣- السياسة الإيرانية تقوم على التقية، فنجاد حين جابهه الأزهر برفض سب الصحابة رد أن هذا مجال بحثه علماء الدين وأنه ليس كذلك، وأن هذا موقف خاص لبعض الأفراد، وكذلك رد وزير الخارجية الإيراني علي صالحي حين قال أن هناك فتوى بتحريم سب الصحابة.

ولكن الحقيقة أن سب الصحابة هي عقيدة تتبناها إيران ساسة وعامة ولا يوجد أي عقاب لمن يرتكب ذلك، والفتوى بتحريم ذلك هي لذر الرماد في العيون، والدليل على ذلك أن نجاد نفسه قد تهجم وسب بعض الصحابة مثل الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله علناً قبل مدة قليلة، فلذلك الفصل بين السياسة والدين رد مرفوض من نجاد خاصة وأن هذا الفصل يناقض أصل التشيع الذي يقوم على الإمامة في الدين والسياسة.

٤- السياسة الإيرانية تقوم على الخداع، ولذلك فإعلان نجاد إلغاء التأشيرات للمصريين الراغبين بزيارة طهران ومطالبة مصر بالقيام بعمل مماثل يعد خدعة كبيرة جداً، فالمصريون الراغبون بزيارة إيران قلة صغيرة جداً وهم من المتشيعين وهؤلاء لا مشكلة عندهم في التأشيرات، بخلاف الإيرانيين الذين يتلهف النظام الإيراني على توريد مئات الآلاف منهم لمصر ليدس بينهم آلاف العناصر من الأجهزة الأمنية.

ومن العجيب أن إيران التي تدعو المصريين لزيارتها وتعلن عن إلغاء التأشيرات تعاملت بشكل أمني مبالغ فيه حتى مع الوفود المصرية التي استضافتها كما روت ذلك الصحفية المصرية نشوى الحوفي.

وفي الختام: لقد كانت زيارة نجاد بشكل عام زيارة خائبة، لكن هناك خطورة من زوال هذه الخيبة بسبب طول نفس المكر الإيراني والشيعي، وهو ما يستدعي دوام اليقظة والانتباه للمكائد الإيرانية والشيعية.

١٠- محدث العصر
الشيخ محمد ناصر الدين الألباني
(١٣٣٣/١٤٢٠هـ/١٩١٤/١٩٩٩)

أسامة شحادة(٭) - خاص بالراصد

تمهيد:

يعد محدث العصر الشيخ الألباني أحد أهم المصلحين السلفيين المعاصرين والذين تركوا أثراً بارزاً على مسيرة الأمة الإسلامية، ولم يقتصر تأثيره ودوره على بلد محدد بل لقد بلغ تأثيره كافة أرجاء المعمورة ولا يمكن لباحث منصف في مسيرة الإصلاح المعاصر أن يتجاوز جهوده ودوره المحوري في الصحوة الإسلامية المعاصرة برغم أنه لم ينشئ جماعة خاصة به أو يرعى مؤسسة أو جمعية بعينها، ويكفيه شرفاً أن حرصه على نشر السنة النبوية الصحيحة أصبح وسام تفوق يتسابق الجميع على الوصول إليه حتى من خصومه ومخالفيه.

مولده ونشأته:

ولد الشيخ محمد ناصر الدين بن الحاج نوح نجاتي الألباني عام ١٣٣٣هـ الموافق ١٩١٤م في مدينة أشقودرة، عاصمة دولة ألبانيا - حينئذ - لأسرة فقيرة متدينة يغلب عليها الطابع العلمي، وكان والده أحد علماء المذهب الحنفي والذي هو مذهب الدولة العثمانية، ولما ضعفت الخلافة الإسلامية تم اقتطاع ألبانيا من جسد الدولة العثمانية سنة ١٩١٢م وإلحاق بعضها بصربيا وجزء بالجبل الأسود/ مقدونيا وقسم بقي باسم ألبانيا، فاضطربت أحوال المسلمين بها لذلك، وأصبحت ألبانيا وكأنها تابعة لإيطاليا بزعامة موسوليني، وقلد أحمد زاغو ملك ألبانيا سياسات أتاتورك المعادية للدين فمنع المسلمات من لبس الحجاب، فآثر والده الهجرة إلى دمشق الشام للإقامة الدائمة فيها حرصاً على الإسلام والدين وذلك سنة ١٩٢٣م، وفعل ذلك الكثير من الألبانيين.

في دمشق درس الألباني بمدرسة الإسعاف الخيري المرحلة الابتدائية وكان لا يعرف العربية أبداً، ولكن لأن المدارس النظامية في ذلك الوقت كانت تحت عهدة الاحتلال ولم تكن تعنى بالعلوم الشرعية بشكل جيد، لم يرغب والده أن يبقى في هذه المدارس وقام هو بنفسه بتعليمه فقرأ الألباني القرآن الكريم على يد والده ودرسه التجويد، والنحو والصرف، والفقه الحنفي، ودرس على الشيخ سعيد البرهاني «مراقي

(٭) كاتب أردني.

الفــلاح» في الفقــه الحنفــي وبعــض كتــب اللغــة والبلاغة.

كمـا تعلـم علـوم الـشريعة علـى يـد والـده، فقـد علمـه أيـضاً مهنـة إصـلاح الـساعات، فأجادهـا حتـى صـار مـن أصـحاب الـشهره فيهـا، وأخـذ يتكـسب رزقه منها.

توجهه إلى علم الحديث واهتمامه به:

لقـد نـشأ الألبـاني في بيئـة حنفيـة متعصبة، وكـان التقليـد والتـصوف همـا المنهجـان الـسائدان في الـشام آنـذاك، وكـان الألبـاني علـى هـذا المنـوال حيـث يأخـذه والـده لزيـارة قبـور الأوليـاء كـابن عربـي والنابلـسي، وكـان الجـو معاديـا لـدعوة الكتـاب والـسنة والـتي كانـت تُلقـب وتُنبـز بالوهابيـة، إلا أن الله عزوجـل أراد للألبـاني أن ينتقـل لمـنهج الاتبـاع والاجتهـاد والحـرص علـى الـسنة، يقـول الألبـاني عـن ذلـك: «فلـم أزل علـى خطـى والـدي في هـذا الاتجـاه حتـى هـداني الله إلى الـسنة، فأقلعـت عـن الكـثير ممـا كنـت تلقيتـه عنـه ممـا كـان يحـسبه قربـة وعبـادة»، وكـان ذلـك بتقـدير الله لوالـده بـالهجرة لدمـشق فـتعلم العربيـة وقـرأ الكتـب الـسلفية، ولـذلك كـان الألبـاني يـدعو ويـشكر لوالديـه دومـاً هـذا الفـضل، بـرغم أن والـده رفـض منهجـه الـسلفي وخيّـره بـين أن يوافقـه في مذهبـه الحنفـي أو يفارقـه في البيـت والعمـل، فاختـار الألبـاني أن يتمـسك باتبـاع الـدليل الـصحيح مـن القـرآن الكـريم والـسنة، هـذا والألبـاني لم يكن قد بلغ الثلاثين من عمره!!

وقـصة تحـول الألبـاني لمـنهج الكتـاب والـسنة كـان عـن طريـق قراءتـه وهـو دون سـن العـشرين لمجلـة المنـار الـتي يـصدرها العلامـة محمـد رشـيد رضـا في مـصر، يحـدثنا الألبـاني عـن تلـك الفـترة فيقـول: «أول مـا ولعـت بمطالعتـه مـن الكتـب: القـصص العربيـة كالظـاهر وعـنترة والملـك سـيف ومـا إليهـا. ثـم القــصص البوليــسية المترجمــة كأرســين لــوبين وغيرهـا، وذات يـوم لاحظـت بـين الكتـب المعروضـة لـدى أحـد الباعـة جـزءا مـن مجلـة المنـار فاطلعت عليـه ووقعـت فيـه علـى بحـث بقلـم الـسيد رشـيد رضـا يـصف فيـه كتـاب الإحيـاء للغزالـي، ويـشير إلى محاسـنه ومآخـذه .. ولأول مـرة أواجـه مثـل هـذا النقـد العلمـي فاجتـذبني ذلـك إلى مطالعـة الجـزء كلـه ثـم أمـضي لأتـابع موضـوع تخـريج الحـافظ العراقـي علـى الإحيـاء ورأيـتني أسـعى لاسـتئجاره لأنـي لا أملـك ثمنـه. ومـن ثـم أقبلـت علـى قـراءة الكتـب، فاسـتهواني ذلـك التخـريج الدقيق حتى صممت على نسخه».

مـن هنـا كانـت شـرارة توجـه الألبـاني لدراسـة علـم الحــديث، وفي هــذا دلالــة هامــة جــداً علــى دور المجــلات والــصحف ووســائل الإعــلام الــصادقة في هدايـة المـسلمين ونفعهـم شـباباً ورجـالاً وأن الـصحف والمجـلات سـبب هـام مـن أسـباب نهـضة المـسلمين العـصرية، فبـسبب مقـال يـشاء الله عـز وجـل ظهـور محدث للعصر!!

وتــدور عجلــة الزمــان ويبــدأ الألبــاني في عــام ١٣٧٢هــ يكتـب في المجـلات أبحاثـا ومقـالات في علـم الحـديث في مجلـة (التمـدن الإسـلامي) يكـون لهـا تـأثير كـبير في نـشر علـم الحـديث والعنايـة بـالتزام الـسنة الـصحيحة في سـوريا وخارجهـا، وكانـت بدايـة التعريـف بالألبـاني في العـالم الإسـلامي، ويقـول د. أحمـد معبـد عـن هـذه المقـالات: «كنـت أسـأل نفـسي كيـف يعـرف الـشيخ ناصـر الحـديث الـصحيح مـن الـضعيف... هـل هـو سـاحر»، ثـم يـصبح د.أحمـد معبـد شيخاً في علم الحديث.

ومجلـة المنـار كانـت سـبباً مهمـاً في قيـام الـصحوة الإسـلامية الإصـلاحية المباركـة بـل كـان بعـض المستـشرقين يعـدها وزارة الإعـلام للعـالم الإسـلامي، وقـد كانـت تتـداول في الـشام عنـد الباعـة بـسبب مـا شـهده الـشام مـن دعـوة إصـلاحية تناولناهـا في الحلقـات الـسابقة كـان مـن رموزهـا العلامـة طـاهر الجزائـري والعلامـة عبـد الـرزاق البيطـار والعلامـة جمـال الـدين القـاسمي والـشيخ محمـد بهجـة البيطـار، والـذي تعـرف عليـه الألبـاني وحـضر بعـض مجالـسه ودروسه.

فواظب الفتى الألباني على مطالعة مجلة المنار والاستفادة من أبحاثها وخاصة تحقيقات رشيد رضا في علم الحديث وكان أول عمل حديثي قام به هو نسخ كتاب «المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار» للحافظ العراقي، ولم يكن ذلك مجرد نسخ، فبعد أن نسخ نصف مجلد خطر له أن يقوم بشرح غريب الكلمات، فأعاد نسخ المجلد من جديد مع شرح غريب الكلمات حتى صار التعليق على الكتاب أكثر من المتن، وقد بلغ عدد صفحاته ٢٠٠٠ صفحة!! ويقول الألبانى عن ذلك الجهد: «وأحسب أن هذا المجهود الذي بذلته في دراستي تلك هو الذي شجعني وحبب إليّ المضي في ذلك الطريق»، وأصبح الاهتمام بالحديث وعلومه شغله الشاغل، وأصبح معروفاً بذلك في الأوساط العلمية بدمشق، حتى إن إدارة المكتبة الظاهرية بدمشق خصصت غرفة خاصة له ليقوم فيها بأبحاثه العلمية المفيدة، وسمح له أن يدخلها وقت ما شاء، وبقي الألباني يذكر فضل العلامة رشيد رضا عليه فيقول: «فإنني بفضل الله عز وجل بما أنا فيه من الاتجاه إلى السلفية أولا وإلى تمييز الأحاديث الضعيفة والصحيحة ثانياً يعود الفضل الأول في ذلك إلى السيد رضا رحمه الله عن طريق أعداد مجلته المنار التي وقفت عليها في أول اشتغالي بطلب العلم».

وهنا يجب أن نتنبه لتواصل الأجيال والتأثير غير المباشر لجهود المصلحين، فرشيد رضا يؤسس المنار ويبث فيها دعوته الإصلاحية والتي منها تعظيم السنة والدعوة لتنقيتها من الشوائب التي ألصقت بها فيتشربها الألباني ويجعلها تياراً جارفاً يسري في الأمة، والعلامة طاهر الجزائري يقوم بتأسيس المكتبة الظاهرية سنة ١٢٩٦هـ - ١٨٨٠م، والتي يقوم الألباني بعد حوالي ٥٠ سنة بقراءة مخطوطاتها والبالغ عددها نحو عشرة آلاف مخطوط ورقة ورقة وهو يبحث عن ورقة ضائعة من مخطوط (ذم الملاهي) للحافظ ابن أبي الدنيا، وكان أحيانا يبقى واقفا على السلم عدة ساعات يقرأ، هذا كله وهو في إجازة مرضية بأمر الطبيب!!

وبسبب البحث عن هذه الورقة تمكّن الألباني من وضع فهرس لمخطوطات المكتبة الظاهرية! وقد أعاد الألباني قراءة كل المخطوطات في المكتبة الظاهرية ثلاث مرات، ونسخ كل ما فيها من فوائد حديثية، وأصبحت زيارة مكتبات المخطوطات وجمع ما فيها من فوائد حديثية هواية وصِفة لازمة للألباني فقد جمع من مخطوطات الظاهرية، ومكتبة الأوقاف بحلب، والمكتبة المحمودية بالمسجد النبوي، ومكتبة عارف حكمت بالمدينة النبوية، ومكتبة الجامعة الإسلامية، وغيرها من مكتبات المخطوطات حتى تجمع عنده حوالي أربعون مجلداً، وكانت هذه المجلدات الأربعون الثروة العلمية الحديثية التي تفوق بها الألباني في علم الحديث على غيره، ولقلة مالِه كان يكتب هذه الفوائد على ظهر ورق الإعلانات الذي يجمعه من الطرقات أو يشتريه بثمن بخس.

وليس بغريب أن يقرأ الألباني كل هذه المخطوطات، فالجميع يشهد له حتى في شيخوخته بجلَده وصبره على القراءة والبحث والكتابة حتى قبل ٥٠ يوما من وفاته، فكيف كانت همته حين كان شاباً؟ فقد بدأ حياته بتعلم مهنة النجارة، لكن كان يتوقف العمل في الشتاء فاقترح عليه والده أن يعلّمه مهنة تصليح الساعات، فكان يستغل وقت الفراغ وعدم وجود عمل للمطالعة، وبعدما انفصل عن والده في دكان خاص به أصبح يعمل ساعة أو ساعتين في اليوم يحصل بها القوت الضروري لعائلته، ثم يذهب للمكتبة الظاهرية لعدة ساعات، ثم لما أصبح عنده مساعد في الدكان أصبح يعمل ثلاث ساعات يومي الثلاثاء والجمعة فقط، والباقي يقضيه في الظاهرية، فبهذا الجد والاجتهاد والعصامية في التعلم أصبح الألباني محدث الزمان وناصر السنة.

فما عسى أن يقول الشعر في رجل
يدعوه حتى عداه ناصر الدين

وهذه المطالعة لمخطوطات الظاهرية ومنها كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية،

وغيرهما من أعلام المدرسة السلفية كان لها بالغ الأثر في توجه الألباني السلفي.

دعوة العلامة الألباني:

هذه المطالعة لمجلة المنار ومن ثم مخطوطات الظاهرية وشخصية الألباني القوية والجريئة ساهمت في أن يبدأ الألباني في الجهر بقناعاته الإصلاحية والسلفية في دمشق، والجهر بهذه القناعات كان هو الشيء الجديد على دمشق وأهلها، فقد كان تلاميذ القاسمي موجودين ومعروفين أمثال العلامة بهجت البيطار، والشيخ عبد الفتاح الإمام، رئيس جمعية الشبان المسلمين في سوريا، والشيخ توفيق البزرة، لكن نشاطهم كان بين محبيهم وتلاميذهم، فجاء الألباني يجهر بها بين الناس ويدافع عنها بقوة وشدة، وبكل وضوح وصراحة، وتحمل في سبيل ذلك الكثير من المصاعب والمتاعب، ومن هنا أصبحت السلفية المعاصرة في الشام ترتبط باسم الألباني.

فبدأ الألباني يناقش والده وشيخه وبقية شيوخه حول قضايا التوحيد والشرك مثل الصلاة في المساجد التي بها قبور ونتج عن هذه المناقشات تأليف كتابه «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد»، وتوالت النقاشات والمتاعب حتى طلب منه والده الانفصال عنه بسبب رفض الألباني الالتزام بالصلاة خلف الإمام الحنفي، إذ كانت صلاة الجماعة تقتصر على أتباع كل مذهب لوحده، ولذلك كانت تتكرر الجماعة أربع مرات لكل صلاة في مناقضة تامة لجمع الكلمة ووحدة الأمة بسبب التعصب والجمود الفقهي، فكان الألباني يرفض ذلك ويصلي مع أول إمام مهما كان مذهبه[1]، وكانت هذه من أولى القضايا التي خالف الألباني فيها الجمهور العام، واتهم بالوهابية، وعدم احترام المذاهب الأربعة، ورفعت ضده شكاوى كيدية عند السلطات. ففي مرة من المرات لما رآه الإمام وكان أحد المتعصّبة صاح فيه أمام الناس: ياللّا ! بَرَّا ! بَرَّا ! بَرَّا ! ولما رفض الشيخ الخروج من المسجد وتدخل الناس، صلى بهم لكنه بعد الصلاة عاد للصراخ والتهجم على الألباني وأرسل بعض أتباعه ليعتدوا على الشيخ في الشارع فمنعه أصدقاء الشيخ والمصلون من ذلك!

ولذلك منع الألباني من الخطابة والتدريس في عدد من المساجد والمدن، وسجن مرتين، وفي الأردن وشى به بعض الناس فأبعد من الأردن ثم تدخل بعض الشيخ محمد إبراهيم شقرة لدى الملك الحسين فسمح بعودته للأردن وبقي فيها حتى وفاته، وتعرض خلالها لبعض المضايقات الرسمية والأمنية.

هذا في الوقت الذي وافقه على دعوته أفاضل العلماء من تلاميذ الجزائري والقاسمي وعبد الرزاق البيطار، المعروفون بالعلم والدين في دمشق، والذين شجعوه على الاستمرار قدماً في دعوته، وقد لقيت دعوة الشيخ قبولا بين أوساط المثقفين وطلاب جامعة دمشق، لقدرتهم على فهم دعوة الشيخ، بعكس عامة الناس الأميين الذين تسيطر عليهم الخرافة والتصوف، وقد كانت دروس الشيخ منذ سنة ١٩٤٣م بدأت في دكانه ثم انتقلت إلى بيوت بعض الإخوة ثم استأجروا لهم مقرا خاصاً للدروس، وفي سنة ١٩٤٩م أقاموا أول صلاة للعيد بالمصلى وليس بالمساجد.

ومن الملاحظ تأثير البيئة على الشيخ، فهو هاجر من بلده خوفاً على دينه من بطش الحكومة المعادية للإسلام، ولذلك نجده يجعل استئناف الحياة الإسلامية وتطبيق حكم الله من صلب دعوته، كما أن مطالعته لمجلة الشيخ رشيد رضا «المنار» كان لها دور مهم في تكوين وبلورة شخصيته الثقافية وشمولية نظرته، ولذلك حقق الشيخ كتاب «حقوق النساء في الإسلام وحظهن من الإصلاح المحمدي العام» لرشيد رضا في اهتمام مبكر بالمرأة المسلمة وتقدمها، وخصص لهن درسا خاصا لشرح كتاب «الأدب المفرد» للإمام البخاري.

---

(١) وفي آخر حياة والده لان الأب لدعوة الابن وأصبح يعترف له بصواب بعض ما يدعو إليه، وكانت علاقته به طيبة.

كذلك وجود الشيخ في بيئة منفتحة ومشاركته علماء عصره أمثال: العلامة البيطار وأساتذة الجامعة السورية وغيرهم، جعلت الشيخ يدرس كتاب «منهاج الإسلام في الحكم» لمحمد أسد، وهو المستشرق اليهودي الذي أسلم، وبهذا يتضح حضور الجانب السياسي في فكر الشيخ مبكراً.

كما أن الشيخ حج أكثر من ثلاثين مرة واعتمر كثيراً وكانت رحلاته مليئة باللقاءات والمناقشات والدروس، وسافر مبكراً لأوربا وبعض البلاد الإسلامية، وكذلك التدريس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، مما أتاح للشيخ أن يحتك بالعلماء الكبار كالعلامة أحمد شاكر والشيخ حامد الفقي والشيخ محمد عبد الرزاق حمزة والدكتور تقي الدين الهلالي والأستاذ محب الدين الخطيب، ومن إدارة الجامعة الإسلامية العلامة محمد بن إبراهيم وبعده العلامة ابن باز وبالمدرسين في الجامعة والطلاب من بلاد شتى، كل ذلك جعل الشيخ يطلع على كثير من مشاكل وتجارب العمل الإسلامي وينقل رؤيته ودعوته لبلاد كثيرة، مما مكّن الشيخ من تكوين رؤيته السلفية الخاصة بالتغيير والنهضة، هذه الرؤية التي تعد أساس الفكر السلفي الدعوي والحركي المعاصر إن صح التعبير.

وأيضاً هذا الاحتكاك والسفر جعلا دعوة الشيخ تصل إلى أماكن عديدة رغم ضعف وسائل الاتصال في ذلك الزمن.

مراحل دعوة الألباني:

ويمكن تقسيم دعوة الشيخ الألباني إلى ثلاث مراحل:

أولاً: دعوته في سوريا

والتي تمثل مرحلة التكوين، فقد كان الشيخ في قوة الشباب وبداية حياته العلمية والدعوية، وكانت له دروس علمية يعقدها مرتين كل أسبوع ويحضرها طلبة العلم وبعض أساتذة الجامعات ومن هؤلاء الأستاذ أحمد راتب النفاخ ود. محمد رشاد سالم المصري، محقق كتاب منهاج السنة لابن تيمية، ومن الكتب التي كان يدرسها في حلقات علمية:

- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب.
- الروضة الندية شرح الدرر البهية للشوكاني، شرح صديق حسن خان.
- أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف.
- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير، شرح أحمد شاكر.
- منهاج الإسلام في الحكم لمحمد أسد.
- فقه السنه لسيد سابق.

وكان الشيخ وهو في العشرينيات من عمره يكتب المقالات للمجلات مثل مجلة (التمدن الإسلامي) التي يرأسها الأستاذ أحمد العظمة ومجلة (المسلمون) التي يرأسها الدكتور مصطفى السباعي.

وأصبح له جولات دعوية منتظمة شهرياً لعدد من المحافظات كحمص وحماة وإدلب وحلب والرقة واللاذقية، وكان لها دور مؤثر في نشر الدعوة للتمسك بالكتاب والسنة وفهم السلف.

وتميزت هذه المرحلة بالانفتاح على الجماعات الإسلامية، فكان بعض قادة الإخوان يحضرون دروسه كالأستاذ عصام العطار، والشيخ زهير الشاويش وغيرهما، كما كتب الشيخ في مجلة الإخوان المسلمين المصرية تعليقات على كتاب «فقه السنة»، وأرسل له حسن البنا رسالة يحثه فيها على الاستمرار في الكتابة للمجلة، وكان الألباني من المتطوعين للجهاد في فلسطين عام ١٩٤٨م مع جماعة الإخوان المسلمين، كما قابل في هذه الفترة العديد من قادة الجماعات كالشيخ تقي الدين النبهاني مؤسس حزب التحرير، وكانت له جولات دعوية داخل وخارج سوريا.

كما التقى ببعض قادة الفرق الضالة مثل عبدالله الحبشي ورد عليه، وكذلك القاديانيين.

وقد طلبت منه كلية الشريعة بجامعة دمشق تخريج أحاديث البيوع الخاصة بموسوعة الفقه التي

عزمت الجامعة على إصدارها عام ١٩٥٥م. كما اختير عضواً في لجنة الحديث التي شكلت في عهد الوحدة بين مصر وسوريا (١٩٥٨- ١٩٦١م)، للإشراف على نشر كتب السنة وتحقيقها.

وقد عمل الشيخ الألباني في المكتب الإسلامي الذي أسسه الشيخ زهير الشاويش في تحقيق التراث الإسلامي ونشر السنة وهو مما ساهم في نشر دعوة ومؤلفات وتحقيقات الشيخ في بلدان كثيرة.

وقد عاش الشيخ تقلبات الشام السياسية سواء الظلم الواقع عليها بسبب الاحتلال الفرنسي وتداعيات الثورة ضد الفرنسيين، ثم الحكومات الوطنية، وصولاً لمرحلة الانقلابات، ثم استيلاء البعثيين على الحكم واستفراد العلويين منهم بالحكم بالحركة التصحيحية التي قام بها حافظ الأسد عام ١٩٧٠م.

تعرض الشيخ الألباني شأنه شأن رموز العلم والإصلاح دوماً للابتلاء، فقد سجن مرتين، الأولى كانت قبل عام ١٩٦٧ حيث اعتقل لمدة شهر في قلعة دمشق، وهي نفس القلعة التي سجن فيها شيخ الإسلام ابن تيمية، وعندما قامت حرب الـ ٦٧ رأت الحكومة أن تفرج عن جميع المعتقلين السياسيين، لكن بعدما اشتدت الحرب عاد الشيخ إلى المعتقل مرة ثانية بسبب الوشايات وشهادت الزور ضده عند الحكام، فسجن في سجن الحسكة شمال شرق دمشق ثمانية أشهر، وفي السجن اختصر صحيح مسلم وهو من كتب الشيخ المفقودة، واجتمع مع شخصيات كبيرة في المعتقل.

وفي سنة ١٩٨٠م هاجر الشيخ إلى الأردن وبقي فيها رحمه الله حتى توفي عام ١٩٩٩م.

ومن تلاميذ الألباني في هذه المرحلة: أخوه الكبير محمد ناجي أبو أحمد - توفي مبكرا- ومن أشد مناصري الألباني ودعوته: الشيخ محمد عيد عباسي، الشيخ حمدي عبد المجيد السلفي، الأستاذ خير الدين وانلي، الشيخ علي خشان، الشيخ عدنان العرعور، الشيخ محمد جميل زينو، الشيخ عبد الرحمن عبد الصمد، الأستاذ محمود مهدي الأستانبولي، ومن الذين استفادوا من الشيخ وتأثروا بمنهجه: الأستاذ زهير الشاويش، الأستاذ عصام العطار، الشيخ الدكتور عبد الرحمن الباني.

ثانياً: مرحلة التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

وهي على قصرها التي لم تتعدّ ثلاث سنوات (١٣٨١- ١٣٨٣/ ١٩٦١- ١٩٦٣) تعد مرحلة هامة جداً في حياته، ذلك أنها أوجدت للشيخ تلاميذ حملوا دعوته لبلاد لم يزرها أو يعرفها، وأصبح هناك تيار ينسب للشيخ في العالم وليس سوريا فقط، لأنه درّس منهجه في علم الحديث عمليا وبطريقة أكاديمية للطلاب، وأحدث بذلك نقلة في شعبية علم الحديث في العالم بعد أن كان علماً نظرياً لا يعرفه إلا أفراد محدودون، ورسخ رؤيته الدعوية بين السلفيين. خاصة إذا علمنا أن الشيخ الألباني والشيخ محمد بن عبد الوهاب البنا هما اللذان رعيا في الجامعة الإسلامية الرحلة الأسبوعية للطلبة والتي كانت مدرسة دعوية علمية خرّجت العديد من العلماء والدعاة.

وكل من كتب عن الألباني في الجامعة الإسلامية ذكر نشاط الشيخ في التدريس حتى في الفسحة بين المحاضرات، وأما جلساته ولقاءاته بعد الدوام الجامعي فكانت دوما مناقشات وبحوث يدرب فيها الطلاب على النقاش وطلب الدليل للوصول للقناعة، وكانت هذه اللقاءات والجلسات سببا في تعرف الألبانى على كثير من العلماء والدعاة والمدرسين من السعودية وغير السعودية ومن السلفيين وغير السلفيين، وكانت سبباً أيضاً في التعريف به عندهم.

وقد سعد الشيخ بسكنى المدينة المنورة وقال: «وجدت مناخاً رائعاً جداً، لديهم استعداد لتقبل الدعوة أولاً، والمنهج العلمي الذي أنا فطرت عليه وظللت عليه ثانياً»، وقد طلب منه وزير المعارف السعودي – آنذاك- الشيخ حسن بن عبدالله آل

الشيخ في عام ١٣٨٨هـ أن يتولى الإشراف على قسم الدراسات الإسلامية العليا في جامعة أم القرى بمكة، لكن حالت بعض الظروف دون ذلك، ولكن تم اختياره عضوا في المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من عام ١٣٩٥- ١٣٩٨هـ.

وقد أوصى الشيخ أن توقف مكتبته الشخصية بعد وفاته لصالح مكتبة الجامعة الإسلامية، في رد للجميل للجامعة ومكتبتها والمكتبات العامة على الشيخ، وقال الشيخ في وصيته: «لأن لي فيها ذكريات حسنة في الدعوة للكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح يوم كنت مدرساً فيها راجياً من الله تعالى أن ينفع بها روادها كما نفع بصاحبها – يومئذ- طلابها»، وهذا تواصل مع منهج الإصلاح الذي أسسه طاهر الجزائري بتأسيس المكتبة الظاهرية والتي تعذر على الألباني إهداؤها مكتبته لها وهي تحت حكم العلويين البعثيين من آل الأسد الذين فر بنفسه وأهله وكتبه من بطشهم قبل ٣٠ سنة.

ومن أبرز تلاميذ الشيخ في المدينة: الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق، الدكتور الشيخ عمر الأشقر الذي كان أمين مكتبة الجامعة وجار الشيخ في السكن، الشيخ مقبل الوادعي، الشيخ ربيع بن هادي المدخلي.

ثالثاً مرحلة الإقامة بالأردن :

هذه هي المدة الأخيرة من حياة الشيخ، وقد بدأت سنة ١٩٨٠م، وكان عمر الشيخ حينها يقارب ٦٦ سنة، وامتدت هذه المرحلة حتى وفاته سنة ١٩٩٩م، ويحدثنا الألباني عن فراره بدينه من سوريا وهجرته للأردن فيقول: «هاجرت بنفسي وأهلي من دمشق الشام إلى عمان، في أول رمضان سنة ١٤٠٠هـ فبادرت إلى بناء دار لي فيها آوي إليها ما دمت حياً، فيسر الله لي ذلك بمنّه وفضله وسكنتها بعد كثير من التعب والمرض أصابني من جراء ما بذلت من جهد في البناء والتأسيس، ولا زلت أشكو منه شيئاً قليلاً».

جعل الشيخ أعماله العلمية خلال إقامته بالأردن أولوية شبه مطلقة، على حساب نشاطه الدعوي، فها هو يقول: «فإنه ما كاد بعض إخواننا في الأردن يشعرون بأنني استقررت في الدار، حتى بدؤوا يطلبون مني أن أستأنف إلقاء الدروس التي كنت ألقيها... وعلى الرغم من أنني ما كنت عازماً على شيء من الإلقاء، لأوفر ما بقي من نشاط وعمر لإتمام بعض مشاريعي العلمية»، ولهذا الموقف عدة أسباب منها: بلوغ الشيخ هذا السن، واضطراب الوضع السياسي في المنطقة، وتعرض الشيخ للطرد من الأردن بسبب وشاية المخالفين لدعوة الكتاب والسنة والذين يعرفون خطورة الشيخ عليهم، فالشيخ كان له زيارات سابقة للأردن لزيارة ابنته المقيمة بعمان، وكان يلقي بعض الدروس في زياراته، وبعضها كان يتمّ في مقر جماعة الإخوان المسلمين بمدينة الزرقاء، وكان الألباني قد زار الأردن بدعوة من جماعة الإخوان عام ١٩٧٣م لمعالجة انشقاق في جماعة الإخوان نتيجة فكر تبنى تكفير المجتمع بكامله، وتمكّن الشيخ من معالجة هذه الفتنة والقضاء عليها.

هذا التغيير في حياة الشيخ وتقليل النشاط الدعوي كان لمجمل هذه الأسباب، ولكن مع هذا الاهتمام بالجانب التأليفي إلا أن الشيخ بقي على تواصل مع الناس والعامة من خلال اللقاءات العامة في المناسبات الاجتماعية، وكذلك من خلال تلقي الاتصالات الهاتفية، وقد سجلت هذه اللقاءات والاتصالات فبلغت أكثر من ألف شريط.

ومن أبرز تلاميذ الألباني في الأردن: الشيخ محمد إبراهيم شقرة، الشيخ علي حسن الحلبي، الشيخ مشهور حسن سلمان، الشيخ محمد موسى نصر، الشيخ حسين العوايشة، والشيخ عصام هادي، وغيرهم.

منهج الألباني:

الدعوة الإسلامية العلمية تشكل لب رؤية الشيخ المنهجية للتغيير والإصلاح، والتي تعد أساس الفكر السلفي المعاصر، وهو يؤمن أن هذه الرؤية هي الموصلة للدولة الإسلامية، فهو يقول: «الذين

يـشتغلون بالـدعوة هـم الـذين يـشتغلون بإقامــة الدولـة المـسلمة، لكـــن لا يلـــهجون بهـــذا الكـــلام، ولا يـــستغلون عواطـــف النـــاس، وإنمـــا يعملـــون علـــى الـسكوت والـصمت»، وقـد تحققـت هـذه الرؤيـة في مـصر حيـث فاجـأ الـسلفيون الجميـع بتـصدر المشهد الـسياسي اعتمـاداً علـى جهـودهم العلميـة الهادئـة طيلـة العقود الماضية، والـشيخ يعتبر نفسه امتدادا لحركـة مـصلحي الـشام الـذين لم يـشكلوا إطـارا أو تنظيمـا لتجـسيد هـذه الرؤيـة والـتي كـان يعـبر عنهـا الألبـاني بقولـه: «دعوتنـا ثقّـف ثـم كتّـل»، بعكـس الـشيخ محمـد بـن عبـد الوهـاب الـذي كـان لـه سـعي قـوي للتحالف مع قوة سياسية لتجسيد رؤيته الدعوية.

لكـــن الألبـــاني الـــذي عاصـــر ظهـــور الجماعـــات الإســـلامية قـــام بتـــأطير الـــدعوة الـــسلفية في نقـــاط محـددة حتـى تتـبين معـالم الـدعوة الـسلفية ويـسهل فهمهـــا لـــدى الجيـــل الجديـــد الـــذي أصـــبح يرغـــب بالنقـــاط العمليـــة والمركـــزة وينفـــر مـــن البيانـــات الإنـــشائية والبلاغيـــة، فـــصاغ الألبـــاني خمـــس نقـــاط تحـــدد معـــالم منهجـــه ودعوتـــه وهدفـــه، سماهـــا (دعوتنا) هـي:

١- الرجـــوع إلى الكتـــاب الكـــريم والـــسُّنَّة الـصحيحة، وَفَهمُهُمـا علـى الـنهج الـذي كـان عليـهِ السَّلَف الصالح رضوان الله عليهم.

٢- تعريـف المـسلمين بـدينهم الحـق ودعـوتهم إلى العمـــل بتعاليمـــه وأحكامـــه، والتحلـــي بفـــضائله وآدابـه، الـتي تَكْفُـلُ لهـم رِضـوانَ الله، وتُحَقـق لهـم السعادة والمجد.

٣- تحـذير المـسلمين مـن الـشِّرك علـى اخـتلاف مظـاهره، ومـن البـدع والأفكـار الدخيلـة، والأحاديـث المنكـرة والموضـوعة، الـتي شَـوَّهَت جمـال الإسـلام وحالت دون تقدم المسلمين.

٤- إحيـاء الـتفكير الإسـلامي الحـر في القواعـد الإسـلامية، وإزالـة الجمـود الفكـري الـذي ران علـى عقـول كـثير مـن المـسلمين، وأبعـدهم عـن منهـل الإسلام الصافي.

٥- الـسعي نحـو اسـتئناف حيـاة إسـلامية وإنـشاء مجتمع إسلامي وتطبيق حكم الله في الأرض.

هـذه دعوتنـا؛ ونحـن نـدعو المـسلمين جميعـاً إلى مؤازرتنا في حمل هذه الأمانة التي تنهض بهم.

آليات الألباني :

ولتحقيـق هـذه الأهـداف فقـد اعتمـد الألبـاني عـددا من الآليات هـي:

١- **التـصفية والتربيـة**: وهـي عنـد الألبـاني نقطـة البـــدء بالإصـــلاح لحـــل مـــشكلة ضـــياع وتخلـــف المـسلمين، والمقـصود بالتـصفية تقـديم الإسـلام إلى الـشباب المـسلم مـصفى مـن كـل مـا دخلـه علـى مـد هـذه القـرون والـسنين الطـوال مـن العقائـد الباطلـة ومـن الخرافـات والبـدع والـضلالات، ومـن ذلـك مـا دخـل فيـه مـن أحاديـث غـير صـحيحة وقـد تكـون موضـوعة ... فالتـصفية إنمـا يـراد بهـا تقـديم العـلاج الـذي هـو الإسـلام الـصحيح الـذي حقـق للأمـة مـن قبـل العـزة والرفعـــة، وحـــين تم خلطـــه بالبـــدع والـــشركيات تخلفـت الأمـة وانحطـت بـين الأمـم؛ وقـد تركـز جهـد الـشيخ في هـذا البـاب وقـد جعـل مـشروعه الشخـصي لنهضة الأمـة «تقريـب الـسنة بـين يـدي الأمـة» وقـد وُفـق توفيقا كبيراً بفضل الله.

أمـا التربيـة فالمقـصود بهـا تنـشئة الجيـل علـى الإسـلام الـصحيح عقيـدة وعبـادة وسـلوكاً، ولكـن الـشيخ لم يفـصل كـثيراً في تفاصـيل تطبيـق وتنفيـذ الأمـة ولـذلك لا يـزال كـثير مـن أتبـاع الـشيخ لا يفهـم من العملية التربوية سوى عنوانها!!

٢- **مـن الـسياسة اليـوم تـرك الـسياسة**: يكـرر الـشيخ الألبـاني أن الـسياسة جـزء مهـم مـن الإسـلام، ولكنــه يعتقــد أن مــشاركة الــسلفيين في الــسياسة لـيس هـذا أوانـه بـل في مرحلـة تاليـة، وهـو يـشرح موقفـــه مـــن الـــسياسة بقولـــه: «نحـــن لا نـــشتغل في الـسياسة لكـن لـيس لأن الاشـتغال في الـسياسة لـيس مـن الإسـلام لا، الـسياسة مـن الإسـلام ... فـنحن لا ننكـر وجـوب الاشـتغال بالـسياسة لكننـا رأينـا في

هـذا الزمـان أن مـن الـسياسة تـرك الـسياسة. والغـرض الآن نوافـق علــى عــدم الاشــتغال وقتيــاً وإلا فكيــف يمكــن إقامــة الدولــة المـسلمة إلا بمثـل هــذه الــسياسة لكــن الــذين ينبغــي أن يــشتغلوا بالــسياسة ينبغــي أن يكونــوا علمــاء أن يكونــوا فقهــاء أن يكونــوا علمــاء بالكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح».

وفي الحقيقــة أن هــذا موقــف سياســي مــن الــشيخ فقـد علّلـه بالـسياسة ولـيس بالـدين، وثانيـا نحـن اليـوم نجــد عــددا مــن الحركــات الإســلامية السياســـية تتخـذ قـرار المقاطعـة والمشاركة في اللعبـة الـسياسية لعدم الجـدوى منهـا، وهـذا هـو لـب موقـف الـشيخ مـن المـشاركة الـسلفية الـسياسية: مطلوبـة حـين تكـون مجديــة ســواء مــن صــلاحية البيئــة الـــسياسية للمـشاركة الـسلفية – كمـا حـدث في مـصر- ومـن ناحية وجود قوة مؤثرة للسلفيين عند مشاركتهم.

٣- **دعوتنــا ثقّــف ثــم كتّــل**: عـايش الـشيخ عـددا مــن التكــتلات الإســلامية في عــصره (جماعــة الإخــوان، حــزب التحريــر، الجماعــة الإســلامية الهنديـة، جماعـة الـدعوة والتبليـغ ...) وأدرك خطـورة سياســة التجميــع دون تربيــة وتوعيــة، ولــذلك كــان يلخـص الفــرْق بــين الــدعوة الـسلفية وغيرهــا مــن الجماعـات الإسـلامية بقولـه: «دعوتنـا ثقّـف ثـم كتّـل، وغيرنا كتل ثم ثقف ثم لا شيء».

الدور الإصلاحي الذي حققه الألباني:

يمكــن أن نجمــل دور الألبــاني في محــورين همــا: إنتاجـه العلمـي في المقـالات والكتـب والمحاضـرات، وترســيخه لمــنهج تحقيــق الــسنة والفقــه المقــارن في العالم الإسلامي.

١- إنتاجه العلمي:

تميـز إنتـاج الألبـاني العلمـي بكونـه ينـتظم ضـمن مــشروعه الكـبير «تقريــب الــسنة بــين يــدي الأمــة»، وتميـز بـسهولة العبـارة ووضـوحها بخـلاف الـشائع في زمنـه كـأثر مـن آثـار التخلـف والجمـود والتعـصب الفقهـي، وتميـز بتلبيـة حاجـات المجتمـع الآنيـة وترسـيخ منهج الـدعوة للكتـاب والسنة علـى فهـم سـلف الأمـة، وتميــز أيــضاً بالاختــصار واليــسر كمــا في كتابــه «صحيح الجامع الصغير».

ومـن يتأمـل إنتـاج الـشيخ والـذي بلـغ ٢٣٠ منتجـا بـين تـأليف وتخـريج وتعليـق وفتـوى بخـلاف الأشـرطة يجـد أن الــشيخ شــارك في كافــة المجــالات تقريبــاً، وهــذا التفصيل:

❖ فهـو كتـب وخـرّج وحقّـق في مـا يخـص تـصحيح عقـائد النـاس مثـل: تحـذير الـساجد مـن اتخـاذ القبـور مــساجد، التوســل أحكامــه وأنواعــه، الاحتجــاج بالقــدر لابــن تيميــة، أصــول الــسنة واعتقــاد الــدين للحميــدي (خ)، شــرح العقيــدة الطحاويــة، العقيــدة الطحاوية شرح وتعليق، وغيرها.

❖ كتــــب في علــــوم القــــرآن: معــــالم التنزيــــل للبغــوي(خ)، بــين يــدي الــتلاوة(خ)، كيــف يجــب أن نفسر القرآن.

❖ وكتــب في العبــادات والمعــاملات مثــل: صــفة الــصلاة ولــه فيهــا ثلاثــة كتــب كــبير وصــغير ومختــصر، وحجــة الــنبي ﷺ، أحكــام الجنــائز، أحكـام الركـاز (خ) حجـاب المـرأة المـسلمة، حقيقـة الــصيام، آداب الزفــاف، المـسح علــى الجــوربين، وإصلاح المساجد لجمال الدين القاسمي.

❖ كتـب في الـسيرة : فقـه الـسيرة للغزالـي، دفـاع عـن الحـديث النبـوي والـسيرة في الـرد علـى جهـالات الدكتور البوطي في فقه السيرة.

❖ كتـب في تخـريج أحاديـث الفقـه الحنبلـي: ويعـد كتابــه (إرواء الغليــل في تخــريج أحاديــث منــار الــسبيل) أول كتــاب حــديثي يخــتص بالمــذهب الحنبلـي، ويلحـق بهـذا كتابـه (الـذب الأحمـد عـن مسند الإمام أحمد).

❖ كتــب في فقــه الــدليل والفقــه المقــارن: التعليقـات الرضيـة علـى الروضـة النديـة، تمـام المنـة، الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب.

❖ كتب في السنة النبوية تخريجاً وتحقيقاً وتأصيلاً مثل: مختصر البخاري ومسلم، وتخريج وتحقيق كتب السنن الأربعة، والسلسلة الصحيحة والضعيفة، العودة للسنة(خ)، الحديث حجة بنفسه، وغيرها.

❖ كتب في علم الحديث: الإكمال في أسماء الرجال للتبريزي، الباعث الحثيث، تاريخ دمشق.

❖ كتب في تصحيح المفاهيم: إرشاد النقاد في تيسير الاجتهاد للصنعاني(خ)، حقوق النساء لرشيد رضا، الدعوة السلفية أهدافها وموقفها من المخالفين(خ)، فقه الواقع، المصطلحات الأربعة للمودودي.

❖ كتب في تزكية النفوس: صحيح الكلم الطيب، رياض الصالحين، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، كلمة الإخلاص لابن رجب، لفتة الكبد في تربية الولد لابن الجوزي، مساوئ الأخلاق للخرائطي.

❖ فهارس علمية للكتب والمكتبات: أسماء الكتب المنسوخة من المكتبة الظاهرية(خ)، بغية الحازم في فهارس مستدرك الحاكم(خ)، فهرس كتاب الكواكب الدراري لابن عروة الحنبلي، فهرس المخطوطات الحديثية في مكتبة الأوقاف الحلبية، منتخبات من فهرس المكتبة البريطانية(خ).

❖ كتب في الرد على المنحرفين: الرد على التعقيب الحثيث للحبشي، التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، الرد على أرشد السلفي، الرد على كتاب المراجعات لعبد الحسين شرف الدين الرافضي(خ).

تكامل الشيخ مع الجهود الإصلاحية الأخرى:

آمن الشيخ الألباني بتكامل الجهود في العمل الدعوي، وخاصة في مجال التثقيف والتأليف، وكان يرى أن من تطبيقات مبدأ «التصفية» الذي يؤمن به: المساهمة في تصفية بعض الكتابات العصرية المهمة لرموز الدعوة الإسلامية من الأحاديث الضعيفة، لما لها من دور مهم في «تربية» الصحوة الإسلامية ومن ذلك :

- تعقيبه على كتاب «الحجاب» وتخريج أحاديث كتاب «المصطلحات الأربعة في القرآن» لأبي الأعلى المودودي.
- كتاب «المرأة المسلمة» لحسن البنا، قام الألباني بمراجعته والتعليق عليه وتخريج أحاديثه.
- ألف الشيخ كتابا مستقلا هو «غاية المرام في تخريج أحاديث كتاب الحلال والحرام» للشيخ يوسف القرضاوي، وخرج أحاديث كتابه «علاج مشكلة الفقر».
- تخريج أحاديث كتاب «فقه السيرة» للشيخ محمد الغزالي.
- تخريجه لأحاديث كتاب «فقه السنة» للشيخ سيد سابق، وسماه «تمام المنة».

والمتأمل في هذه الكتب التي اعتنى الشيخ الألباني بها يجد بكل وضوح أنها كتب تخدم أهداف الشيخ في تربية المسلمين على الأحكام الشرعية الصحيحة، مما يحقق وجود المجتمع المسلم، الذي يعد بداية «السعي نحو استئناف حياة إسلامية وإنشاء مجتمع إسلامي وتطبيق حكم الله في الأرض» .

وعناية الشيخ بهذه الكتب التي ألفها قادة بارزون في جماعات غير سلفية ، تثبت جدية موقف الشيخ في التعاون بين الجماعات على ضوء الكتاب والسنة ومنهج سلف الأمة.

٢- المحور الثاني للدور الإصلاحي للألباني: ترسيخ منهج تحقيق السنة والفقه المقارن في العالم الإسلامي

لقد وفق الله عز وجل الألبانى لترسيخ منهج تحقيق السنة حتى أصبح منهجاً راسخاً أكاديمياً

وشعبياً فلا يقبل حديثا دون تحقيق وبيان صحته، ولا يقتصر هذا على السلفيين بل أصبح لكثير من خصومهم عناية بتخريج الأحاديث وتحقيقها، بعد أن كان هذا نسياً منسياً حتى عند علماء السعودية، يقول العلامة ابن عثيمين عن دور الشيخ في هذا الباب: «إن كثيرا من المشايخ قبل دعوة الشيخ ما كانوا يفرقون بين الحديث الصحيح والضعيف والموضوع، ومن المشايخ من كان يفتي ويبني فتواه على أحاديث ضعيفة بل بعضها موضوع، فبدأ الشيخ ينشر هذا العلم الشريف حتى تبصر الناس وعرفوا الصحيح من الضعيف، فجزاه الله خير الجزاء».

كما أن أبحاث الشيخ ومناقشاته للمسائل الفقهية على منهج اتباع الدليل ترسخ حتى أصبح هو المنهج المتبع في الجامعات باسم «الفقه المقارن»، وقد كان للشيخ دور بارز في ترسيخ هذا النهج من خلال تمييز صحة الأحاديث ونشر السنن العملية المجهولة لكثير من الفقهاء حتى أصبح الاعتماد على الآثار ركن أساسي في الأبحاث المعاصرة، ويندر أن تجد بحثا فقهيا لا يعتمد على تخريجات الألباني كأساس أو مساندة.

وهذا المنهج المقارن المعتمد على الدليل هو الذي فتح باب الاجتهاد المعاصر وقضى على الجمود والانغلاق وتخلص المسلمون من كثير من الفتاوى المتعنتة دون حق، مثل فتوى عدم طهارة الجنب الذي يضع حشوة في أسنانه، والتي تنازع فيها الألباني مع والده فيها، ومن ثم تراجع والده لرأيه.

وفاته رحمه الله تعالى:

كانت وفاته رحمه الله عصر يوم السبت ٢٢ جمادى الآخرة ١٤٢٠هـ الموافق ١٩٩٩/١١/٢م، في مدينة عمان بالأردن، وقد بلغ ٨٥ عاماً، وصلى عليه وشيعه آلاف من محبيه وتلاميذه في نفس الليلة بحسب وصيته.

ولعل من الكلمات المختصرة التي وصفت الشيخ الألباني بعمق ما قاله الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق دفاعاً عن الشيخ ضد هجوم مجلة المجتمع الكويتية على الألباني:

«لم ينضم ناصر الدين طيلة حياته إلى جماعة معينة من جماعات الدعوة، ولم يعادِ أي مجموعة منها ونصح لها جميعاً، ولم يدخر وسعاً في تربية شباب أي مجموعة منها، وقام بنشر العلم الشرعي بكل طاقته في كل اتجاه، وتلامذة الشيخ من جميع الجماعات والتنظيمات الإسلامية فله تلاميذ وأحباب من جماعة الإخوان المسلمين ومن جماعة حزب التحرير ومن جماعة عباد الرحمن ومن السلفيين، ولم ينشىء الشيخ تنظيماً خاصاً ولا أقام جماعة خاصة بنظام خاص، لا لعجزه عن ذلك ولا لأنه يرى أن هذا حرام وإثم، ولكن لأنه يرى أن الأولى به أن ينشر علمه للناس جميعاً وللجماعات كافة وذلك أنه يرى أن المنهج السلفي لفهم الدين هو المنهج الكفيل بعودة المسلمين إلى الدين الحق عقيدة وعبادة ومعاملة وأخلاقاً».

مراجع للتوسع:

- حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه، محمد إبراهيم الشيباني.
- علماء الشام في القرن العشرين، محمد حامد الناصر.
- محدث العصر الإمام محمد ناصر الدين الألباني كما عرفته، عصام موسى هادي.
- الألباني بقلمه، عصام هادي.
- الإمام الألباني دروس ومواقف وعبر، عبدالعزيز السدحان.
- محمد ناصر الدين الألباني محدث العصر وناصر السنة، إبراهيم العلي.
- مقالات الألباني، نور الدين طالب.
- علماء ومفكرون عرفتهم، محمد المجذوب.

هبة الله الشيرازي
ينشر الدعوة الإسماعيلية في الأراضي العباسية

هيثم الكسواني(*) - خاص بـ «الراصد»

لم يكن هبة الله الشيرازي كسائر الدعاة الإسماعيليين العلنيين أو السريين، إذ أنيطت به، - إضافة إلى نشر العقائد الإسماعيلية- واحدة من أخطر المهمات وأصعبها، وهي قلب نظام الحكم في دولة الخلافة العباسية ببغداد لصالح الدولة العبيدية الفاطمية، صاحبة المذهب الشيعي الإسماعيلي، وراعيته، وهو ما كاد يتحقق لولا فضل الله ورحمته.

إسماعيلي عريق

نشأ المؤيد في الدين هبة الله بن موسى الشيرازي في أسرة إسماعيلية عريقة، فقد كان أبوه من كبار رجال الدعوة الإسماعيلية في بلاد فارس، في زمن خليفة العبيديين الفاطميين، الحاكم بأمر الله (توفي سنة ٤١١هـ).

أما هبة الله فوُلد في سنة ٣٩٠ه، (وقيل سنة ٤٠٠هـ)، في مدينة شيراز في بلاد فارس، ونشأ على تعاليم المذهب الشيعي الإسماعيلي، وتولى رئاسة الدعوة في شيراز بعد أبيه. وفي تلك الأثناء كان العبيديون الفاطميون الذين يتخذون من القاهرة مركزا لهم ويسيطرون على مصر والمغرب العربي وأنحاء من الشام والحجاز، يسعون للسيطرة على العراق، حيث مقر الخلافة العباسية التي ينضوي تحتها أهل السنة، وكذلك المشرق (بلاد فارس وخراسان وما وراء النهر)، فأخذوا يبثون الدعاة إليهما، حيث كانت (الدعوة) من أهم طرق نشر الفكر الشيعي الإسماعيلي، والحصول على موالين للعبيديين.

من جهة أخرى، استغل العبيديون الضعفَ الذي دبّ في الدولة العباسية، لا سيما أنه وفي سنة ٣٣٤هـ، كان العباسيون قد وقعوا تحت سيطرة البويهيين، وهم قوم من الشيعة الفرس، وأصبح الخلفاء العباسيون مجردين من الصلاحيات، وصار السلطان البويهي هو الحاكم الفعلي للدولة العباسية، واستمر هذا الوضع حتى سقوط الدولة البويهية على أيدي السلاجقة السنة في سنة ٤٤٧هـ.

استطاع المؤيد هبة الله الشيرازي أن يوطّد علاقته بالسلطان البويهي عماد الدين أبي كاليجار (حكم بين سنتي ٤١٥ - ٤٤٠هـ)، بل بدأ أبو كاليجار يقرأ كتب الإسماعيلية، ويحضر دروس الشيرازي، كما سمح له بالعمل ونشر الدعوة في مناطق نفوذ البويهيين، ودعموه، ثم دعوه إلى العراق، فقام بنشاط ملحوظ، وبلغ من نشاطه أن خطب في شيراز للمستنصر، خليفة العبيديين الفاطميين.

وهذا التقارب بين البويهيين والفاطميين يمكن عزوه إلى العقيدة الشيعية التي كانت تجمع بينهما والكره لدولة الخلافة السنية، إضافة إلى العلاقة السيئة التي كانت تربط العباسيين بالبويهيين، خاصة في آخر أيامهم، فاتخذ البويهيون من تشجيع دعاة الشيعة الإسماعيلية، ومنهم الشيرازي، سلاحا للضغط على الخلفاء العباسيين.

الخروج من شيراز

وبالرغم من الدعم البويهي للشيرازي، إلاّ أنه كان يجد المضايقة والرفض من أهالي شيراز الذين لم يكونوا على منهجه ولا مذهبه، وفي سنة ٤٢٩هـ، صلّى الشيرازي بأتباعه صلاة عيد الفطر قبل المسلمين بيوم، فثارت ثائرة المسلمين، وطلبوا من السلطان أبي كاليجار بأن يطرده ويبعد عنه، كما أن الخليفة العباسي القائم بأمر الله طلب منه تسليم الشيرازي.

في هذه الظروف أُبعِد الشيرازي من شيراز، فتوجه إلى

(*) كاتب أردني.

مدينة بسا في بلاد فارس أيضا، ثم إلى الأحواز، لكنه طُرد منها أيضا، فاضطر إلى أن يهرب إلى مصر حيث مقر إمامِه الفاطمي المستنصر بالله.

ومكث الشيرازي سنوات عديدة في مصر يتقلب في المناصب، ومنها رئاسة ديوان الإنشاء، لكنه ظل بعيدا عن المنصب الذي كان يتمناه (داعي الدعاة) لأنه كان على موعد مع مهمة أخرى، لا تقل أهمية عن مهمته الأولى المتمثلة بتوسيع نطاق الدعوة الإسماعيلية وتوطيد نفوذ الدولة العبيدية في المشرق الإسلامي.

الأنظار نحو العراق

أرسل الشيرازي إلى العراق مؤيّداً بالمال، لتنفيذ مهمة (بل مؤامرة) خطيرة تتمثل في إسقاط الدولة العباسية السنية، وجعْل العراق والمشرق الإسلامي ضمن نفوذ الدولة العبيدية الشيعية، ولتحقيق هذا الهدف استطاع هبة الله الشيرازي أن يستميل أبا الحارث البساسيري[1] أحد أبرز الأمراء في الدولة العباسية، وصاحب المكانة الكبيرة عند الخليفة القائم بأمر الله.

أخذ البساسيري يعمل لمدّ النفوذ الفاطمي إلى العراق، واستفحل أمره، وكاتب الفاطميين بالطاعة، وخلع ما كان عليه من بيعة العباسيين، وبعد أن بلغ إفساد البساسيري ذروته، وعزم على نهب دار الخلافة والقبض على الخليفة، استنجد الخليفة القائم بأمر الله بملك دولة السلاجقة، طغرلبك.

دخل طغرلبك إلى بغداد عاصمة الخلافة، في رمضان من سنة ٤٤٧هـ، وقضى على دولة البويهيين الشيعة، ووضع آخر ملوكها (المسمى بالملك الرحيم) في السجن، أما البساسيري فإنه استطاع الهرب إلى بلاد الرحبة، وهناك كتب إلى المستنصر الفاطمي بأنه على إقامة الدعوة له بالعراق.

لم يطل الأمر كثيرا، إذ استطاع البساسيري وهبة الله الشيرازي بعد ثلاث سنوات من شقّ الصف السلجوقي، والإيقاع بين طغرلبك وأخيه إبراهيم ينّال، وتشجيع الأخير على التمرد، ووعداه بالحصول على مُلك أخيه، وبالفعل تمرد إبراهيم ينّال، فلم يملك طغرلبك إزاء ذلك إلاّ الخروج من بغداد بجنوده، وإنهاء تمرد أخيه، لكن ثمن ذلك على العراق وبغداد ودولة الخلافة العباسية كان كبيراً.

استطاع البساسيري أن يعود إلى بغداد في ذي القعدة من سنة ٤٥٠هـ، وأن ينفذ ما كان يتمناه، ويتمناه من ورائه هبة الله الشيرازي، فدخل البساسيري ومعه رايات العبيديين الفاطميين ومكتوب عليها (الإمام المستنصر بالله أبو تميم معدّ أمير المؤمنين) وعاث في العراق فسادا، وقتل من أهل السنة خلقاً كثيرا.

وأقام البساسيري الخطبة للفاطميين وخليفتهم المستنصر، وكتب اسمه على العملة من الذهب والفضة، ونُفي الخليفة العباسي إلى الأنبار، ولم يسمح له البساسيري بالخروج إلاّ بعد أن أرغمه على كتابة اعتراف بعدم أحقية بني العباس بوجود بني فاطمة الزهراء (أي الفاطميين)، وأعاد الشيعةُ في بغداد العمل بطقوسهم التي كانوا يقيمونها خلال حكم البويهيين.

بداية النهاية

نجحت مؤامرة هبة الله الشيرازي، التي نفّذها البساسيري، في أن تجعل العراق السني ولاية تابعة للدولة الشيعية الإسماعيلية، لكنّ ذلك الأمر لم يطُل، إذ استطاع طغرلبك أن يعود إلى بغداد بعد أقل من عام، بعد أن أنهى تمرّد أخيه، وقتله، وتمكّن من أن يعيد الأمور إلى نصابها، وأن يقضي على البساسيري وفتنته، ويقتله، وأن يعيد الخليفة العباسي مكرّما إلى عاصمته.

أما الشيرازي فإنه عاد إلى مصر مرة أخرى يجرّ أذيال الهزيمة بعد فشل مؤامرته في العراق، واتُّهم باختلاس بعض الأموال التي كانت تُرسل من مصر إلى المتآمرين، لكنه عُيّن بوظيفة (داعي الدعاة) وهو أعلى منصب بعد منصب الإمام الإسماعيلي (خليفة الفاطميين)، تقديرا لدوره في خدمة مذهبه ودولته.

للاستزادة:

١- الإسماعيلية تاريخ وعقائد (ص ٧١٤- ٧١٨) — الشيخ إحسان إلهي ظهير.

٢- التاريخ الإسلامي (الدولة العباسية) (ج٦، ص ٢٠٤- ٢٠٥) — محمود شاكر.

٣- البداية والنهاية (ج ٤، ص ٢٤٧٢ — ٢٤٨٤) — الإمام ابن كثير.

(١) قال فيه الإمام ابن كثير: «أبو الحارث البساسيري التركي، كان من مماليك بهاء الدولة بن عضد الدولة، وكان أولاً مملوكا لرجل من أهل مدينة بَسا، فنُسب إليه، فقيل له: البساسيري، وتلقّب بالمظفر، ثم كان مقدما كبيرا عند الخليفة القائم بأمر الله، لا يقطع أمرا دونه، وخُطب له على منابر العراق كلها، ثم طغا وبغى وتمرد، وعتا وخرج على الخليفة، بل وعلى المسلمين، ودعا إلى خلافة الفاطميين، فتمّ له ما رامه من الأمل الفاسد واستُدرج» البداية والنهاية ٤/٢٤٨٤.

زيارة نجاد لمصر.. ماذا وراء الستار؟

أسامة الهتيمي(*) – خاص بالراصد

لا تخطئ عين أي مراقب ذلك القدر الهائل من الجدل السياسي والديني الذي أثارته زيارة الرئيس الإيراني أحمدي نجاد إلى مصر حول مدلولها وأهميتها وشرعيتها فالزيارة تعد الأولى من نوعها لرئيس إيراني منذ نحو ٣٤ عاما، أي منذ نجحت ثورة الخميني في أن تزيح الشاه من حكم إيران وتستولي على الحكم عام ١٩٧٩م وهو نفس تاريخ قطع العلاقات المصرية الإيرانية حيث كان الرئيس المصري الراحل محمد أنور السادات الزعيم الوحيد الذي قبل باستضافة الشاه على الأرض المصرية بعد أن لفظته أغلب بلدان العالم بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية التي كان الشاه أحد رجالها.

كذلك لم تكن لتمر كل هذه السنوات من القطيعة بين الدولتين استنادا إلى حدث تاريخي هو في أساسه مجرد خلاف سياسي كانت الأيام كفيلة بإذابة حدوده لكن الواقع أن هذه العقود شهدت من الأحداث والمواقف السياسية والأيدلوجية ما هو جدير بأن يعمق من الخلاف والقطيعة بينهما فقد أكدت سياسات إيران الخمينية يوما بعد يوم انحيازها للمشروع الفارسي التوسعي في المنطقة ولو كان ذلك باستخدام عباءة الإسلام لتؤكد مبدأ تاريخيا يمكن استقراؤه بيسر في تاريخ كل الدول الشيعية في المنطقة والتي كانت رغباتها التوسعية دائما ما تأتي على حساب البلدان الإسلامية السنية ولم تكن لتتطلع أبدا إلى توسيع رقعتها عبر الفتوحات الإسلامية للبلدان غير الإسلامية.

كان ذلك الطموح الإيراني (أو الفارسي) بشكل أدق هو العنوان العريض الذي تندرج تحته كل العناوين الفرعية للقضايا والإشكاليات التي فجرتها إيران وكانت سببا مباشرا في توتر العلاقة بينها وبين البلدان العربية السنية سواء في الخليج العربي أو في غيرها من المناطق والتي أقامت أيضا حاجزا نفسيا فيما بينها وبين قطاعات شعبية كبيرة من المسلمين السنة الذين تنامى لديهم شعور تؤكده المواقف بأن إيران تمثل خطرا حقيقيا لا يجب الاستهانة به، بل يجب مواجهته والصمود ضده لأنه في النهاية يشكل جزءا من مخطط عالمي يستهدف تفتيت الأمة الإسلامية وتشتيتها خاصة وأن الدولة الإيرانية الخمينية ومنذ تم الإعلان عنها لم تُضف لبنة واحدة في بناء هذه الأمة واسترداد عافيتها، بل على العكس من ذلك كانت ولا زالت معول هدم في

(*) كاتب مصري.

بنيان جسدها الضعيف عبر محاولات تشييع السنة أو احتلال أراض عربية أو إثارة القلاقل في بعض البلدان.

وفي هذا السياق أدركت قطاعات السنة أن الصراع الظاهري الدائر بين الدولة الإيرانية وغيرها من قوى الإمبريالية العالمية (أمريكا وأوروبا) ليس إلا شكل من أشكال الصراع على المصالح وأن الدولة الإيرانية لا تدافع عن مصالح الأمة الإسلامية بجملتها – كما تروج وتدعي- وإن بدا هذا في ظاهر الأمور كما هو حادث مع المسألة الفلسطينية إذ أن ذلك ليس إلا محاولة من محاولات استعطاف الشعوب العربية وضمان انحيازها لإيران في صراعها مع الغرب أما حقيقة الأمر فإن إيران لا تشغل إلا بما يحقق أهدافها وهو ما أبرز الكثير من تناقضاتها التي لم تعد خافية على كل ذي بصر وبصيرة، ففي حين تبدو داعمة لأطراف فلسطينية محسوبة على المقاومة تقتل في الوقت ذاته وتشرد الفلسطينيين في العراق.

نجاد في القاهرة

في هذا الإطار لا يمكن تفسير زيارة نجاد لمصر إلا باعتبارها محاولة منه أن يقنع أمته الفارسية خلال سنوات ولايته الأخيرة بأنه تمكن من تحقيق إنجاز كبير على صعيد العلاقات الخارجية وذلك بإنهاء القطيعة بين بلده ومصر ومن ثم فإن هذا يعد ضربة قوية للغرب الذي يحاول أن يعزل إيران عن محيطها العربي والإسلامي خاصة وأن مجرد الحديث عن تبادل الزيارات بين رئيس إيراني ورئيس مصري كان قبل ثلاث سنوات فقط هو حديث شبه مستحيل.

ويعني هذا أن جل تركيز نجاد هو أن ينهي حالة الفتور في العلاقات بين القاهرة وطهران وأن يخطو خطوات جادة وفعلية في اتجاه تحسينها بشرط أن يحقق المعادلة الصعبة والتي تعني أن لا تقدم إيران أية تنازلات فيما يخص ملفاتها الإستراتيجية والتي يعلم جيدا أن الحوار حولها سيثير موجة من الغضب الشعبي الإيراني الشديد ضده، ليس من قبل المعارضة التقليدية له فحسب ولكن أيضا من قبل القطاعات المؤيدة والداعمة له وهو أمر لا يمكن أن يتحمله نجاد في ظل الظروف السياسية التي تعيشها إيران الآن.

وقد يفسر لنا ذلك اللغة الحميمية التي تحدث بها نجاد عن مصر ودورها وحضارتها وثقافتها ورغبة الشعب الإيراني في أن يتقارب مع مصر والمصريين ومن ذلك تأكيده على حرص إيران على توطيد أواصر التعاون مع مصر فى مختلف المجالات قائلا: «إن التقدم والقدرة والعزة لمصر هي قدرة وعزة لإيران وكل شعوب المنطقة». وقوله أيضا: «إن توسيع العلاقات مع مصر هو قرار وطني فى إيران قبل أن يكون قرار رئيس فى إيران. وإنه يكن كل الاحترام لمصر ولشعبها ويتطلع إلى علاقات أفضل معها».

وانعكس هذا أيضا في القرار الذي اتخذه وأعلنه نجاد والخاص بإلغاء التأشيرة الإيرانية للسياح والتجار المصريين فضلا عن محاولات التودد للأزهر ورجاله ودعوته للكثيرين من قيادات العمل السياسي في المعارضة سواء من الإسلاميين أو من غيرهم أو حتى من قادة الإئتلافات السياسية الإسلامية بمن فيهم من ينتمون للتيار السلفي الذي يفترض أنه على غير وئام مع الشيعة أو الدولة الإيرانية بل ويرفض من الأساس زيارة نجاد لمصر.

ولم يفت إيران أن تعلن عن تقديم خدماتها الاقتصادية التي تدرك جيدا مدى حاجة مصر إليها بعد تردي أوضاعها الاقتصادية بشكل خطير حيث أعلن وزير النفط الإيراني رستم قاسمي أنه عقد مباحثات مع المسئولين المصريين بوزارة النفط بشأن أمن الطاقة فى البلدين وأن بلاده اقترحت الاستثمار

فـي قطـاع صـناعة الـنفط والغـاز وبنـاء الوحـدات البتروكيماويـة كمـا عرضـت تجربتهـا فـي إصـلاح الـدعم واسـتعدادها لوضـع هـذه التجربـة تحت تـصرف مـصر فـضلا عـن أنهـا أبـدت اسـتعدادها للعمـل فـي حقـل الإنتـاج والتـصدير ونقـل الغـاز إلى مـدن مـصر المختلفة.

لكـن بـالطبع لم تنطـلِ قـرارت نجـاد وسـلوكه علـى المتـيقظين لـسلوك الـشيعة، فالحـديث مـثلا عـن إلغـاء تأشـيرة دخـول التجـار والـسائحين المـصريين لإيـران هـو محاولـة التفافيـة المقـصود منهـا أن تقـوم مـصر باتخـاذ خطـوة مماثلـة بمـا يفـتح البـاب علـى مـصراعيه أمـام الإيـرانيين سـائحين وغـير سـائحين لـدخول الـبلاد ونـشر الثقافـة الإيرانيـة والمـذهب الـشيعي وتكـوين ظهـير سياسـي داعـم ومؤيـد لإيـران وسياساتها.

ولا يعـد ذلـك اسـتنتاجا بـل هـو تحليـل يـستند إلى مـا ذيـل بـه نجـاد نفسه قـرار إلغـاء التأشـيرات إذ قـال بـالحرف الواحـد: «ننتظـر ردا ممـاثلا مـن الجانـب المـصري». وعليـه فإنـه إذا لم تتخـذ مـصر نفـس الموقـف الـذي يهفـو إليـه نجـاد والإدارة الإيرانيـة فـإن أمـر التراجـع عـن القـرار الـسابق والـذي سـيدخل حيـز التنفيـذ بعـد شـهر وارد وبقـوة، خاصـة وأن ثمـة أصـواتا إيرانيـة أبـدت امتعاضـها مـن هـذا القـرار وقالـت إن نجـاد كـان يجـب أن يعـود إلى البرلمـان قبـل اتخـاذه، إذ أن ذلـك تجـاوز لـصلاحياته بـل إن بعـض البرلمـانيين لم يـتردد في أن ينتقـد القـرار حتـى أن أحـدهم وصـفه بأنـه «قرار دبلوماسي غير عقلاني».

مرسي وملامح التغيير

لـيس مـن شـك في أن طريقـة تعـاطي الإدارة المـصرية الجديـدة مـع العديـد مـن القـضايا وخاصـة الملفات الخارجيـة يـأتي مـن قبيـل المغـايرة مـع مـا كـان يتبعـه النظـام المـصري الـسابق بقيـادة حـسني مبـارك الـذي كـان يـدور في فلـك مـا تمليـه عليـه الإدارة الأمريكية على وجه الخصوص.

وتـأتي مـسألة العلاقـات المـصرية – الإيرانيـة كواحـدة مـن بـين هـذه القـضايا ولهـذا فقـد حـرص الـرئيس المـصري محمـد مرسـي ومـن قبـل توليـه لموقـع رئاسـة الجمهوريـة علـى أن يؤكـد أن إعـادة العلاقـة مـع إيـران إحـدى الخطـوات الـتي يجـب أن تحـرص عليهـا مـصر خـلال المرحلـة المقبلـة وهـو نفـس مـا أكـده المرشحون آنذاك لموقع الرئاسة المصرية.

غـير أن الطـرح النظـري يختلـف كـثيرا أحيانـا عـن الواقـع فالتجربـة العمليـة تفـرض أحيانـا علـى أصـحابها مـا لم يكـن في مخـيلاتهم، ولهـذا فقـد اصـطدم الـدكتور مرسـي بواقـع وظـروف سياسـية تـرتهن لاعتبـارات أخـرى يجـب مراعاتهـا، ومـن ثـم فـإن مجـرد الحـديث عـن عـودة العلاقـات المـصرية – الإيرانيـة لـيس حـديثا مجـردا أو في الفـراغ دون النظـر إلى محددات لهذه العلاقة وشروط استئنافها.

وقـد اضـطرت هـذه الاعتبـارات إلى أن لا يبـالغ مرسـي في اتخـاذ خطـوات للتقـارب مـع الإيـرانيين ففـضلا عـن أن هـذا يعـد تجـاوزا لهـذه الاعتبـارات هـو أيـضا قفـز فـوق الموقـف العـام للأغلبيـة الـشعبية المـصرية الـتي استـشعرت في الآونـة الأخـيرة بالـذات مـدى البـون الـشاسع الـذي يفـصل بينهـا وبـين الدولـة الإيرانيـة الـتي بـدا أنهـا تـصر علـى إجهـاض حلـم التغيير في الـشقيقة سـوريا بـدعمها اللامتنـاهي لنظـام بـشار الأسـد وهـو مـا أكـده اسـتطلاع لمركـز بيـو نـشرته مـؤخرا صـحيفة واشـنطن بوسـت الأمريكيـة والـذي قـال إن ٧٦٪ مـن المـصريين لـديهم وجهـات نظـر سـلبية عن إيران مقابل ٦٨٪ من الأمريكيين.

يـضاف إلى ذلـك أن حلفـاء مرسـي مـن الأحـزاب الإسـلامية الـتي تنتمـي أغلبهـا للتيـار الـسلفي تنظـر إلى إيـران بـشكل مريـب وتتهمهـا بـلا مواربـة بأنهـا تـسعى إلى نـشر المـذهب الـشيعي في المنطقـة وأن التقـارب معها يسهل عليها مهمتها.

وعليـه فـلا يمكـن النظـر بأهميـة قـصوى للاحتفـاء الـذي أبـداه مرسـي عنـد اسـتقبال نجـاد فـذلك ربمـا جـاء ردا علـى ذلـك الاحتفـاء الـذي قوبـل بـه - مـن قبـل - الـرئيس مرسـي في طهـران وقـت زيارتـه لهـا خاصـة وأن نجـاد أحـد الزعمـاء القلـة الـذين حـضروا بأنفـسهم للمـشاركة في القمـة الإسـلامية إذ اكتفـت أغلبيـة البلـدان الإسـلامية بإرسـال مـن يمثـل قادتها.

كـذلك لا يمكـن أن نتجاهـل موقـف مرسـي الـذي حظـي بإشـادة أغلـب الأطـراف الـسنية خـلال تواجـده في شـهر أغـسطس الماضـي بطهـران حيـث الترضـي علـى الخلفـاء الراشـدين الأربعـة (أبـي بكـر وعمـر وعثمـان وعلـي رضـي الله عـنهم) في كلمتـه الـتي ألقاهـا في مـؤتمر قمـة عـدم الانحيـاز في حـضور المـسئولين والمراجـع الـشيعة وهـو مـا مثـل رسـالة أراد مرسـي أن يبعـث بهـا لـلإدارة الإيرانيـة مفادهـا أن التقـارب بـين الـدولتين ممكـن غـير أن هـذا يجـب أن يكون وفق شروط دينية وسياسية.

ولـيس مـستبعدا أيـضا أن تكـون مـسألة التقـارب مـع الدولـة الإيرانيـة براجماتيـة سياسـية ينتهجهـا النظـام المـصري، وأن الحـديث عـن التقـارب والاتجـاه نحـوه ربمـا يكـون أحـد أشـكال الـضغط علـى بلـدان الخلـيج مـن أجـل زيـادة دعـم الاقتـصاد المـصري خاصـة وأنـه لم يـرق حتـى الآن للمـستوى المطلوب أو الذي كان متوقعا.

وتتحـرك الإدارة المـصرية في هـذا الاتجـاه وهـي حريـصة تمـام الحـرص علـى أن لا تفقـد علاقتهـا بـدول الخلـيج فالمكاسـب الـتي يمكـن لمـصر أن تحققهـا مـن إيـران لا تقـارن مطلقـا بمـا تحققـه مـن العلاقـة مـع الخلـيج ولكنهـا مـع ذلـك تريـد أن تحقـق أقـصى مـا يمكـن مـن مكاسـب ولهـذا نجـد أن وزيـر الخارجيـة المـصري محمـد كامـل عمـرو وبـالتزامن مـع زيـارة نجـاد للقـاهرة يـسعى إلى طمأنـة دول الخلـيج بـأن التقـارب بـين القـاهرة وطهـران لـن يجـري علـى حـساب أمنهـا مؤكـدا أن «علاقـات مـصر بـأي دولـة لـن تكـون أبـداً علـى حـساب أمـن دول أخـرى». ومـضيفا أن «أمـن دول الخلـيج بالتحديـد هـو خـط أحمـر لمـصر ولـن تـسمح بالمـساس بـه أبـداً فـأمن دول الخلـيج هـو أمن مصر».

الأزهر دور حاضر

في ظـل المعطيـات الـسابقة يبـدو أن الأزهـر الـشريف قـدر الموقـف الـسياسي الـصعب الـذي تعيـشه مؤسـسة الرئاسـة ولـذلك فقـد حـرص قـدر الاسـتطاعة علـى تحقيـق المعادلـة الـصعبة والـتي مـن شـأنها أن تخفـف العـبء عـن كاهـل الـرئيس مرسـي وتحقـق بعـضا مـن طموحـات وتطلعـات الـشارع خاصـة وقـد تـصاعدت حـدة الاحتجاجـات الرافـضة لزيـارة الـرئيس نجـاد للدرجـة الـتي تعـرض فيهـا لموقفين لهمـا دلالتهمـا الهامـة **أحـدهما** بعـد أدائـه لـصلاة العـشاء بمـسجد الحـسين بوسـط القـاهرة حيـث قامـت مجموعـة مـن المحتجين منهم شاب سوري بإلقاء الأحذية باتجاهه.

والثـاني قيـام شـاب مـصري بترديـد هتافـات معاديـة لـه ولـبلاده ولبـشار الأسـد بعـد اللقـاء الـذي عقـده مـع مجموعـة مـن قيـادات الأحـزاب الـسياسية المـصرية في منـزل القـائم بأعمـال الـسفارة الإيرانيـة في القـاهرة فـضلا عـن تنظـيم ناشـطين سياسـيين مـصريين وسـوريين وعـراقيين لوقفـات احتجاجيـة ضـد الزيـارة مـا دفـع الأمـن المـصري لإلقـاء القـبض علـى بعضهم ثم الإفراج عنهم بكفالة مالية.

وقـد كـان كـل ذلـك وغـيره حاضـرا في ذهـن ووعـي الـدكتور أحمـد الطيـب شـيخ الأزهـر عنـد لقائـه بـالرئيس الإيرانـي ومـن ثـم لم يـشأ شـيخ الأزهـر أن تكـون الزيـارة مجـرد مكـسب سياسـي يحققـه الـرئيس الإيرانـي الـذي لم يـترك فرصـة أمـام الكـاميرات إلا ولـوّح بأصـبعيه بعلامـة النـصر وكأنـه يقـول للآخـرين المخـتلفين مـع إيـران: هـا أنـا قـد

انتصرت عليكم والدليل زيارتي للقاهرة وقد تم استقبالي بحفاوة وها هي زيارتي لمؤسسة الأزهر ولقائي بشيخه وعلمائه وهكذا.

وقرر شيخ الأزهر أن لا يكون اللقاء مجرد بروتوكول دبلوماسي دون أن يطرح فضيلته بعضا من القضايا التي تنغّص على نجاد وإيران حلاوة فرحتهم بما اعتقدوه انتصارا فطالبه وفق البيان الصادر عن الأزهر بـ «عدم التدخل في شؤون دول الخليج وباحترام البحرين كدولة عربية شقيقة ورفض المد الشيعي في بلاد أهل السنة والجماعة واستصدار فتاوى من المراجع الدينية تجرم وتحرم سب السيدة عائشة وأبي بكر وعمر وعثمان والبخاري حتى يمكن لمسيرة التفاهم أن تنطلق».

كما طالب الطيب بـ «ضرورة العمل على إعطاء أهل السنة والجماعة في إيران وخاصة في إقليم الأهواز حقوقهم الكاملة كمواطنين كما تنص على ذلك الشريعة الإسلامية وكل القوانين والأعراف الدولية والعمل على وقف النزيف الدموي في سوريا الشقيقة والخروج بها إلى بر الأمان».

وإلى حد كبير حقق موقف شيخ الأزهر الهدف منه فهو من جهة حظي بترحيب وإشادة من قبل دول الخليج حيث أبدى الأمين العام لمجلس التعاون الخليجي عبد اللطيف بن راشد الزياني ترحيبه بهذه المواقف قائلا: إن «موقف فضيلة الإمام الأكبر إزاء تدخلات إيران فى شئون دول المجلس ليس جديدا ولا غريبا بل هو موقف ثابت طالما أكده وعبر عنه بكل صراحة ووضوح وهو ما يعكس حرصه على مصالح الأمة الإسلامية وعلى كل ما يجمعها ويجنبها حالات الخلاف والفرقة والانقسام ونابع من دور الأزهر الشريف فى توحيد صفوف الأمة الإسلامية وجمع كلمتها ودرء المخاطر التى تهدد أمنها ومصالح شعوبها».

وأعرب الزيانى عن أمله فى أن تلقى دعوة الطيب استجابة من القيادة الإيرانية انطلاقًا مما يربط دول المجلس وإيران من روابط العقيدة والجوار والتاريخ الحضاري المشترك والمصالح المتبادلة.

ومن ناحية أخرى فقد أثار بيان الأزهر الذي ألقاه الدكتور حسن الشافعي نيابة عن الدكتور الطيب في المؤتمر الصحفي الذي جمعه مع الرئيس الإيراني وتغيب عنه الطيب استياء الرئيس الإيراني الذي هدد بالانسحاب من المؤتمر عندما تطرّق بيان الأزهر إلى أن الجانبين اتفقا على وقف الإساءة للصحابة وزوجات النبي ﷺ.

وبشأن النقطة السالفة فإن البعض يحلو له أن يقارن بين هذا الموقف وموقف الدكتور مرسي في طهران عندما ترضى على الخلفاء الراشدين معتبرين أن نجاد أراد أن يرد على مرسي والحقيقة أنها مقارنة ظالمة فالموقف الحادث في الأزهر وضع نجاد في موقف حرج وربما أسقط الكثير من أوراق التوت التي حاول أن يتستر بها أمام المسلمين السنة وبالتالي فقد كان انتقاصا مما كان يسعى له.

نجاح جزئي

لكن هذا لا ينفي أن زيارة نجاد وبكل أسف حققت شيئا من النجاح تمثل في مظهرين مهمين:

الأول: في التمكين لبعض من يروجون لإيران ويدافعون عن سياساتها ومن ثم تمهيد الأرضية الشعبية لتقبل الدولة الشيعية باعتبارها دولة صديقة تحرص على المصالح العليا لمصر وتعمل جاهدة على التعاون معها.

وقد كان الإخوان المسلمون وحزب الحرية والعدالة – جناحها السياسي - من حيث يدرون أو لا يدرون جزءا من تحقيق هذا الهدف سواء بالاحتفاء بنجاد أو بقيام الداخلية المصرية باعتقال بعض الإسلاميين المحتجين على زيارته أو بحرصهم على إدانة حادث إلقاء الأحذية حيث صرح الدكتور

أحمد عارف المتحدث باسم جماعة الإخوان المسلمين بأنهم يرفضون إلقاء «الجِزَم» في وجه الرئيس الإيراني.

الثاني: كسر الحاجز النفسي بين إيران وبعض العناصر من النخبة السياسية إذ حرصت السفارة الإيرانية على أن توجه الدعوة الخاصة باحتفالية الذكرى ٣٤ على الثورة الخمينية والتي حضرها نجاد في منزل السفير مجتبى أماني بالقاهرة إلى عناصر وشخصيات يفترض أنها محسوبة على تيارات فكرية وسياسية على غير وفاق مع إيران وسياساتها.

كما كان من بين هؤلاء المرحبين بالزيارة، بل والذين قبلوا بدعوة المشاركة في حفل ذكرى الثورة بعض قادة جماعة الجهاد وحزبها (الحزب الإسلامي) الذين ذاق بعض زملائهم ويلات السجون والمعتقلات الإيرانية زمن استضافتهم في طهران بعد هروبهم من مصر في الثمانينات والتسعينات من القرن الميلادي الماضي نتيجة الحملات الأمنية المضادة لهم آنذاك.

ومن نماذج هؤلاء: محمد أبو سمرة، أمين الحزب الإسلامي، الذراع السياسية لتنظيم «الجهاد» الذي قال: «إن زيارة نجاد لا مشكلة فيها على الإطلاق ولهذا أتعجب من موقف بعض الأحزاب السياسية الرافضة لزيارته».

وأضاف أبو سمرة: «نريد أن يكون لنا علاقات سياسية مع إيران بوصفها أكبر دولة إسلامية وتمثل ركنا قويا ضد الصهيونية العالمية وضد الكيان الإسرائيلي».

وقال: «سنطالب الرئيس الإيراني بالكشف عن حجم المساعدات التى عرضتها إيران على مصر سواء كانت مساعدات عسكرية أو نووية أو تكنولوجية مؤكداً أن مصر فى أحوج ما يكون للمساعدات الإيرانية على صعيد الاستخدام النووي السلمي للطاقة».

ويبقى في الختام كلمة لابد من أن نوجهها للرئيس مرسي ولجماعة الإخوان المسلمين تتعلق بموقف إيران من الواقع السياسي في البلاد ومدى التزامها بعدم التدخل في الشأن المصري في ظل بعض المعطيات التي ربما تحمل إجابة ضمنية نافية حيادية إيران مما يحدث في مصر.

فقد شملت الدعوة التي وجهتها السفارة الإيرانية للقاء نجاد أعضاء ما يسمى بجبهة الإنقاذ الوطني والذين من بينهم الدكتور محمد البرادعي وحمدين صباحي وعمرو موسى والسيد البدوي وهي الدعوة التي كان يمكن قبولها في ظروف مغايرة لما تعيشه مصر وسط إصرار غريب من قبل هذه العناصر على إفشال الحكم الإسلامي وإسقاط الدكتور مرسي.

كذلك فإن ثمة أمرا في غاية الخطورة تمثل في تصريحين صدر أحدهما عن وزير الخارجية الإيراني علي أكبر صالحي في معرض ردّه على سؤال بشأن ما يمنع عودة العلاقات الكاملة بين ايران ومصر خاصة عقب تغيير النظام فى مصر؟ حيث قال: «عندما تأتي الحكومات من إرادة الشعب يستتب الصلح والسلام والترابط بين الشعوب» في حين كان التصريح الآخر ضمن مقال في صحيفة جمهوري إسلامي الإيرانية والتي قالت في معرض تعليقها على عودة العلاقات بين البلدين: «إن موقف حكومة الدكتور مرسى غير منطقي مشيرة إلى أن العلاقات بين إيران ومصر ستستأنف عندما تمتلك مصر حكومة ذات موقف حازم وواضح وشعبي وثوري لكن هذه المواقف لا ترى فى حكومة الدكتور محمد مرسي».

والواضح أن كلا التصريحين يعتبران أن حكومة الدكتور مرسي ليست ثورية ولا تعبر عن الثورة وبالتالي إذا ما تم قراءة التصريحين في ظل دعوة قادة جبهة الإنقاذ للقاء نجاد فضلا عن المعلومات المتواترة عن دعم إيران

للمرشح الرئاسي الخاسر حمدين صباحي فإن ما يمكن أن نستنتجه هو أن إيران لاعب كبير جدا في الحياة السياسية المصرية وأنها غير قابلة ببقاء الإخوان في الحكم ومن ثم ستعمل على إسقاطهم أيضا وهو ما يطرح السؤال المحير دائما.. لماذا يتعاطى الإخوان مع إيران من منطلق التقارب في الوقت الذي تتعاطى فيه إيران مع الإخوان وفق سياسات المصلحة الخاصة بها فقط؟

ضرورة الحراك الشعبي لسُنة العراق

سُليمان نزار(*) – خاص بالراصد

قبل اندلاع الانتفاضة السنية (٢٠١٢/١٢) كان من الصعب الحديث عن مستقبل الوجود السني في العراق بشيء من التفصيل والإسهاب، فالخيارات محدودة والآفاق ضيقة والحلول دائرة بين السيئ والأسوأ، حتى انتهى ظن المتفائلين إلى أن سنة العراق في طريقهم لحال مماثلة لحال سنة إيران أو سنة بلاد الشام قبل ثورة آذار ٢٠١١.

وللحديث عن مستقبل السنة لابد من الوقوف على أهمية الحراك الشعبي وانعكاساته على واقع أهل السنة ومستقبلهم.

المواجهة الأولى بين السُنة والسلطة الشيعية

يستمد الحراك أهميته من كونه يمثل المواجهة الأولى بين الجمهور السني والسلطة الشيعية، ففي سنوات الاحتلال الأولى (٢٠٠٣- ٢٠٠٤) كان الشيعة يحتمون بالقوات الأمريكية للتنكيل بأبناء المدن السنية، بينما كان السنة يعتبرون هذه القوات تشكيلات عميلة موالية للعدو الأجنبي، فلم تأخذ المواجهة طابع الاحتكاك المباشر.

وفي فترة الحرب الطائفية (٢٠٠٥- ٢٠٠٧) لم ينخرط المدنيون السنة بشكل واسع في «حرب الدفاع عن وجودهم في بغداد ومحيطها» مقارنة بالمشاركة الشعبية الشيعية الواسعة، وذلك لعدة أسباب:

- وجود فصائل المقاومة التي تولت مسؤولية الدفاع عن الأهالي، لكنها لم توفق في مهمتها لأسباب كثيرة.
- طغيان تنظيم القاعدة بأفكاره ونشاطه المدمر والمفسد لإنجازات المقاومة.
- انعدام التكافؤ والتوازن في القوة بين أطراف المواجهة.
- ضعف الاستعداد النفسي والمعنوي لخوض مواجهة ضد الشيعة، فالخطيب الشيعي في مناطق الشُعلة والكاظمية والعطيفية[1] بإمكانه حشد الآلاف من الشباب للهجوم على أحياء الغزالية والعدل والجهاد والدورة[2]، أما بالجانب السني فنجد هذا الأمر في حُكم الصعب أو المستحيل لغرابته واستهجانه لدى كثير من أبناء السنة، وقد استغل تنظيم القاعدة هذا الفراغ فاستقطب الشباب المتحمس واستعملهم في عملياته التي لا ترد شراً ولا تقرّب نصراً.

إعادة السنة إلى ميدان المواجهة

العراق قبل الانتفاضة السنية بات مسرحاً للصراع بين الأكراد والشيعة، حتى ظن البعض أن المكون السني قد انقرض وانعدم وجوده في العراق وذلك بسبب الفساد والجشع المالي وهشاشة الأداء السياسي الذي هيمن على ممثلي السنة (القائمة العراقية)، بل إن صوت الأكراد في انتقاد دكتاتورية رئيس الوزراء نوري المالكي ونهجه التسلطي كان أقوى من بعض الأصوات الخجولة المحسوبة على المكون السُني، مع أن المتضرر الأكبر هم أبناء العرب السنة.

لم تنجح القوى السياسية والعسكرية السنية في قيادة معركة الدفاع عن الوجود السني المهدد لذلك جاءت الانتفاضة الشعبية لتقدم الحل لانتشال السنة من حالة الانهيار المستمر والخروج من ظلمات الإذعان للمالكي والخوف من القادم المجهول.

(*) ناشط في الحراك الشعبي السني في العراق.

(١) مناطق شيعية في كرخ بغداد.

(٢) مناطق سنية في كرخ بغداد.

التصدي للتمدد الشيعي

الدولة الشيعية بقيادة المالكي تمارس بحق أبناء السنة الإرهاب بكافه أشكاله (العسكري، القضائي، السياسي)، فالقوات الشيعية تعبث بالمحافظات والمدن السنية (الموصل، سامراء، أبو غريب) من خلال الاعتقالات والتعذيب في السجون والإهانات الطائفية في الطرقات والشوارع، فضلاً عن إفساح المجال أمام تنظيم القاعدة لتنفيذ عملياته. أما القوات الخاصة المرتبطة بالمالكي فتنطلق من بغداد لتعتقل من تشاء في الوقت الذي تشاء.

أما القوانين الإقصائية وعلى رأسها (المساءلة والعدالة، والمادة ٤ إرهاب) فقد سلبت السني استقراره الأمني والمعيشي وأسكنته في أجواء القلق والاضطراب والضنك المادي والإحساس بالظلم والحيف.

ومطالب المتظاهرين السنة لا تتعلق باسترداد الحقوق ورفع الظلم فحسب وإنما بتعديل السياسات والقوانين التي تمكّن الشيعة من فرض إرادتهم وسلطتهم المطلقة على العراق.

إخماد نار النفاق في الوسط السني

المشروع الشيعي لم يكتفِ بأسلحة التنكيل والترهيب وإنما اعتمد أيضاً سياسة الترغيب والإغراء المادي وشراء الذمم والولاءات بين السنة حتى كثر المروجون لسياسة المالكي ومشاريعه، وأصبحت سموم «ائتلاف دولة القانون» و«حزب الدعوة» تسري في عروق بعض وجهاء وقادة الجسد السني.

فالمؤيدون السنة للمالكي تجدهم في كافة المجالات والمستويات (السياسية والأمنية والدينية والعشائرية) أما مهمتهم فهي التغطية على النشاط الطائفي لحزب الدعوة وإضفاء الشرعية على عمل الحكومة التي تسعى للظهور بالمظهر الوطني المحايد، أو الوشاية بالناشطين السنة وتلفيق التهم لهم، وبعد قيام الانتفاضة خفتت بعض الأصوات المؤيدة للمالكي وبعضها انحاز إلى الجمهور والمتظاهرين. ولكن هل هؤلاء تابوا فعلاً؟

أي مستقبل ينتظر سُنة العراق؟

إن ثقتنا برحمة الله تعالى ونصرته للضعفاء تمنحنا الثبات على المطالبة بحقنا وعدم الخضوع للطغاة والمستكبرين، فالمتظاهرون في العراق ينظرون إلى إخوانهم في الشام وقد قطعوا شوطاً كبيراً في التحرر من نظام يفوق طغيانه طغيان المالكي بأضعاف مضاعفة وهذا مما يحفزهم ويدفعهم للمواصلة والثبات.

ولا شك بأن ضريبة القعود عن الثورة أكبر من ضريبة المضي فيها ومواصلة الاحتجاج والمطالبة بالحقوق، ففي القعود مغارم يتبعها كوارث وحال مجهولة، وفي المواصلة مغارم يتبعها مغانم ومكاسب كثيرة بإذن الله تعالى.

كما كشفت إنتفاضتنا عن خذلان أبناء الشيعة لثورتنا، فلم تنتفض العشائر الجنوبية لكرامة النساء السنيات، وتيقن كثير من أبناء الأنبار – الذين كانوا يحسنون الظن بعشائر الشيعة – أن المالكي يستقوي بالمرجعية الدينية والعشائر العربية الشيعية أكثر من استقوائه بأجهزته الأمنية.

صفحات من تاريخ المقاومة الشعبية للتشيع في العراق (٢/١)

عبد العزيز بن صالح المحمود(*) – خاص بالراصد

مرّ على الحراك الشعبي في العراق أكثر من ستة أسابيع، وبدأت تظهر في الأفق علامات على تطورات جديدة، من سقوط قتلى (نحسبهم عند الله شهداء) في الفلوجة، ومن نجاح البرلمان العراقي في تحديد فترة رئيس الوزراء الشيعي نوري المالكي بولايتين فقط[1]. وستأتي المبشرات بالخير للشعب

(*) كاتب عراقي.

(١) وهذا القانون يحتاج إلى موافقة المحكمة الدستورية ليصبح نافذاً، وهذا القانون يشير إلى تشكل توافق سني وكردي مع بعض الشيعة على إزاحة الشيعي الدكتاتور نوري المالكي.

العراقي الصابر على الإحن والمحن.

والجميع يعرف أن الحراك في العراق سني بامتياز، وهو صورة من ثورة سُنية على الظلم والإقصاء الشيعي الإيراني لأهل السُنة منذ الاحتلال الأمريكي ٢٠٠٣م، هذا الظلم الذي عانى السنة منه حتى بلغوا مرحلة الغليان والانفجار، وساعدت الأحداث في دول الربيع العربي بصورة عامة وبما يجري في سوريا الشام من بشائر النصر بزوال هيمنة الاحتلال الإيراني النصيري (العلوي) لأرض الشام منذ أكثر من ٤٠ سنة.

ولابد لأهل العراق أن يعلموا أن في تاريخ العراق صفحات مطوية، تمثل جهودا تشبه ما يجري اليوم من صور مقاومة التشيع.

وكنّا في مقالاتنا السابقة بالراصد (جُهود عُلماء العِراق ومفكريهم ودعاتهم في الردّ على الشيعة) تناولنا جهود النخب من أهل العلم والحكام والمفكرين خلال أربعة قرون، واليوم نتناول الجهود الشعبية الجماهيرية السنية خلال تاريخ الإسلام كله في صدّ ومقاومة التشيع في العراق.

لماذا نقاوم التشيع؟

مخطئ ومجانب للحقيقة والواقع من يتصوّر أن التشيّع يقتصر على اعتقاد محبة أهل البيت، وأن علياً رضي الله عنه هو خير الصحابة، وأن مذهب آل البيت الفقهي والعقائدي أولى بالاتباع من غيره، وأن الشيعة هم أفضل المؤمنين من غيرهم، أو أنهم الخاصة وغيرهم من العامة.

إذ يمكن أن يعد كل هذا بغضّ النظر عن صوابه من عدمه آراء خاصة بالشيعة يمكن أن تناقش في حيز الأفكار، لكن التشيع في حقيقته وواقعه هو فكر وسلوك إقصائي لا يعترف بغيره، بل يعتبر غيره كافراً، وأن على الشيعة أن يستغلوا ويتحينوا الفرص كي يزيحوا ما عدا الشيعة من أي بلد.

إذاً التشيع هو حركة إقصائية تكفيرية، لا تؤمن بالتعايش مع غيرها، فضلا عن أن تكون حركة وطنية تؤمن بالمواطنة، وحق الآخر في العيش على حد سواء، إنه تفكير وسلوك يشبه التفكير اليهودي؛ فهم شعب الله المختار وغيرهم خدم لهم، لكن هذا الأمر لا يظهر جلياً واضحاً حين يكون التشيع تحت ظل حكم سُني؛ لأن التقية جاهزة لمثل هذه الظروف، لكنك تلحظ هذا واضحا عندما يحكم الشيعة أي بلد من البلدان، فعندما حكم الشيعة الصفويون إيران ذبحوا السُنة واضطهدوهم، وعندما حكم الشيعة العراق إبان دخول الصفويين بغداد هدموا المساجد وذبحوا وأعدوا قوائم لذبح أهل السُنة، ومارسوا الإرهاب بكل صوره؛ من التهجير والإقصاء والتعذيب، هذا هو حكم الشيعة تاريخياً.

أما في واقعنا المعاصر: فعندما حكم الشيعة العراق سنة ٢٠٠٥ ليومنا يعيش أهل السُنة تحت طغيانهم وظلمهم الذي لا يصدقه عاقل، فأهل السنة يتعرضون لإرهاب شيعي بشع يقوم على تنفيذ مخطط لإفراغ البلاد منهم؛ بالتهجير والقتل والحبس والاغتصاب والتجويع والإقصاء.

بينما عندما حكم السُنة العراق لمدة ١٤٠٠ سنة عاش الشيعة تحت كنفهم، معززين كمواطنين عاديين، يمنعون فقط من إيذاء أهل السنة (بالشتم للصحابة ولرموز الأمة) ولهم مساجدهم وحسينياتهم، ومزاراتهم وأضرحتهم ومؤلفاتهم.

فلماذا لا يقاوم السنة هذا الدين أو هذه الطائفة التي لا تؤمن بالتعايش الصحيح مع غيرها إلا بأن تقضي على غيرها؟

إنّ أهل السُنّة هم من حافظ على حضارة العراق وبنى مدنها وأسس مجدها وليس الشيعة، وهذه حقيقة معروفة للجميع؛ فهم من بنى الكوفة والبصرة وواسط وبغداد، وفي المقابل حين احتلت أمريكا العراق فإن الذي نهب المتاحف والمؤسسات الرسمية والبنوك هي العصابات والميلشيات الشيعية!

إن هذه الحقيقة يدركها اليوم الجميع، حتى أكثر الناس اليوم تشدقاً بدعوى الوطنية وعدم

ذكر قضايا السنة والشيعة وهو الدكتور الشيخ حارث الضاري يقول: إن إنقاذ العراق لا يتم إلا على يد أهل السُنّة[1]. ويعترف بذلك كثير من القوميين والبعثيين، فهي حقيقة ملموسة ومسلّمة من الجميع.

فحكم التلاميذ المباشرين لمحمد باقر الصدر بعد الاحتلال الأمريكي أنتج لنا عراقاً فاسداً بجميع المقاييس المحلية والدولية والإنسانية، فاسدا ماليا وإداريا واجتماعيا، حتى في مناطق الشيعة. فهل آن لأهل السنة بجميع نخبهم العلمية والفكرية والحاكمة والشعبية أن يحاربوا هذا المرض الذي يريد تدمير البلاد والعباد؟!

تاريخ الحراك الشعبي في العراق لمحاربة التشيع:

رغم أن التشيع نشأ في العراق إلا أنه بقي محصوراً ومحدودا فيه؛ لأن التشيّع حركة باطنية تعتمد مبدأ التقية والتلون، فهي تشبه صفات العبد الذليل: استخذاء تحت سوط الجلاد، وتمرد حين يرفع السوط، وبقي العراق سُنياً في كل العصور بدءاً من الأمويين فالعباسيين، وعهد المغول والتركمان ثم الدولة العثمانية، ثم تكوين العراق الحديث سنة ١٩٢١ لغاية ٢٠٠٣م، وخلال تلك العهود كان الشيعة يتحينون الفرص السياسية، والغفلة من قبل العلماء والحكام، ويتخذون من الحركات والأحزاب السياسية والاجتماعية جسراً للحصول على موطئ قدمٍ جديد يحقق المكاسب للتشيع، ولم ينجحوا على مدار ١٤ قرنا بحكم العراق برغم حصولهم على بعض النفوذ أحياناً، لكن العراق بقي - على كل حال- بلداً سنياً، ولولا المقاومة والجهود المتواصلة من النخبة (العلماء والحكام والمفكرين) أو من الشعب لكان العراق اليوم بلداً شيعياً شأنه شأن إيران منذ زمن طويل.

جماهير العراق في العصر العباسي الأول:

يسجّل التاريخ أنّ بغداد منذ أن بناها أبو جعفر المنصور سنة ١٥٠هـ وكانت المؤشرات تشير إلى أن أهالي بغداد وساكنيها سُنة أقحاح يرفضون سبَّ أي صحابي أو التعدي عليه أو سب الدولة الأموية، وقد أرخ لهذه الظاهرة الأديب الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) وهي ظاهرة ظهور مجاميع شعبية من عامة بغداد يذكّرون الناس في الطرقات بحب الخليفة معاوية وبقية الأمويين ومنع سبهما، سماهم البعض العثمانيين (نسبة لعثمان بن عفان) وأن ظاهرة حب الأمويين ومعاوية اشتهرت في بغداد والبصرة وواسط، وكان هذا التيار الشعبي يرفض صنفين من سكان بغداد: المعتزلة والشيعة.

وظهر في وقتهم لقب لمعاوية (خال المؤمنين) نكاية بالشيعة، وكان القُصاص في مدينة بغداد يذكرون في قصصهم بحب معاوية، وأصبح ذلك من الأغاني الشعبية (الفلكلورية) يفرطون في حب معاوية، وكانوا يسقون الماء والعصير للناس مجاناً على حب معاوية، مما أزعج السلطات العباسية وقتها، ووقتها سلك العباسيون سلوكاً خاطئاً سياسياً، وأرادوا التخلص من ظاهرة حب الأمويين ومعاوية، من وجهة نظر سياسية؛ فأوعزوا إلى مجموعة من الكتاب أصحاب الميول الشيعية والشعوبية لتأليف كتب في ذم الأمويين؛ ومن هؤلاء: ابن الكلبي، وابن عمار الثقفي، والجاحظ[2]. ومن يومها ظهرت الروايات الشيعية للدس في التاريخ الإسلامي.

وأراد الخليفة العباسي المهدي (١٦٠هـ) أن يطعن في معاوية بكتاب رسمي يقرأ في المدن والمساجد، إلا أن خوفه من ردة فعل العشائر القيسية حيث كتب له والي البصرة أنّ ردة فعل الجماهير ستكون قوية فامتنع عن إصدار الكتاب[3].

(١) يكرر ذلك مراراً في مجالسه الخاصة والعامة وسمعتها منه شخصياً أكثر من مرة.

(٢) انظر: ابن النديم «الفهرس» ص١٦٦، معجم الأدباء، لياقوت الحموي (١٠٧/١٦)، تاريخ الطبري (١٧٣/٨) ومن هذه المؤلفات (مثالب الأمويين)، (مثالب معاوية)، (تفضيل بني هاشم وذم بني أمية وأتباعهم)، (فضل هاشم على عبد شمس).

(٣) تاريخ الطبري (١٣٢/٨).

وفي عصر هارون الرشيد حصلت صدامات بين الجماهير السنية والشيعة في بغداد في سنة ١٧٤هـ[(١)]، ولكنها كانت محدودة.

وكان هوى أهل بغداد مع الخليفة الأمين ضد أخيه المأمون وقاتلوا معه لأن الأمين يمثل الخط العربي، بينما يمثل المأمون الميول الفارسية العلوية (الشيعية) في نظر جماهير بغداد، وأن الرأي العام السائد في بغداد ضد الخليفة المأمون بسبب ميوله للشيعة[(٢)].

أما في عصر المأمون (والذي كانت له ميول شيعية) وأراد إعطاء ولاية العهد إلى علي بن موسى الرضا وزوّجه ابنته فهاجت العامة، وأراد المأمون أن يكتب كتابا يقرأ على المنابر بلعن معاوية إلا أن يحيى بن أكثم قاضي القضاة وأحد مستشاريه - وهو الصوت السني الوحيد في بلاطه آنذاك - منع الخليفة المأمون وخوّفه من ثورة أهل بغداد ضد الدولة. حتى عثر في الشوارع على رقاع تشتم الخليفة[(٣)].

أما في أيام الخليفة العباسي المعتضد (٢٨٨هـ) فقد بلغه أن أهل بغداد يذكرون معاوية والأمويين بخير فأراد تكرار تجربة المأمون في لعنه واتخذ عدة خطوات لمنع أهل بغداد من الثورة، ألا أن المقربين منه منعوه خشية الثورة على الخلافة العباسية[(٤)].

ولابد من الإشارة إلى أن شخصية الصحابي معاوية رضي الله عنه اعتبرت من قبل أهل السُنة (علماء وجماهير) حداً فاصلا بين مذهبهم ومذاهب الرافضة.

وكان لصمود الإمام أحمد حنبل ووقوفه أمام محنة خلق القرآن أن صنعت له شعبية جماهيرية قوية في العراق وبغداد، ومما يؤكد على ذلك مشهد جنازته رحمه الله، إذ لم تعهد بغداد والأمة الإسلامية مثلها، وكانت ظاهرة جماهيرية الحنابلة في بغداد تمثل ظاهرة سنية يحسب الجميع حسابها، والتف الناس حول تلامذة الإمام أحمد مثل المروذي، وعندما أتهم الإمام الطبري المؤرخ والمفسر بميله للتشيع ثارت عليه جماهير بغداد، وأيّاً كانت صحة التهمة من عدمها فهذا يمثل ثورة لجماهير بغداد السنية ضد التشيع.

كما قاد العالم البربهاري الحنبلي جموع الجماهير ضد حملة التشيع والرفض، لأنه أحس أن هناك وجودا لوزراء شيعة داخل البلاط العباسي يتآمرون؛ لذلك قاموا بإبعاد البربهاري إلى البصرة[(٥)].

وكان الوزراء الشيعة يزينون للخلفاء إزاحة وزراء أهل السنة ليصفو لهم الجو وينشروا فتنتهم، وحين شرع الشيعة في بغداد بالتجمع في مسجد براثا سنة ٣١٣هـ غربي بغداد (الكرخ) فينالون من الصحابة ولا يصلون الجمعة ويكاتبون القرامطة ويتبرؤون من الخليفة المقتدر، فلما بلغ الخليفة خبرهم أمر بهدم البناء الذي في ذلك الموضع وعده مسجد ضرار[(٦)].

وتكررت المحاولة (للعن معاوية بتزيين من وزراء وقادة شيعة في عهد الخليفة القاهر (٣٢١هـ) على يد قائد جنده ابن يلبق وبعض الوزراء الشيعة، فقام أهالي بغداد بالثورة في الطرق فاضطر القاهر إلى إلغاء فكرة لعن معاوية والأمويين[(٧)].

ولابد من الإشارة إلى أنه قبيل سقوط الخلافة بيد وزراء البويهيين ظهرت السيطرة الشيعية على الحكم العباسي جليا وبقيت جماهير الحنابلة بقيادة البربهاري يمثلون المقاومة الفعلية لهذا الوجود الشيعي.

---

(١) النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٢/٧٧).
(٢) البداية والنهاية لابن كثير (١٠/٢٧٧).
(٣) بغداد لابن طيفور (٥٤).
(٤) تاريخ الطبري (١٠/٦٣).
(٥) البداية والنهاية لابن كثير (١١/٥٥).
(٦) المصدر السابق (١١/١٥٢).
(٧) تجارب الأمم والملوك لابن مسكويه (١/٢٦٠)، والمنتظم لابن الجوزي (٦/٢٤٩).

سيطرة الدولة البويهية على الخلافة العباسية:

ذهبت القرون الثلاثة الأولى الفضلى وظهرت الفتن كما أشار الرسول صلى الله عليه وسلم، وأعظم الفتن هي ظهور التشيع في العالم الإسلامي كوجود سياسي في مؤشر على بداية ضعف الخلافة السنية وتفرقها، فقد كان للشيعة ظهور واضح، واحتلوا مواقع بارزة في المسرح السياسي في العالم الإسلامي؛ فكان القرامطة في الجنوب (الجزيرة العربية) والعبيديون (الفاطميون) في المغرب، وبنو حمدان في نواحي الموصل ومن ثم حلب، وكان ظهور القرامطة بشكل خاص له تأثير سلبي على الجماهير في عاصمة الخلافة، وله تأثير نفسي سيئ على أهل بغداد بسبب ما تقترفه يدهم الآثمة مع الحُجاج.

كما مثّل الروافض قوة سياسية في بغداد تتحكم في مصائر الخلفاء بعد هيمنة البويهيين على الحكم، وسيظهر لاحقا تأثير الوزراء والقادة من البويهيين[1] في الحياة السياسية في بغداد.

دخل البويهيون بغداد سنة ٣٣٤هـ فتحولت سيطرة الوزراء الشيعة الجزئية على الحكم إلى سيطرة بويهية كلية على الخلافة العباسية، وظهر جليا دور الجمهور البغدادي الحنبلي في هذه الحقبة، ولم يكن هذا الظهور الجماهيري السني الوحيد في العراق؛ فها هم أهل أصبهان السنة الذين كانوا تحت سيطرة البويهيين يثورون في سنة ٣٤٥هـ على رجل من أهل قم سبّ الصحابة، فعاقبهم البويهيون بفرض ضرائب على تجّارهم[2].

وعودة إلى دار السلام بغداد فقد كان السنة يعيشون في جانب الرصافة، والشيعة يعيشون مع خليط من أهل السنة في جانب الكرخ. لكن الشيعة شرعوا- كالعادة بالتمدد على منطقة الرصافة، (محلة باب الطاق) شمال شرق بغداد، وكان الحنابلة يسدون أغلب محلات بغداد مثل محلة باب الأزج (بقي منها اليوم باب الشيخ) ومحلة باب البصرة والحربية وحتى باب الطاق كان بها حنابلة، وجماهير أهل السنة في بغداد كانوا حنابلة.

خاف البويهيون سطوة العامة وثورتهم فلم يسقطوا الخلافة العباسية وأبقوها شكلا، وكانت هناك أسباب أخرى منعتهم من إسقاط الخلافة العباسية، ولأنهم خشوا ثورة عامة الجماهير المسلمة من خارج العراق عليهم فنصحهم الوزراء والمستشارون بالكف عن هذا القرار. فشرعوا بإلهاء الناس عن غلاء الأسعار في بغداد بسياسات الألعاب الرياضية بالجري بالخيول والسباق والمصارعة.

وشجع وجود حاكم شيعي في بغداد رافضة الكرخ وشيعتها على التحرك، فحصلت فتنة محدودة نهبت بها محال تجارية بين سنة الكرخ وشيعتها وذلك سنة ٣٣٨هـ بعد أربع سنوات من سيطرة البويهيين على الحكم. ثم حدثت فتنة أخرى سنة ٣٤٦هـ بسبب سب الشيعة للصحابة علناً، لكن هذه المرة سالت لأول مرة دماء وقتل عدد لا يستهان به من الطرفين.

وأصبح من المعتاد عند الشيعة سب الصحابة وتكفيرهم، فهاجت جماهير أهل السنة ضدهم سنة ٣٤٧هـ.

وجرت في السنة التي بعدها (٣٤٨هـ) فتنة أكبر حصلت فيها حرائق كثيرة وقتلى ووصفت عند المؤرخين بأنها (وقعة هائلة).

وجرت سنة ٣٤٩هـ فتنة عظيمة تعطلت بسببها الجمع والجماعات لأن الشيعة قاموا بأسر هاشمية (عباسية).

وفي سنة ٣٥١هـ أظهر الشيعة شعارات لعن معاوية كتابة على المساجد والطرقات وكتبوا: (لعن الله معاوية بن أبي سفيان ولعن من غصب فاطمة رضي الله عنها فدكاً ومن منع مِن أن يدفن الحسن عند قبر جده عليه السلام ومن نفى أبا ذر

---

(١) البويهيون شيعة زيدية جارودية، وهم أسوأ أنواع الزيدية وهم أقرب شيء إلى الشيعة الإثني عشرية، ومنهم اليوم في اليمن الحوثيون.

(٢) الكامل لابن الأثير (٨/٥١٧).

الغفاري ومن أخرج العباس من الشورى) على مساجد بغداد، فهبت جماهير أهل السنة ومحوا ذلك. كل هذا والخليفة العباسي لا يحرك ساكناً، فحاول معز الدولة البويهي كتابته من جديد، فحذره أحد الوزراء وقال له: بدّل صيغة الكتابة وصرّح بلعن معاوية، وهذه كانت المحاولة الرسمية الأولى لجس نبض الشارع السني من قبل الحاكم الشيعي.

وفي سنة ٣٥٢هـ نفذ الحاكم الشيعي مخططه في عاشوراء فأمر الناس أن يغلقوا دكاكينهم ويبطلوا الأسواق والبيع والشراء وأن يظهروا النياحة ويلبسوا قباباً عملوها بالمسوح، وأن يخرج النساء منتشرات الشعور مسودات الوجوه قد شققن ثيابهن يدرن في البلد بالنوائح ويلطمن وجوههن على الحسين بن علي رضي الله عنهما ففعل الناس ذلك، إذ فوجئ السُنة بهذا العمل ولم يكن لديهم قدرة على منعهم. وفي نفس السنة أحتفل الشيعة بعيد الغدير في ١٨ ذي الحجة.

ولكن أهل السنة أعدوا العدة للسنة القادمة، فلما جاءت سنة ٣٥٢هـ حصلت مواجهة عنيفة بين السنة والشيعة، أدّب فيها أهلُ السنة الشيعة على تجاسرهم على الصحابة.

وفي سنة ٣٥٤هـ رتب جماهير أهل السُنة أمورهم وهجموا على مسجد براثا (وهو وكر المؤامرات الشيعية) وقتلوا مَن فيه من الشيعة.

وكان سبب تلك الفتن هو مرور مواكب شيعية على محلات سُنية ويسمعون أهل السُنة السباب وانتقاص الصحابة، ويستفزونهم بذلك، فتثور ثائرة أهل السنة، وتحدث مواجهات بين جماهير السنة والشيعة.

في سنة ٣٥٦هـ مات الحاكم البويهي وخلفه ابنه، قال ابن كثير: «فلما أحسّ الموت أظهر التوبة وأناب إلى الله ورد كثيراً من المظالم وتصدق بكثير من ماله، قال: وعهد بالأمر بعده إلى ولده بختيار عز الدولة، وقد اجتمع ببعض العلماء فكلمه وأخبره أن عليّا زوج ابنته أم كلثوم إلى عمر بن الخطاب فقال: والله ما سمعت بهذا قط ورجع إلى السُنة ومتابعتها»[1]. وسبحان مغير الأحوال.

وخلفه ابن ضعيف (بختيار) وبدأت الدولة البويهية تتزعزع لأن ابنه كان يميل للدعة واللهو، وجرى بينه وبين قائد البويهيين التركي (سبكتكين) وحشة وانقباض وكان هذا في مصلحة السُنة، فقد حصل توغل من الروم على تخوم الدولة العباسية شمال العراق، وشكّل السُنة وفداً للخليفة العباسي لشرح أوضاع الثغور وضعفها، وكان رئيس وفد الجماهير هو أحد علماء الحنابلة. وشكّلوا جيشاً شعبياً بعد أن مال لهم (سبكتكين)، وقبل ذهابهم أحرقوا بيوت الشيعة وقالوا لهم: (الشر كله منكم) وكان هذا في سنة ٣٦١هـ، وهو تاريخ انقلاب الموازين لصالح الجماهير السُنية[2].

وهكذا هو دور أهل السنة دوماً الدفاع عن البلاد من أي غزو خارجي بينما وظيفة الشيعة دائما هي إثارة القلاقل للأمة؟!

وأصبح (سبكتكين) يستفيد من جماهير أهل السُنة للتسلط على (بختيار) وهو شرع يدعي السُنية ويتقرب منهم، وهكذا بدأ الشيعة بالضعف، وقوي السنة بكثرتهم وصمودهم وتفوقوا على التشيع وأهله في بغداد. ووقف السُنة مع التركي (سبكتكين) فتغلب على بختيار (الفارسي) ومكنوه من حكم بغداد[3] وطرد الديلم (البويهيين) من بغداد سنة ٣٦٣هـ، وخلع الخليفة العباسي وعين آخر، وكل ذلك بدعم جماهيري سُني. وعين منهم عُرفاء وقواداً.

لكن موت سبكتكين مكّن للبويهين بظهور قائد جديد هو عضد الدولة البويهي الذي أعاد الروح للبويهين، لكنه أوقف المشاكل خلال فترة حكمه بين الشيعة والسُنة؛ لأنه كان - على سوء

---

(١) البداية والنهاية (١١/ ٢٦٢).
(٢) المصدر السابق (١١/ ٢٧٢).
(٣) تجارب الأمم، (٦/٣٢٨).

مذهبه- عاقلا، إلى أن مات سنة ٣٧٢هـ، وخلفه ابنه شرف الدين، وكان عضد الدولة قد منع الشيعة من عمل المآتم، وعظّم الخلافة العباسية.

وظهرت مواجهات بين الجمهور السني والشيعة، وتقوّى جمهور السنة على الشيعة ولم يبق عضد للشيعة ألا حاكم الحلة المزيدية وهو شيعي. لا سيما مع ظهور صراع حقيقي بين البويهيين. وبقيت بغداد تتأرجح بين قوة (الفارسي) الديلم، وبين الأتراك.

وظهرت بسبب ذلك ظواهر جديدة عند بعض الجماهير السنية وهو اختراع أعياد ومزارات مضادة للتشيع فعالجوا بدع الشيعة باختراع بدع جديدة لكنها لم تعمر طويلاً، فادّعوا أن اليوم الثامن عشر من ذي الحجة (يوم الغدير) كان اليوم الذي دخل فيه النبي صلى الله عليه وسلم الغار ومعه أبو بكر، وعملوا فيه مثل ما عمل الشيعة في يوم الغدير، وجعلوا بإزاء يوم عاشوراء يوما بعده بثمانية أيام (الثامن عشر من محرم) نسبته إلى مقتل مصعب بن الزبير وزاروا قبره كما يزار قبر الحسين وكان هذا سنة ٣٨٩هـ»[١]. بيد أن هذا الأمر لم يكن مقدراً له النجاح وهذه الإجراءات السنية لم تستطع الاستمرار مثلما قدر للمواسم الشيعية بسبب أن هذه بدع يأنفها الشرع وفي منهج أهل السنة غنى عنها، بينما لا يعيش الشيعة إلا إذا أوجدوا لهم كل يوم بدعة جديدة.

وفي سنة ٣٩٠هـ دب الوهن إلى شيعة بغداد وتسلط عليهم بعض السنة بمساعدة الأتراك لكن ذلك لم يستمر وتدخل أشراف الشيعة وتوسطوا لدى الحكومة للتدخل لتقف المشاكل.

وفي سنة ٣٩٨هـ شرع الشيعة يستفزون أهل السنة فأخرجوا مصحفاً غير المصحف الموجود وقالوا: هذا مصحف عبد الله بن مسعود، فهاج العلماء السنة الحنابلة وغيرهم على عالم الشيعة في بغداد آنذاك ابن المعلم محمد بن النعمان، ودخلوا بيته؛ وانتهى الأمر إلى إحراق الفقهاء السنة هذا

(١) المنتظم، (٢٠٦/٧).

المصحف المزعوم[٢]. فهاج الشيعة ولهجوا بالدعاء للخليفة الفاطمي (المنصور) في وقته، فغضب الخليفة العباسي وعاقبهم. ودبَّ الضعف أكثر إلى شيعة بغداد.

وكان البويهيون وأمراء الحلة مع شيعة بغداد، بينما كان الأتراك والخليفة العباسي مع الجماهير السنية. وكان الشيعة يتمنون هلاك الخليفة العباسي، ففي سنة ٤٠٠ هـ أشيع أن الخليفة القادر مات[٣]، فأظهر الشيعة الفرح بذلك، فأصدر الخليفة قرارا بإيقاف العمل بالمواسم الاحتفالية للسنة والشيعة على السواء وكان هذا الإيقاف طبيعياً محققاً للسلامة السياسية، لولا وجود قوى متنفذة مستفيدة من إعادة العمل بهذه الطقوس.

في سنة ٤٠٢هـ ثار سنة واسط على الشيعة وهزموهم حتى هرب أعيان الشيعة وبعض علمائهم في واسط إلى الحلة المزيدية[٤].

في سنة ٤٢٢هـ، بعد ظهور الدولة السلجوقية في بلاد فارس تسلطت على الشيعة الروافض واكتشفت أن بعضهم شيعة باطنية لأنه كان متزوجا من ٥٠ أمرأة، ودعمت الخليفة العباسي في بغداد؛ لذا نشط الخليفة العباسي[٥] وكان الحاكم (القائم) والذي آزره رئيس الرؤساء ابن مسلمة والذي خطط لأهل السنة بعناية لإعادة دورهم في بغداد؛ فمنع الشيعة من النوح على الحسين، وراسل السلاجقة كي يأتوا إلى بغداد وينقذوها من البويهيين الفرس، وجمعت الجماهير السنة أموالا للترك وأصبح هناك تحالف سني تركي، وجرت اجتماعات بين أعيان أهل السنة والعلماء لشرح الوضع الشيعي في بغداد.

ضعفت الدولة البويهية وحدث تجمع جماهيري سني مخطط له وهاجموا محلات الشيعة في الكرخ وحرقوها واشتعلت أغلب محلات بغداد، وأوجعوا

(٢) البداية والنهاية، (٣٣٩/١١).
(٣) المصدر السابق، (٣٤٢/١١).
(٤) الكامل، (٢٩٥/٩).
(٥) المصدر السابق، (٤١٥/٩).

الشيعة، وأقاموا خطيبا سنيا في مسجد براثا الشيعي.

وشرعت الدولة السلجوقية ترسل تهديدات للدولة البويهية، فقام الجماهير بمنع الشيعة من النوح في يوم عاشوراء، ووعدوا بالطاعة لكنهم خرقوا الوعد فأوجعهم جماهير السنة.

وبعد سقوط الحكم البويهي وسيطرة السلاجقة على بغداد (٤٤٧هـ) خفت الأمور لأن القوة المساندة للشيعة (الدولة البويهية) ضعفت، لكن بقيت شعاراتهم مكتوبة على بعض المساجد بشكل محفور بالآجر (محمد وعلي خير البشر) لذا قامت جماهير السنة بتغيير هذه الكتابات، ودخلوا الكرخ وهم ينشدون قصائد في مدح الصحابة وقُتل بعض غلاة الشيعة وهرب شيخ الطائفة الطوسي خوفا من الجماهير السنية ونهبت داره وهذا سنة ٤٤٨هـ[١].

إلا أن الأمور لم تدم للسنة فقد دخل البساسيري إلى بغداد مستغلا خروج السلاجقة منها، والبساسيري قائد تركي غاشم (متحالف مع الشيعة) وتلقاه الشيعة في بغداد، وكان أول عمل قام به قتل ابن مسلمة، وخطب للخليفة العبيدي الفاطمي المستنصر، وخرج البساسيري خارج بغداد وخرج الشيعة معه، فهجم الوالي السلجوقي مع جماهير السنة على محلات الشيعة ونهبت أموالهم، والتقى السلطان بجيش البساسيري فهزمهم الله حتى أنه لم ينج من أصحابه إلا القليل وقتل البساسيري[٢].

دب الوهن والخوف بالشيعة حتى كانوا يُحضرون نساء ينحنَ داخل البيوت في عاشوراء[٣]. ثم خبت نار الشيعة إلا في حوادث متفرقة هنا وهناك قرابة ٢٠٠ عام.

إلا أن غفلة الحكام مع الشيعة مكنتهم من جديد، فبعد وفاة الخليفة المستضيء سنة ٥٧٥هـ، خلفه ابنه الناصر الذي قرّب الشيعة ومنهم الوزير ابن القصاب وكان يكره الحنابلة[٤] واستعان بحفيد الشيخ عبد القادر الكيلاني عبد السلام والذي كان يبغض ابن الجوزي، فنفى ابن الجوزي من بغداد إلى واسط، ولم يرجع من منفاه إلا بعد وفاة ابن القصاب سنة ٥٩٢هـ، وكانت أذية ابن الجوزي أذية للحنابلة والذين هم من يقود الجماهير السنية[٥]، وخبت روح الجماهير العراقية إذ أن المحرك لهم وهم الحنابلة بدأ نجمهم يأفل في العراق ويسطع في الشام.

ووقع الحكام مرة أخرى في الغفلة عن خطر التشيع فعين آخر الخلفاء العباسيين في بغداد (المستعصم) وزيرا شيعيا حاقدا هو ابن العلقمي، ولما تحرك الشيعة سنة ٦٥٥هـ تصدى لهم جماهير السنة بالتأديب ونهبت مساكنهم، فأثر ذلك في نفس الوزير ابن العلقمي فكاد للخلافة العباسية مكيدة عظيمة، فقلص الجيش من ١٠٠ ألف جندي إلى عشرة آلاف، وكاتب التتار سراً، وقدم لهم الخلافة العباسية على طبق من ذهب فقُتل الخليفة وقتل أهل بغداد مقتلة عظيمة وذلك سنة ٦٥٦هـ[٦].

هذه هي نتيجة الغفلة المتكررة من أهل السنة حكاما ومحكومين حين ينسوا حقيقة الشيعة فيعينوهم وزراء ومدراء ومسؤولين فيستغل الروافض ذلك ويكيدون للإسلام السني أيما مكيدة، وما خبر أمريكا في العراق عنكم ببعيد!

وللحديث بقية

---

(١) المنتظم، (١٧١/٨).
(٢) البداية والنهاية، (٨٣/١٢).
(٣) استمرت هذه العادة في العراق ليومنا هذا بما يسمى (الملايات) للقراءة في البيوت، وخاصة في عهود خنوع الشيعة.
(٤) البداية والنهاية (١٠٦/١٣).
(٥) العليمي، المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد، (٣٥/٤).
(٦) علي بن محمد باخيِّل آل بابطين، سنوات الحنابلة في بغداد، (١٧٥).

التحدي الطائفي في سوريا[1]

د. بشير زين العابدين[*] – خاص بالراصد

تمهيد

تهدف هذه الدراسة إلى تتبع مهددات التحدي الطائفي في سوريا من خلال ثلاثة أبعاد رئيسة:

البعد التاريخي الذي يتتبع جذور الاختلال المجتمعي في بنية الكيان السياسي ببلاد الشام منذ المراحل المتأخرة من الحكم العثماني، والبعد التنظيمي السياسي الذي يحلل تكوّن البنية المؤسسية للحكم الطائفي- العشائري في غضون نحو خمسة عقود من حكم البعث، والبعد الإستراتيجي المتمثل في السياسة الغربية الهادفة إلى حماية مصالحها في المنطقة العربية عبر ترسيخ دور الأقليات.

وبعد استعراض أهم تحديات المسألة الطائفية الكامنة في بنية الكيان الجمهوري منذ ولادته؛ تستنتج الدراسة أن الإدارة الأمريكية قد أعادت إخراج مشروع الانتداب الفرنسي، مع اختلاف في التفاصيل لتتناسب مع متطلبات المرحلة.

فقد توافق الفرنسيون مع الإنجليز على سياسة تفتيتية طائفية تمنح بمقتضاها فلسطين لليهود، ولبنان للنصارى، وتقسيم ما تبقى من البلاد إلى دويلات طائفية، واستخدام التناقضات المجتمعية لمواجهة المشاعر القومية ضد الاحتلال الفرنسي.

أما المشروع الأمريكي اليوم فإنه يقوم على إضعاف مؤسسات الحكم المركزي، من خلال توظيف عصابات الشبيحة، وفرق النخبة العلوية، والمؤسسات الأمنية للمحافظة على مصالحها في المنطقة.

وفي الوقت الذي رأى فيه الفرنسيون أن القضاء على الثورة السورية الأولى ووأد المشاعر القومية لدى غالبية الشعب السوري يكمن في تسليح الأقليات وتسليطهم على الأغلبية؛ ترى أمريكا أن الوسيلة الوحيدة لاحتواء الثورة السورية الثانية هي من خلال رفع شعار «تمكين الأقليات» (minority empowerment) وترسيخ نفوذهم وتعزيز سطوتهم المؤسسية بدلاً من الاستجابة للمطالب الشعبية بضرورة تحقيق التوازن المجتمعي.

أولاً: البعد التاريخي

١- نظام «الملة» العثماني وأثره على الأقليات (١٨٦١- ١٩١٨)

اتبعت الدول العثمانية في تعاملها مع الأقليات الدينية نظام «الملة» الذي منح الأقليات الدينية كالأرثوذكس، والكاثوليك، والبروتستانت، والأرمن، واليهود، قضائهم المستقل وحريتهم في العبادة وحفظ حقوقهم المدنية، وكانت إدارتهم المحلية أشبه بالحكم الذاتي، وكانت الحالة شبيهة بالنسبة للطوائف غير السنية حيث كانوا يتمتعون بكامل حقوقهم بالرغم من عدم الاعتراف بهم في نظام الملل[2].

وكان الفرنسيون قد نجحوا في تأسيس علاقات وثيقة مع مختلف الطوائف في بلاد الشام إبان العقود الستة الأخيرة من الحكم العثماني، وذلك في محاولة للحد من التغلغل البريطاني في بلاد الشام. فقد لجأ الفرنسيون في بداية الأمر إلى طريق توسيع نشاطهم التعليمي، حيث رُبطت جامعة القديس يوسف بجامعة ليون عام ١٩١٣، وافتتحت كلية الحقوق في بيروت التابعة لنفس الجامعة وأنيطت مهمة الإدارة والتدريس إلى اليسوعيين، كما افتتحت كلية مدرسة مهنية لتخريج خبراء في مجال الاستثمارات الفرنسي في المنطقة كالحرير والمناجم وسكك الحديد. وفي الوقت الذي بدأت

(١) ورقة عمل قدمت في مؤتمر تحديات ما بعد الربيع العربي، بليبيا ٢٠١٢/١٢/٢٢، ونظمته مجلة البيان.

(*) كاتب سوري.

(٢) Harik I. (1972), 'The Ethnic Revolution and Political Integration in the Middle East', International Journal of Middle East Studies, vol. 3, (1972), pp. 303-323

الكتاتيب تفقد دورها التعليمي بين أبناء المسلمين انتشرت مدارس الإرساليات الدينية والتبشيرية التي كانت تدار من قبل الفاتيكان وتحظى بدعم فرنسي كبير.

وبحلول عام ١٩٣٨ كان ٣١ بالمائة من الطلاب في سورية يتمتعون بالتدريس الحكومي في مقابل ٥٨ بالمائة يتلقون تعليمهم في مدارس الإرساليات التي كان معظم طلابها من أبناء الأقليات[١].

أما من الناحية التجارية فقد استفادت الطوائف من سياسة الامتيازات التي تبنتها الدولة العثمانية في تلك الفترة وكان لها أسوأ الأثر على السكان المسلمين، ويشير إلى هذه الأضرار فيليب خوري الذي أشار إلى أن زعماء الأقليات في سورية قد تمكنوا من استخدام مراكزهم في الإدارة المحلية وصلاتهم مع أوروبا لإقامة قاعدة متينة للثروة والنفوذ. وقد تأكدت سلطتهم الفعالة بعد أن أصبحوا الطبقة السائدة في دمشق، ولعبوا، بوصفهم من التجار، دوراً أساسياً في امتصاص اقتصاد الولاية تدريجياً إلى داخل اقتصاد أوروبا، وكانوا - باعتبارهم من المرابين والمصرفيين- يسيطرون على السيولة النقدية[٢].

وفي نهاية العهد العثماني استغلت فرنسا مصالحها التجارية في سورية لدعم الأقليات، ففي عام ١٩١١، على سبيل المثال، كان هناك ١٩٤ مصنعاً فرنسياً للحرير يعمل فيها ١٤ ألف من الموارنة والروم الأرثوذكس والكاثوليك وكذلك الدروز[٣]. وقد انخرط العديد من أبناء الطوائف بالعمل في المشاريع الفرنسية وتحديداً في مجالات الاستيراد والتصدير وزراعة الحرير، وقام تجارهم بدور الوسيط في حركة التبادل بين السوق المحلي والأسواق الأوروبية.

وعندما قام الحكم الفيصلي على أنقاض الحكم العثماني في سوريا عام ١٩١٨، عارض الكثير من أبناء الأقليات دعوة أقطاب الحكم الجديد من القوميين إلغاء نظام الامتيازات، ووقف الكثير من أبنائهم ضد مشروع الدولة، ولم تكن هذه السلطة الجديدة قادرة على تقديم بديل ناضج عن النظام العثماني على الرغم من مساوئه.

٢- الانتداب الفرنسي ومشروع الدويلات الطائفية (١٩٢٠- ١٩٤٦)

وعلى إثر انهيار الحكم الفيصلي عام ١٩٢٠، اعتمدت فرنسا في سياستها الانتدابية، التي استمرت نحو ربع قرن، على القول بأن بلاد الشام لم تكن تحت حكم الدولة العثمانية إقليماً موحداً بل كانت مجموعة من الولايات، وبالتالي فإن محاولة إنشاء سلطة مركزية من شأنها أن تزيد من التعقيدات المرتبطة بإدارة الإقليم.

وكان مستشار المفوضية العليا: روبير دو كاي، أحد أبرز الداعين لفكرة التقسيم الطائفي لبلاد الشام، وذلك انطلاقاً من رؤيته بضرورة استيعاب الاختلافات الدينية والطائفية في نظام فيدرالي تشرف على تأسيسه فرنسا، وبناء على ذلك فقد اقترح دو كاي فصل لبنان في دولة مستقلة

(١) يشير لونغريغ إلى أن عدد المدارس الحكومية سنة ١٩٣٤ كان: ٧٠٣ مدارس، تضم ٧٥ ألف تلميذ، مقابل: ١٢١٤ مدرسة للطوائف تضم ٩٥ ألف تلميذ، بالإضافة إلى ٦١٨ مدرسة أجنبية (٤٥٠ مدرسة فرنسية، ٩٩ مدرسة أمريكية، ٣٦ مدرسة بريطانية، ٢٠ مدرسة إيطالية، ٩ مدارس هولندية، ومدرستين لكل من سويسرا واليونان). وبالنسبة لمدارس الطوائف فقد توزعت على النحو التالي: ١٤٩ مدرسة للروم الكاثوليك، ٣٣٤ مدرسة للموارنة، ٢٨ مدرسة للروم الكاثوليك، ٢٠ مدرسة للأرمن الكاثوليك، ٢١٢ مدرسة للروم الأرثوذكس، ٢٩ مدرسة للسريان الأرثوذكس، ١٩٤ مدرسة للأرمن الأرثوذكس، ١٥٧ مدرسة للمسلمين، و٥٩ مدرسة للدروز، بالإضافة إلى ٣٢ مدرسة متنوعة. انظر ستيفن لونغريغ (١٩٧٨)، سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، تعريب بيار عقل، دار الحقيقة، بيروت، ص ٣٦١. وانظر كذلك؛ ألبرت حوراني (١٩٤٦) سورية ولبنان، لندن، ص.ص ٩٣- ٩٥، ومسعود ضاهر (١٩٩٧)، المجتمع المدني والدولة السياسية في الوطن العربي، دمشق. ص ٥٠٤.

(٢) بحث قدمه فيليب خوري للمؤتمر الدولي الثاني لبلاد الشام في جامعة دمشق بتاريخ ١٩٨٧، بعنوان «طبيعة السلطة السياسية وتوزعها في دمشق ١٨٦٠ – ١٩٠٨».

(٣) وجيه كوثراني (١٩٨٠)، بلاد الشام: السكان، الاقتصاد والسياسة الفرنسية في مطلع القرن العشرين، معهد الإنماء العربي، بيروت. ص.ص ١٠٨- ١١١.

وإنشاء ثمانية أو تسع كانتونات في سورية على النمط السويسري[1].

ولكن الجنرال هنري غورو قائد جيش الشرق العام والمندوب السامي للجمهورية الفرنسية في سوريا رأى بأنه يمكن الاكتفاء بأربع حكومات مستقلة لأنه سيكون من الصعب تحمل تكاليف عدد أكبر من أجهزة الحكم كما أن إدارة عدد كبير من هذه الدويلات الصغيرة سيكون أمراً شاقاً بالنسبة لسلطة الانتداب، وانتصر في النهاية رأي غورو فتم تقسيم الإقليم على النحو التالي:

- دولة لبنان الكبير: أعلنت في أول سبتمبر سنة ١٩٢٠، وألحقت بها أقضية بعلبك والبقاع وحاصبيا وراشيا وصيدا وصور ومرجعيون وطرابلس الشام وعكار، وعاصمتها بيروت.
- دولة حلب: أعلنت في الثامن من سبتمبر سنة ١٩٢٠، بقرار من المفوض السامي الذي نص على فصل ولاية حلب عن سورية وإنشاء دولة مستقلة باسمها.
- دولة العلويين: أعلنت في الثالث والعشرين من سبتمبر ١٩٢٠، وتكونت من اللاذقية وجبلة وبانياس وصافيتا وطرطوس ومصياف.
- دولة جبل الدروز: أعلنت في ٢٠ إبريل سنة ١٩٢١، وأنشئت فيها حكومة برئاسة سليم الأطرش، وعاصمتها السويداء.
- دولة دمشق: التي اتخذت من العاصمة اسماً لها.

وقد مارست السلطة الفرنسية حكماً مستقلاً لإقليم الجزيرة، وحافظ سنجق الاسكندرون على استقلاليته المالية والإدارية حتى ضمه لتركيا سنة ١٩٣٩، كما فشل مشروع الدولة الأرمنية التي كان من المفترض أن تشمل اسكندرونة وأنطاكية وعينتاب ومرعش وأورفا وأدنة، وذلك بسبب التقدم العسكري التركي في تلك المناطق.

وسرعان ما أثبتت تجربة الكانتونات الطائفية فشلها؛ فقد كانت عملية إنشاء خمسة أجهزة إدارية متكاملة من مسؤولين وموظفين وعسكريين، وتأسيس بنية تحتية وخدمات بلدية وصحية وبريدية في كل دولة من هذه الدويلات كانت عملية باهظة التكاليف.

فانهار المشروع الفيدارلي بالتدريج، حيث انضمت دولتي حلب ودمشق في ١٩٢٤ عندما ظهر لسلطة الانتداب بأن نفقات الدولتين قد بلغت حداً لا تحتمله وارداتهما. واتخذ قرار ضم مناطق الدروز والعلويين للدولة السورية في ١٩٣٦، ولكن القرار لم ينفذ بصورة فعلية حتى عام ١٩٤٣، وأخذ الإقليم صورته النهائية بدولة لبنانية مستقلة، وبقيت الجمهورية السورية على الوضع القائم اليوم.

٣- هيمنة الطوائف على قيادة المؤسسة العسكرية بعد الاستقلال (١٩٤٦- ١٩٦٣)

حرصت الفرنسيون خلال مرحلة الانتداب على تأسيس سلطتين رديفتين في آن واحد:

- سلطة سياسية مدنية لا تتبنى فكراً محدداً، بل تمارس دوراً إدارياً محضاً من خلال نفوذها التجاري والزراعي.
- سلطة عسكرية تتمثل في القيادة العسكرية التي كان يغلب عليها العنصر الطائفي، حيث تم تجنيد أعداد كبيرة من جبل الأنصارية وجبل العرب وجبل لبنان، وأصبح غالبية المنتمين إلى القوات الخاصة من الفلاحين العلويين والدروز والموارنة بالإضافة إلى تشكيل فرق جديدة من الأقليات الإسماعيلية والأكراد والشراكسة[2].

وعندما انتهت حقبة الانتداب بقيت هذه التركيبة على حالها عقب الاستقلال، فاستحوذ أبناء العوائل على رئاسة الجمهورية ووزارات

(١) Rabinovich. I (1979), 'The Compact Minorities and the Syrian State 1918 – 45', in Journal of Contemporary History, vol. 18. No. 4, (October 1979), pp. 693-712

(٢) جوردون توري (١٩٦٩)، الجيش والسياسة في سورية، ترجمة محمود فلاحة، بيروت. ص ٥٢.

الحكومة وعضوية البرلمان، في حين مارس الجيش سلطة واسعة وتدخل بقوة في صلاحيات الحكم المدني.

ونتيجة لذلك الانفصام؛ فقد عانى الكيان الجمهوري منذ استقلاله من حالة التوتر بين السلطتين، وتكرر محاولات العسكريين في الهيمنة على الحكم المدني، حيث شهدت سورية خلال السنوات الخمس الممتدة منذ ١٩٤٩ وحتى ١٩٥٤ خمسة انقلابات عسكرية، افتتحها الزعيم حسني الزعيم في ٣٠ مارس، من العام ١٩٤٩ الذي شهد انقلابين آخرين في ١٤ أغسطس و١٩ ديسمبر، ولم تكد تهدأ الأوضاع حتى قام أديب الشيشكلي بانقلابه الثاني في نوفمبر ١٩٥١، ثم سقط نظامه بعد ذلك بأقل من ثلاث سنوات في انقلاب خامس وقع في شهر فبراير عام ١٩٥٤.

وليس من قبيل المصادفة أن يكون جميع زعماء الانقلابات العسكرية وقادة المجالس الحربية التي دعمت هذه الانقلابات في سورية خلال الفترة ١٩٤٩- ١٩٥٤، من ضباط الأقليات الذين جندتهم سلطة الانتداب الفرنسية قبل مغادرتها سوريا.

فالمزيج الذي صنعته فرنسا من العنصر الطائفي- العسكري كسلطة بديلة للحكم المدني، قد أسهم في تشييد أركان نظام الحكم الطائفي- العسكري الذي آلت إليه سوريا في العقد السادس من القرن العشرين، والذي عمل منذ الأيام الأولى من تأسيسه على شل حركة المؤسسات الدستورية، وتعطيل الحريات، وفرض الرقابة على الصحف وأجهزة الإعلام، وتعزيز دور أجهزة الأمن والاستخبارات في الحياة العامة.

ففي الانقلاب الأول الذي قاده حسني الزعيم في مارس ١٩٤٩؛ ظهر العنصر الكردي بصورة واضحة في قيادة الجيش حيث كان عدد الضباط من أصول كردية يزيد عن عشرين ضابطاً منهم خمسة في القيادة العامة[1].

وظهر العنصر الطائفي كذلك في عضوية المجلس الحربي الذي شكله سامي الحناوي إثر انقلابه على الزعيم في شهر أغسطس من العام نفسه؛ ومن أبرز أعضائه: الزعيم سامي الحناوي (كردي)، العقيد بهيج كلاس (مسيحي)، العقيد علم الدين قواص (علوي)، المقدم أمين أبو عساف (درزي)، الرئيس محمد معروف (علوي)، الرئيس خالد جادا (شركسي)، الرئيس حسن الحكيم (إسماعيلي)، والرئيس محمد دياب (إسماعيلي)[2].

وفي الفترة الممتدة ما بين ١٩٥٣ حتى عام ١٩٦٣؛ استحوذ أبناء الأقليات على أهم المناصب القيادية في الجيش السوري؛ ومن أبرزهم رئيس الأركان اللواء شوكت شقير (١٩٥٣- ١٩٥٦)، ورئيس الأركان عبد الكريم زهر الدين (١٩٦١- ١٩٦٣)، إضافة إلى العقيد الدرزي نور الدين كنج الذي كان يقود أضخم قطعات الجيش، والضابط العلوي عزيز عبد الكريم الذي تبوأ منصب نائب رئيس الأركان ثم أصبح وزيراً للداخلية في حكومة بشير العظمة سنة ١٩٦٢، إضافة إلى الضباط النصارى: اللواء وديع المقعبري قائد سلاح الجو، واللواء ألبير عرنوق رئيس هيئة الإمداد والتموين، واللواء ميخائيل بن أندراوس في هيئة التدريب، والضابط الإسماعيلي حسن الحكيم. وكانوا جميعاً أعضاء في مجلس قيادة الجيش.

أما على صعيد المجندين فقد كانت نسبة العلويين في الجيش السوري وخاصة في سلاح المشاة تصل إلى ثمانين بالمائة، وتشير المصادر إلى أن عبد الحميد السراج قد اندهش في سنة ١٩٥٥ لدى

---

(١) مطيع السمان (د.ت.)، وطن وعسكر، بيسان للنشر والتوزيع.ص.ص ٣٢١، و٣٣١.

(٢) Drysdale, A. (1982) 'The Syrian Armed Forces in National Politics: The Role of the Geographic and Ethnic Periphery', in R. Kolwicz and A. Korbonski (edits), Soldiers Peasants and Bureaucrats, London, 1982, p. 85. نيقولاوس فان دام (١٩٩٥) الصراع على السلطة في سورية، مكتبة مدبولي، القاهرة. ص. ٥٣.

اكتشافه بأن ما لا يقل عن ٦٥ بالمائة من ضباط الصف كانوا تابعين للطائفة العلوية.

ثانياً: البعد التنظيمي المؤسسي

١- حكم البعث وتعزيز الهيمنة الطائفية في مؤسسات الحكم (١٩٦٣- ٢٠٠٠)

قام حكم البعث من توليه الحكم في سوريا على ترسيخ الإرث الفرنسي المتمثل في نظام حكم مدني ضعيف وأحزاب سياسية لا تملك نظرية سياسية ناضجة، في مواجهة مؤسسة عسكرية تشكل عنصر التوازن الفعلي في الإدارة المحلية والأمن وتبسط نفوذاً كبيراً على جهاز الحكم المدني، وذلك بالاعتماد على الأقليات الطائفية التي استند عليها الفرنسيون للإضعاف من المقاومة التي قامت ضد سلطة الانتداب.

فقد أدرك قادة البعث منذ الأيام الأولى لانقلابهم في مارس ١٩٦٣؛ بأن الشق الحزبي- المدني هو الحلقة الأضعف بين الفئات المتصارعة على السلطة، فأعطوا لمؤسساته نمطاً شكلياً يقتصر على الإدارة، وعززوا سلطات المؤسسة العسكرية والأمنية في الحكم، وذلك بالاعتماد على العنصر الطائفي- العشائري باعتباره الضامن الأفضل للمحافظة على معادلة توازن الحكم في كيان جمهوري لم يتح للحكم المدني فيه مجال التطور التدريجي والنضج المؤسسي.

ويمكن ملاحظة تفوق العنصر الطائفي منذ الأيام الأولى لحكم البعث في تشكيلة اللجنة العسكرية التي تزعمت الانقلاب، وعلى رأسهم: الضباط العلويون؛ محمد عمران وصلاح جديد وحافظ أسد، وسليمان حداد، وعثمان كنعان، والإسماعيليان: عبد الكريم الجندي وأحمد المير، والدرزيان: سليم حاطوم وحمد عبيد.

وشهدت الفترة التالية انقلابين آخرين في عامي: ١٩٦٦ و١٩٧٠، نتج عنهما سلسلة تصفيات دموية استخدمت فيها العصبية العشائرية والطائفية في الصراعات الداخلية بين أقطاب البعث بصورة لم يسبق لها مثيل.

- وعلى إثر انفراد حافظ أسد في السلطة عام ١٩٧٠؛ بادر الرئيس الجديد إلى ترسيخ البنية العشائرية- الطائفية في صفوف المؤسستين الأمنية والعسكرية؛ وربط توازن نظام الحكم بمجموعة من الفرق العسكرية والأجهزة الأمنية التي تغلغلت في أجهزة الدولة، وسيطرت على الحياة العامة، وقد تغلب في هذه الأجهزة العنصر العلوي، حيث بلغت نسبة الضباط العلويين في الجيش السوري نحو ٨٠ بالمائة، أما العشرون بالمائة الأخرى فهي مقسومة بين سائر طوائف المجتمع الأخرى[(١)].

فقد أحاط حافظ أسد نفسه منذ الأيام الأولى لتوليه السلطة بعدد من الأقارب الذين بقي بعضهم معه في الحكم حتى وفاته، ويمكن ملاحظة تولي أقارب الرئيس وأصهاره وأبناء عشيرته من المتاورة في أعلى المناصب العسكرية وأهم الفعاليات الاقتصادية، وذلك في فرقة «سرايا الدفاع» التي أسسها عام ١٩٧١ وأسند قيادتها إلى شقيقه رفعت، و«الحرس الجمهوري» الذي أسسه عام ١٩٧٦، وأوكل إلى ابن عم زوجته أنيسة مخلوف قيادته، و«القوات الخاصة» التي أسندت قيادتها إلى اللواء العلوي علي حيدر، ومن بعده ابن عشريته اللواء علي حبيب. وكذلك الفرق المدرعة الأولى والثالثة والرابعة التي أسندت قيادتها إلى مقربيه إبراهيم صافي، وشفيق فياض وحكمت إبراهيم تباعاً، إضافة إلى المناصب القيادية الأخرى التي أسندت إلى أقاربه مثل: اللواء علي أصلان (رئيس الأركان)، واللواء علي صالح (قائد قوات الدفاع الجوي) واللواء عدنان بدر الحسن (قائد الفرقة التاسعة)، واللواء محمد إبراهيم العلي (قائد الجيش الشعبي)، وكان أغلبهم أعضاء في القيادة المركزية لحزب البعث.

---

(١) يشير فان دام إلى النسب المرتفعة في تمثيل العلويين في بعض الفرق ومنها على سبيل المثال: اللواء ٤٧ المدرع الذي تبلغ نسبة العلويين فيه حوالي ٧٠ بالمائة، وفي اللواء ٢١ المؤلل تبلغ حوالي ٨٠ بالمائة، وفي القوات الخاصة حوالي ٩٥ بالمائة. وكانت سرايا الدفاع نموذجاً للتمثيل العلوي الكبير في صفوفها حيث بلغت نسبتهم حوالي ٩٠ بالمائة. فان دام (١٩٩٥)، مرجع سابق، ص. ١٧٠.

وكذلك كان الحال بالنسبة للأجهزة الأمنية التي تكدس عناصرها في دمشق، وتم اختيار منسوبيها على أسس طائفية- عشائرية، وتتراوح نسبة النصيريين فيها ما بين ٧٠ و٩٠ بالمائة[1].

وتجدر الإشارة إلى أن عملية توظيف العصبية: الطائفية- العشائرية لم تعد تقتصر في عهد حافظ أسد على تشكيلة الأجهزة المعنية بحماية النظام، وإنما تم استخدامها بطريقة ملفتة للانتباه في عضوية حزب البعث وفي الوزارات ومؤسسات الدولة، القطاعات الحزبية والسياسية والاقتصادية في المنشآت الحكومية وفي القطاع الخاص، حيث شكلت صلة القرابة والمصاهرة والانتماء العشائري عنصراً أساسياً في تولي المناصب الهامة في سورية، وقد تتبعت العديد من المصادر الآلية التي يتم بها تعيين الأقارب في الأجهزة العسكرية والمدنية في سورية بصورة دقيقة.

٢- ترسيخ البنية المؤسسية للهيمنة الطائفية- العشائرية في عهد بشار (٢٠٠٠-٢٠١١)

وعلى إثر وفاة حافظ أسد عام ٢٠٠٠؛ سار الرئيس الجديد بشار على نهج والده في ترسيخ البنية الطائفية للمؤسسات الأمنية والعسكرية.

ومن خلال عملية التعيينات التي أجراها بشار خلال الفترة (٢٠٠٠- ٢٠١١) يمكن رسم صورة واضحة للمجموعة العسكرية والأمنية حول الرئيس الجديد، والتي تضمنت: صهره اللواء آصف شوكت، ومستشاريه للشؤون الأمنية اللوائين إبراهيم حويجة ومحمد ناصيف، ومستشاره للشؤون العسكرية العماد علي أصلان، ورئيس الأركان العماد علي حبيب من عشيرة المتاورة، وكذلك وزيري الداخلية بالتتابع اللوائين علي حمود وغازي كنعان، وهؤلاء جميعاً يرتبطون ببشار من حيث القرابة أو المصاهرة أو العشيرة، بل إن دائرتهم أضيق من دائرة الرئيس السابق الذي كان يعمد إلى الاستفادة من العشائر العلوية الحليفة، بينما عمد بشار إلى الاعتماد بصورة رئيسة على صلة القرابة المباشرة أكثر من والده.

فقد أسند بشار إلى شقيقه ماهر قيادة لواء في الحرس الجمهوري ورقاه إلى رتبة عميد، أما عائلة أنيسة مخلوف (والدة بشار) فقد اتسع نفوذها بصورة ملفتة للانتباه؛ حيث ظهر اسم خال بشار محمد مخلوف، وكذلك رامي وإيهاب مخلوف الذين هيمنوا على قطاعات ضخمة من الاقتصاد السوري، وخاصة في مجالات البنوك، والتجارة الحرة المعفاة من الضرائب، وقطاعات الاتصالات والمواصلات[2].

لقد كانت فرص الإصلاح متاحة للرئيس الجديد، لكنه اختار ترسيخ نظام عفى عليه الزمن، ولم تعد بنيته قادرة على استيعاب متطلبات المرحلة؛ ففي انتخابات سنة ٢٠٠٧ ترسخ كيان السلطة الشمولية عن طريق زيادة عدد المقاعد المخصصة لحزب البعث على حساب الجبهة الوطنية والمستقلين، كما أعيدت مسرحية الانتخابات الرئاسية التي عملت أجهزة الإعلام والاستخبارات على إظهارها وسط مظاهر ابتهاج زائف بفوز المرشح الأوحد للرئاسة.

وبات من الواضح أن بشاراً لن يتمكن من إحداث تغيير جذري في بيئة نظام شمولي أرسيت قواعده خلال أكثر من خمسة عقود، حيث يتغلغل عناصر حزب البعث في جميع مؤسسات الدولة، وتهيمن أجهزة الأمن على الحياة العامة، بينما تحافظ الفرق الطائفية على توازن النظام.

وقد شكلت هذه المؤسسات عبئاً كبيراً على المجتمع السوري لأنها فئات غير منتجة، مما أدى إلى تزايد عجز الموازنة واعتمادها على المساعدات

(١) Middle East Intelligence Bulletin (2000) 'Syria's Intelligence',vol. 2, no.6, 1 July 2000.

(٢) فلاينت ليفريت (٢٠٠٥) وراثة سورية، اختبار بشار بالنار، الدار العربية للعلوم، بيروت، ص.ص ١٦٨- ١٦٩.

الخارجية والديون.

وقد أدت حالة الإحباط الشعبي من تقلص فرص الإصلاح ونمو مؤسسات القمع، وزيادة الأعباء الاقتصادية إلى إذكاء الثورة التي هدفت إلى هدم البنية المؤسسية لنظام فقد صلاحيته.

ثالثاً: البعد الإستراتيجي الغربي

١- مفهوم «تمكين الأقليات» باعتباره جزءاً من الإستراتيجية الأمريكية الجديدة تجاه المنطقة العربية، مثلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ تحولاً كبيراً في السياسة الأمريكية تجاه العالم الإسلامي؛ فقد تبنت الإدارة الأمريكية السابقة سياسة «دعم الديمقراطية» في الشرق الأوسط باعتبارها أحد أهم ركائز الأمن القومي للولايات المتحدة، وأفضل وسيلة لمواجهة التشدد الإسلامي، وقد عبر الرئيس الأمريكي السابق عن ذلك في خطاب له عام ٢٠٠٣ بقوله:

«منذ ستين عاماً والدول الغربية تغض الطرف عن غياب الحريات في الشرق الأوسط، ولكن هذا التغاضي لم يجلب لنا الأمن، لأنه لا يمكن تحقيق الاستقرار على حساب الحرية، وسيكون من غير المقبول بعد الآن القبول بالوضع الحالي في المنطقة».

وسرعان ما أفصحت الإدارة الأمريكية عن رؤيتها لملامح المنطقة في المرحلة المقبلة، فدعت في مطلع ٢٠٠٤ إلى إحداث متغيرات جذرية في بنية الأنظمة العربية وسياساتها الداخلية، من خلال برامج دعم الديمقراطية التي تتضمن: عقد دورات تدريبية، ومحاضرات تثقيفية، وجلسات حوارية تستهدف المعارضة في البلاد العربية بشكل أساسي.

وبدأت تظهر ملامح الإستراتيجية الأمريكية الجديدة التي تقوم على الاستفادة من التعددية الإثنية والدينية والطائفية في المنطقة العربية لترسيخ الأمن القومي الأمريكي، وذلك من خلال ثلاثة محاور رئيسة هي:

١- تعزيز دور المؤسسات الدولية في مراقبة حقوق الإنسان في المنطقة وتوظيفها لتحقيق أغراض سياسية

٢- دعم التطور الديمقراطي (Democracy promotion)، الهادف إلى إضعاف مؤسسات الحكم الشمولي الذي ساد أنظمة المنطقة، وأصبح عصياً على الإصلاح.

٣- تمكين الأقليات (Minority empowerment)، باعتبارها أحد أبرز وسائل وقف مد الحركات الإسلامية وتعاظم دورها في السياسة.

وفي المرحلة التمهيدية لغزو العراق في الفترة ٢٠٠١- ٢٠٠٣؛ نشأت علاقة وطيدة بين زعامات التنظيمات الشيعية في العراق وأجهزة الاستخبارات الغربية من خلال التنسيق الذي نشأ بينهم وبين الاستخبارات الغربية في المراحل التمهيدية للإطاحة بنظام صدام حسين ومن ثم تمكينهم من تولي مؤسسات الحكم.

ومثّل مؤتمر لندن الذي نظمه زلماي خليل زاد في ديسمبر ٢٠٠٢ نقطة فارقة في التعاون الأمني والسياسي بين كل من: «المجلس الأعلى للثورة الإسلامية»، و«حزب الدعوة» مع الإدارة الأمريكية، ففي أعقاب ذلك المؤتمر عقد أقطاب المعارضة العراقية لقاءات عدة مع الخارجية الأمريكية في شيكاغو، ومارست هذه المنظمات العراقية دوراً مهماً في ربط زعامات الأقليات الطائفية في دول عربية أخرى مع أجهزة الاستخبارات الغربية.

وقد أكد ذلك أحد نشطائهم عندما قال:

«لقد أقام الناشطون الشيعة علاقات واسعة في الخارج في محيط العالم العربي، وكذلك في المحيط الغربي، وكانت لهم مراكز نشاط في كل من لندن وواشنطن، تواصلت من خلالها مع الفعاليات الإعلامية والصحفية والسياسية ومنظمات حقوق الإنسان، ومراكز الأبحاث وأعضاء في البرلمانات وغير ذلك».

وقد مثل الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣ نقطة تحول في المنطقة العربية، حيث تم اعتماد

نظام سياسي يقوم على تقسيم الحكم بين الأكراد والشيعة والسنة بصورة شبه رسمية، وفي الوقت ذاته أصبح الانقسام العرقي والطائفي في المحافظات العراقية أمراً لا يمكن تجاهله على أرض الواقع.

ومنذ ذلك الحين ارتبط المشروع الأمريكي في الشرق الأوسط بترجيح كفة المنظمات الشيعية، والدعوة إلى زيادة تمثيلها في أنظمة الإدارة والحكم، وذلك بعد أن قام الأمريكان بالدور الأكبر في تدمير القدرات العسكرية العراقية والتي كانت تمثل آلة الردع في وجه إيران ومشروعها التوسعي.

وبعد ثلاث سنوات من النشاط المكثف لبرامج دعم الديمقراطية، لاحظ الباحث الأمريكي ماكسميلان أن الأحزاب السنية التي تعاملت بحذر وريبة مع هذه البرامج قد ضعف دورها، بينما انتعش نشاط المنظمات الشيعية التي تجاوبت مع برامج دعم الديمقراطية وكانت المستفيد الأكبر منها.

وفي المرحلة الممتدة ما بين عامي ٢٠٠٣ و٢٠٠٧ أخذت تظهر ملامح المشروع الأمريكي للشرق الأوسط من خلال برامج «دعم الديمقراطية» التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بفكرة تمكين الأقليات الطائفية في أنظمة الإدارة والحكم بدول المنطقة، فقد تحدث تقرير نشره معهد «غلوبال ريسيرتش» في شهر نوفمبر ٢٠٠٦؛ عن وجود تنسيق: أمريكي- بريطاني- إسرائيلي يهدف إلى تمكين الأقليات في المنطقة، وتوقع التقرير أن تشهد المرحلة المقبلة بذل جهود استخباراتية لتشجيع الأقليات في المنقطة للمطالبة بكيانات سياسية مستقلة مما يقدم حجة قوية للتدخل الغربي في شؤون هذه الدول لحماية الأقليات فيها.

وما لبث أن اتسعت مظاهر امتداد الحركات الطائفية من خلال النشاط الحقوقي الذي حظي بدعم العديد من المؤسسات الرسمية والأهلية في الغرب؛ والتي بدأت تسوق لفكرة اضطهاد الأقليات في الدول العربية، وأصبحت هذه المجموعات تمارس نشاطاً دبلوماسياً واسعاً في العواصم الغربية، وتتمتع بتمثيل إعلامي كبير، حيث تصدر منشورات في دور نشر غربية، ويشارك منسوبوها في الكتابة الصحفية وفي القنوات الفضائية وغيرها من وسائل الإعلام الخارجي.

وقد صدرت في الولايات المتحدة وبريطانيا مجموعة من الكتب والبحوث التي تحلل ظاهرة اهتمام الولايات المتحدة بتعزيز موقف الشيعة في العالم العربي، حيث أكدت دراسة لعضو في مجلس العلاقات الخارجية الأمريكي أن الولايات المتحدة تعزز سياسة تمكين الشيعة في العالم العربي، إذ كان لها الفضل في تأسيس: «أول كيان عربي شيعي في العراق»، وقد فرض ذلك عليها وضع سياسة جديدة للتعامل مع الشيعة في المنطقة الممتدة ما بين لبنان وباكستان، ورأت الدراسة أن مصالح الولايات المتحدة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بتمكين الشيعة في هذه المنطقة، وذلك انطلاقاً من القناعة السائدة في الأروقة الأمنية الأمريكية أن الشيعة لم يشكلوا أي خطر إستراتيجي على الولايات المتحدة كما فعلت الجماعات السنية المتشددة كالقاعدة وطالبان، واعتبرت الدراسة السيستاني أحد أكبر الداعمين للمشروع الديمقراطي الأمريكي في العراق التي أصبحت أول دولة عربية يعين فيها رئيس وزراء شيعي بصفة رسمية، ورأت الدراسة أن المنظمات الشيعية في المنطقة العربية قد أصبحت الحليف الرئيس للولايات المتحدة، ولا شك في أنه سيكون لها دور في تحجيم خطر التطرف السني.

٢- مؤشرات تطبيق مفهوم «تمكين الأقليات» في الأزمة السورية

في مقابل الجهود الغربية لدعم الأقليات وتمكينها في العالم العربي؛ يشن الإعلام الغربي حملة ضد التوجهات الدينية لدى السنة في سوريا، ويشارك في هذه الحملة أقطاب اللوبي الإيراني في

واشنطن، والصحفيون المتعاطفون مع الكيان اليهودي، وبعض مؤسسات اليسار المعادية للحكومات الخليجية الداعمة للثورة السورية.

وعلى الصعيد نفسه؛ فإن المنظمات الحقوقية الغربية قد تناغمت مع هذه الحملة، حيث نشرت مجموعة تقارير تتهم مقاتلي الجيش الحر بارتكاب المجازر وانتهاك حقوق الإنسان، وتحذر من خطر هذه المجموعات المسلحة على «الأقليات» التي باتت تخشى من: «ممارسات الجيش الحر».

وقد مثلت هذه الحملة ظاهرة دفعت بمجلة «إكسبرس» الفرنسية إلى نشر دراسة حول نشاط الصحفيين الغربيين المدافعين عن النظام السوري، وحث دولهم على صيانة النظام القائم خوفاً من المجهول، والتحذير من خطر التيارات الدينية المتشددة في سوريا على «الأقليات» وعلى الأمن الإقليمي.

ولم تقتصر الحملة على المؤسسات الإعلامية ومنظمات حقوق الإنسان؛ بل انخرطت مجموعة من مراكز البحث الغربية في التحذير من انتشار التطرف الديني في صفوف الثوار السوريين، ومخاطر تنامي تلك التوجهات على أمن الولايات المتحدة وحلفائها في المنطقة، ومن أبرزها: معهد دراسات الحرب في واشنطن، والذي أصدر دراسة تحت عنوان: «الجهاد في سوريا» تناولت فيها الباحثة «إليزابيث أوباغي» العلاقة بين الإسلام والإرهاب، وتتبعت تغلغل عناصر «القاعدة» في صفوف الثوار، ثم خرجت بنتائج لا تعكس أي موضوعية أو استيعاب لطبيعة المجتمع السوري وبنيته.

فقد قسمت الدراسة غالبية أبناء الشعب السوري من حيث مستوى «التشدد» إلى أربعة دوائر تتضمن: «المسلمين»، ثم «الإسلاميين»، ثم «السلفيين»، وأخيراً «الجهاديين»، وتبنت الباحثة مفهوم «العلمانية» باعتباره رديفاً لمفهوم «الاعتدال»، وذلك على الرغم من اعترافها بأن غالبية عناصر الجيش الحر لا ينتمون إلى أي تنظيم سياسي، وبأن كتائبه تدير المناطق المحررة بطريقة تعكس التسامح التقليدي الذي جبلت عليه الشخصية السورية.

ودللت الباحثة على تنامي التطرف من خلال الحديث عن انتشار سمات التدين المتمثلة في استخدام الكتائب شعارات تحمل معان دينية مثل: «لا إله إلا الله» و«الله أكبر»، وإطلاق أسماء ذات طابع ديني أو مستوحاة من التاريخ الإسلامي على الكتائب المقاتلة، وبروز مظاهر التدين الشخصي لدى المقاتلين كالمحافظة على الصلوات، وإطلاق اللحية التي اعتبرتها الباحثة إرثاً «سلفياً» يعكس التوجهات «الراديكالية» لدى بعض الكتائب.

يدعونا ذلك للتأكيد على خطورة ربط الإعلام الغربي التدين بالتطرف في خلط متعمد يقصد به الإساءة إلى الغالبية من أبناء المجتمع، وتقديم المبررت لتدخل القوى الغربية في حماية الأقليات ودعم مشاريع تمكينهم من مؤسسات الحكم بدعوى الخشية على مصيرهم في حال آلت السلطة إلى الغلبية من أبناء المجتمع.

وكان أحد أبرز مستشاري وزارة الخارجية الأمريكية قد نشر مقالاً يحلل فيه ظاهرة الاصطفاف الطائفي الذي ينذر بانفجار صراع إقليمي يصعب السيطرة عليه، ورأى الكاتب أن المحافظة على بنية النظام، متمثلة في: الجيش وقوى الأمن وهيمنة العنصر العشائري في مفاصل الدولة؛ هي الضامن الوحيد لمنع سوريا ومحيطها الإقليمي من الانزلاق إلى حرب طائفية، كما أنها تمثل نقطة الالتقاء بين الساسة الغربيين والروس في حل وسط ينهي حالة الجمود بمجلس الأمن.

وأضاف قائلاً: «إن بقاء نظام أسد القمعي العلوي بعد مغادرة بشار هو خيار مر المذاق، لكن البدائل الأخرى على أرض الواقع أسوأ من ذلك، هذا هو الخيار الأقل سوءاً».

وفي إشارة إلى تبني الإدارة الأمريكية لهذا الطرح؛ أكد وزير الدفاع الأمريكي خلال جولته الأخيرة في المنطقة في نهاية شهر سبتمبر ٢٠١٢؛ على ضرورة المحافظة على بنية الجيش ومؤسسات الأمن

في سوريا خلال مرحلة ما بعد الأسد، مشدداً على أهمية الاستفادة من التجربة العراقية في هذا الصدد.

ويظهر من هذه التصريحات ملامح سياسة الإدارة الأمريكية لمرحلة ما بعد بشار أسد؛ والتي تنطلق من محورين رئيسين:

١- تبني السياسية التفتيتية التي انتهجتها الإدارة الأمريكية في العراق، وذلك من خلال تعزيز دور المجموعات خارج إطار الدول، والتي تقوم على أسس إثنية ودينية وطائفية، وتشجيعها للإسهام في العملية السياسية باعتبارها الضامن الأساس لمنع الحركات الإسلامية من الانفراد بالحكم.

٢- المحافظة على البنية التحتية للمؤسسة العسكرية والأمنية (الطائفية- العشائرية) في سوريا، باعتبارها القوة الوحيدة التي أثبتت قدرتها في المحافظة على أمن «إسرائيل» ومنع الأزمة من الانتشار عبر الحدود. ولا يتأتى ذلك إلا من خلال إضعاف الجيش الحر، ومنع إمدادات الأسلحة النوعية عن كتائبه حتى لا تكون قادرة على تدمير البنية التحتية لفرق النظام.

ومن خلال استقراء المبادرات الدولية التي تقودها كل من الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وفرنسا؛ يمكن القول أن هذه الدول تسعى إلى احتواء الأزمة من خلال تحقيق التوافق مع روسيا والصين في الإبقاء على النظام، مع تغيير قيادته المتمثلة في بشار أسد وبعض قادته الأمنيين والعسكريين.

ونظراً لأن مبادرات هذه الدول تنطلق من تقدير مصالحها؛ فإنها لم تتمكن من فهم حقيقة أن الثورة قد قامت ضد المنظومة الفكرية والنظام الحاكم على حد سواء، وبأن الاستجابة لهواجس المنطلقات الإيديولوجية لنظام أسد ستؤدي إلى تعميق الأزمة وتفجير الموقف الإقليمي بدلاً من تأمينه.

ففي دراسة قيمة للمكونات الاعتقادية للنظام، رأى ثيو باندوس أن الخطر الكامن في الأزمة السورية يتمثل في تعامل النخبة السياسية بالقصر الجمهوري مع الثورة وفق خلفياتها الاعتقادية، والتي تزداد تطرفاً وعنفاً مع استمرار الضغط الدولي والعقوبات الاقتصادية.

والحقيقة هي أن نزوع المعارضة إلى التخفيف من حدة الاحتقان الطائفي، ومحاولة احتواء الفتنة الطائفية التي يؤججها النظام قد دفعت بهم إلى تجاهل عنصر خطير من مكونات البنية الاعتقادية لأركان النظام، والقائمة على المغالاة في تأليه القيادة السياسية وازدراء معتقدات الغالبية من أبناء المجتمع، وممارسة ذلك بصورة رسمية ومنهجية منذ مطلع الثمانينيات.

وتؤكد العديد من الدراسات أن إفراط النظام في توظيف النزعة العشائرية- المذهبية في المؤسسة العسكرية؛ قد أوقعه رهينة مجموعة متطرفة تمارس هذه التعديات عن اعتقاد وسبق إصرار.

النتائج

تتزايد المخاطر الاجتماعية الكامنة في سوريا بسبب عزوف السياسيين والباحثين عن الخوض في إشكاليات الطائفية ومناقشتها في أجواء علمية بعيدة عن الكبت أو المجاملة أو التجاهل الذي شاب الكتابة التاريخية خلال القرن الماضي.

وفي مقابل هذا العزوف لدى الأغلبية من أبناء المجتمع؛ تهرع بعض الجماعات الطائفية إلى كسب الشرعية والاعتراف الدولي باعتبارها شريكاً مهماً في عملية احتواء الأزمة وإعادة بناء الدولة، وذلك على الرغم من التطرف الذي تتبناه ومستوى العنف الذي تمارسه، متبعة بذلك السير على النسق العراقي الذي أسسته أمريكا؛ حيث تمارس قوات «البيشمركة» الكردية، و«فيلق بدر»، و«جيش المهدي»، وبعض فرق النخبة العسكرية التي تأسست على أسس طائفية دوراً أمنياً بارزاً بعد أن كانت مجرد مجموعات راديكالية خارجة عن القانون.

وفي الوقت الذي يتولى فيه «حزب الله» إدارة الشؤون الأمنية في جنوب لبنان وفي الضاحية الجنوبية لبيروت؛ تنادي بعض الجهات الغربية إلى الاعتراف بدور سياسي لعصابات الشبيحة، وفرق النخبة العلوية والمؤسسات الأمنية في سوريا بغض النظر عن الجرائم التي لا تزال ترتكبها في حق الشعب السوري.

وقد عززت مظاهر العولمة والدعم الغربي وتطور وسائل التواصل الاجتماعي تأثير هذه العناصر وقدرتها على التعاون مع منظمات حقوق الإنسان، ووسائل الإعلام الخارجية، ومؤسسات دعم الديمقراطية الغربية، حيث تبذل مؤسسة «القرن الجديد» من خلال مكاتبها في لندن وبغداد وتل أبيب جهوداً ملحوظة بالتعاون مع ريبال بن رفعت أسد لتعزيز دور الأقليات وتمكينها في مرحلة ما بعد سقوط بشار.

التوصيات

١- تشجيع الدراسات الجادة لتقصي إشكاليات التطور البنيوي للهيمنة الطائفية منذ نهاية الحكم العثماني وحتى اندلاع الثورة السورية الثانية عام ٢٠١١، إذ لا تزال الأنظمة العربية تجرم الخوض في هذه المسائل على الرغم من خطورتها على الأمن الوطني والأمن الإقليمي.

٢- دعم قطاعات البحث العلمي لدراسة سبل تفكيك البنية الطائفية المترسخة في الكيان الجمهوري منذ ولادته عام ١٩٣٢، وتقصي وسائل استعادة السلم الأهلي وتصحيح العلاقات المجتمعية من وجهة نظر محلية دون أي تدخل خارجي لدعم جهة ضد أخرى.

٣- ضرورة التمييز بين مفاهيم الإصلاح المجتمعي الهادف إلى تحقيق «التجانس» بين مختلف أبناء المجتمع السوري، وبين مشاريع «تمكين الأقليات» التي تتبناها الخارجية الأمريكية والتي تقوم على ترجيح كفة الأقليات ضد الأغلبية، إذ إن المشاريع الغربية لمرحلة ما بعد بشار أسد ترتكز على تعزيز الاختلال المجتمعي، وتقوية الأقليات بهدف ترسيخ نفوذها في المنطقة.

٤- توعية كافة فئات المجتمع بالاستخدام الخطير والفتاك لسلاح الطائفية الذي توظفه بعض الأنظمة الغربية للحد من انتشار المد الإسلامي، وذلك من خلال دعم الجماعات الطائفية العابرة للحدود، والتي تنفذ أجندات خارجية تبني على أسس اعتقادية تنطلق من فتاوى مرجعيات التيار الخميني والتيار الشيرازي في عدم شرعية الدول العربية الحديثة.

٥- استحداث مفهوم «إدارة الأقليات» في المجتمعات العربية، فقد أثبت التاريخ أن تجاهل المشاكل المجتمعية، ومحاولة التغاضي عنها لا يحقق الأمن والاستقرار، بل يتعين الاعتراف بها، والتعامل معها وفق المنظور الشرعي ونظريات الأمن المجتمعي.

ثناء القرآن على الصحابة سد لذريعة الطعن فيهم

محمد شاهر يامين(*) - خاص بالراصد

إن قواعد الشريعة التي وضعها الأصوليون والفقهاء قامت على استقراء للنصوص الشرعية لتكون الأساس التي يرجع إليها المجتهد في كافة القضايا صغيرها وكبيرها ليخلُص إلى الحكم الشرعي النابع من أصول واضحة لا هوى فيه ولا انحراف.

ومن القواعد الأصوليه المهمة التي ينبغي أن توظف بشكل بارز خاصة في زماننا هذا قاعدة (سد الذرائع) وهي مع الاستقراء للنصوص القرآنية والنبوية يظهر أنها ينبغي أن تكون من القواعد القطعية لا الظنية لكثرة النصوص التي تدلل على حجيتها.

وسد الذرائع هو: منع كل ما يفضي إلى مفسدة سواء كان في أصله جائزا أو حراما.

(*) طالب أردني، طالب بالدراسات العليا.

وهـذا المنع يكـون بطـرق متعـددة إمـا بـالنهي المباشـر عنـه أو بـالنهي عـن مقدماتـه وما يوصل إليه فيكـون النهـي عنـه مـن بـاب أولى وإمـا بـذم فاعلـه ليسد علـى النـاس فعـل مثلـه أو بالثنـاء لوصـف معـين أو علـى فئـة معينـة لـيحفظ مكانتهـا ويـسد بـاب الطعـن فيها والكلام عنها.

ومـن هنـا جـاء كلامنـا عـن أصـحاب رسـول الله ﷺ ورضـي الله عـنهم جميعـا فالـصحابي هـو «مـن رأى الـنبي ﷺ وآمـن بـه ومـات علـى ذلـك». الـصحابة هـم مـن كـانوا مـع الـنبي ﷺ وشـاركوه في الجهـاد والـدعوة ونـشر الـدين في شـتى البقـاع ورغـم كـل الظروف.

والمتأمـل في القـرآن الكـريم يجـد أن فيـه منهجـا عظيمـا يحـدد للأمـة كـل مـا يرقـى بهـا ويـنظم لهـا حياتهـا ومـن ذلـك حفظـه لمكانـة حملـة الـشريعة الـذين ورثوهـا عـن الـنبي ﷺ ورضـيهم الله تعـالى أن يكونـوا أصـحاب نبيـه ﷺ فقـد ذكـرهم الله تعـالى في كتابـه وأثنـى علـيهم ورفـع مـن شـأنهم لبيـان فـضلهم وأهميـة اتبـاع طـريقهم وهـذا سـد لذريعـة الطعـن فـيهم مِـن كـل مغـرض أو مفـسد يـسعى لهـدم الـدين بهـدم حملتـه، والطعـن في أحكامـه بـالطعن في رواتـه إلا أن القـرآن سـد علـيهم ذلـك بآيـات تغلـق علـيهم هـذا البـاب لا مجـال لتأويلـها ولا لتحريفهـا إلا أن يلـوي معانيهـا لويـا ويحـرف دلالتهـا صـراحة ومـا يـساعده علـى ذلـك إلا هـواه أو ليحـصل علـى مبتغـاه في ثلـم جدار الدين وإنزاله عن رفعته ومستواه.

قال الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة التوبة: ١٠٠]

وقال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [سورة التوبة: ١١٧]

يتجلـى بوضـوح هـذا الثنـاء القرآنـي علـى المهـاجرين والأنـصار وهنـا صيغـة مـن صيـغ العمـوم فيـشمل كـل المهـاجرين والأنـصار بـدون اسـتثناء. فلـو جـاء مغـرض يطعـن في أحـد مـن الخلفـاء الراشـدين أو غيرهـم مـن المهـاجرين والأنـصار فقـد كـذَّب القـرآن وطعـن فـيمن مـدح الله تعـالى وذم مـن رفـع الله تعـالى قـدره، وفي هـذه الآيـة سـد كـل بـاب يكـون ذريعـة للطعـن في أي فـرد مـن أفـراد المهـاجرين والأنـصار وإن أتـى بنـصوص موهمـة بخطـأ وقـع فيـه أحـدهم لـيطعن مـن خلالـه فنقـول لـه أن الـنص القطعـي الـصريح الدلالـة يـرد رأيـك وقولـك، فـضلا عـن أن أكثـر هـذه الروايـات إمـا مكذوبـة أو فهمهـا مغلـوط لا يخلـو مـن خلل.

ومـا أجمـل كـلام الإمـام ابـن كـثير - رحمـه الله - في معـرض الآيـة الأولى حيـث قـال في تفـسيره (٢٠٣/٤): «فقـد أخـبر الله العظـيم أنـه قـد رضـي عـن الـسابقين الأولـين مـن المهـاجرين والأنـصار والـذين اتبعـوهم بإحـسان: فيـا ويـل مـن أبغـضهم أو سَـبَّهم أو أبغـض أو سـبَّ بعـضهم، ولا سـيما سـيدُ الـصحابة بعـد الرسـول وخيرهـم وأفـضلهم، أعـني الـصديق الأكـبر والخليفـة الأعظـم أبـا بكـر بـن أبـي قحافـة، رضـي الله عنـه، فـإن الطائفـة المخذولـة مـن الرافـضة يعـادون أفـضل الـصحابة ويُبغـضونهم ويَـسُبُّونهم، عيـاذًا بـالله مـن ذلـك. وهـذا يـدل علـى أن عقـولهم معكوسـة، وقلـوبهم منكوسـة، فـأين هـؤلاء مـن الإيمـان بـالقرآن، إذ يـسبُّون مـن رضـي الله عـنهم؟ وأما أهـل الـسنة فـإنهم يترضـون عمـن رضـي الله عنـه، ويـسبون مـن سـبه الله ورسـوله، ويوالـون مـن يـوالي الله، ويعـادون مـن يعـادي الله، وهـم متبعـون لا مبتـدعون، ويقتـدون ولا يبتـدعون ولهـذا هـم حـزب الله المفلحون وعباده المؤمنون».

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ

﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [سورة الفتح:١٠].

نزلت هذه الآية في بيعة الرضوان التي بايع فيها الصحابة كلهم في عام صلح الحديبية لما انتشرت الإشاعة أن قريشا قتلت عثمان رضي الله عنه فبايع الصحابةُ رضي الله عنهم النبيَّ ﷺ على أن يقاتلوا معه وينتصروا له ولعثمان رضي الله عنه ولم يرد عن واحد منهم أنه نقض هذا العهد أو خالفه وعلى هذا يكون جمهور الصحابة الكبير الذي جمع المهاجرين والأنصار وكثير ممن آمن بعدهم داخلون في هذا الثناء القرآني ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ فكيف بعد هذا يأتي من لم تعرف عدالته ولم يظهر للناس تقواه ليتكلم فيمن نال هذه الرتبة وتلك المنزلة؟ ومن هنا يظهر كيف سد الله ذريعة الطعن فيهم بهذا الثناء الجميل.

وفي قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الفتح:٢٩].

في هذه الآية دلالة واضحة على تزكية الله تعالى لمن كان مع النبي ﷺ وما حوته قلوبهم من الإيمان وحسن العبادة التي يراها الرائي في وجوههم بمجرد ملاقاته لأحدهم وما تميزوا به من سعة الرحمة لإخوانهم وشدتهم على أعداء الحق فكان هذا المدح لمن أحبهم الله وأعلى من شأنهم ثم تأتي نابتة سوء لتعامل من هذا وصفهم بعكس هذا الوصف تماما فتجدهم أشداء مع أصحاب رسول الله المؤمنين ورحماء مع الغرب وبلاد الكفر وكفى بهذا دليل على فساد فكرهم وبطلان عقيدتهم.

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره (٣٦٢/٧): «ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك - رحمه الله، في رواية عنه- بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة، قال: لأنهم يغيظونهم، ومن غاظ الصحابة فهو كافر لهذه الآية. ووافقه طائفة من العلماء على ذلك. والأحاديث في فضائل الصحابة والنهي عن التعرض لهم بمساءة كثيرة، ويكفيهم ثناء الله عليهم، ورضاه عنهم».

ومن الآيات التي سدت كل أبواب الفتنة والفساد التي تسعى لهدم الدين والطعن في حملة الشريعة قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [سورة الحشر: ٩]

فقد بينت الآية أنهم نالوا الدار والإيمان وهل بعد هذا من ثناء وتزكية لصفوة الناس فقد حوت قلوبهم الإيمان وصفت لإخوانهم الذين لحقوا بركبهم هنيئا لهم هذا النقاء وهذه الدرجة من التقوى جمعنا الله بهم يوم لا ينفع مال ولا بنون.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الحديد:١٠].

قال ابن عاشور – رحمه الله- في تفسيره (٣٧٦/٢٧): «وهذه الآية أصل في تفاضل أهل الفضل فيما فضلوا فيه، وأن الفضل ثابت للذين أسلموا بعد الفتح من أهل مكة وغيرهم. وبئس ما يقوله بعض المؤرخين من عبارات تؤذن بتنقيص من أسلموا بعد الفتح من قريش مثل كلمة «الطلقاء» وإنما ذلك من أجل حزازات في النفوس قبلية أو حزبية، والله يقول: ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون [الحجرات: ١١].

وجملة ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ تذييل، والواو اعتراضية، والمعنى: أن الله يعلم أسباب الإنفاق وأوقاته وأعذاره، ويعلم أحوال الجهاد ونوايا المجاهدين فيعطي كل عامل على نية عمله».

وكذلك في هذه الآية رد واضح على كل من سعى ليطعن في أصحاب رسول الله ﷺ فقد ذكر الله هنا التفاضل بينهم في المنزلة والدرجة والأجر فلم يبق لأحد أن يطعن فالكل في درجة الإيمان ولكن يتفاوتون وتتفاوت الأعمال وتقل الذنوب أو تكثر فكل حسب إيمانه ومع ذلك ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ لأنهم ساروا على الطريق المستقيم وضحوا لربهم بملذاتهم وشهواتهم.

ومما سبق يتبين لنا كيف أن القرآن أثنى على الصحابة رضوان الله عليهم ليسد باب الذريعة للطعن فيهم أو تنقيصهم والإساءة إليهم فكيف يُذم من مدحه الله وكيف يساء لمن رفعه الله هيهات هيهات ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة الرعد :١٧].

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [سورة الإسراء: ٨١] وهكذا سنة الله في كل باطل.

نسأل الله تعالى أن يبصرنا بالحق حيث كان، وأن يكرمنا باقتفاء أثر أصحاب نبيه ﷺ ورضي الله عنهم جميعا فهم صفوة الخلق وحملة الدين وشعار الإيمان.

الشيعة والأقباط.. تحالف الإثم والعدوان

أسامة الهتيمي(*) – خاص بالراصد

كانت ولا تزال – ربما حتى اليوم – الحجة التي يطنطن بها دعاة التقريب بين السنة والشيعة هي توحيد الموقف السياسي الإسلامي في مواجهة المواقف الغربية التي تستهدف في أغلبها بقاء الأمة الإسلامية على حالة ضعفها وتشتتها فضلا عن كونه أحد أهم العوامل التي يمكن بها أن يصمد المشروع الإسلامي في مواجهة المشاريع العلمانية التي تريد أن تحصر الدين في طقوس وشعائر ومن ثم تسلبه حيويته وارتباطه بالحياة والناس.

والحقيقة أن هؤلاء نجحوا إلى حد كبير وعبر هذا الطرح النظري أن يخدعوا قطاعات ليست بالقليلة من النشطاء والمثقفين الذين غلبت تطلعاتهم وحماسهم حدود التفكير المنطقي والعقلي والقراءة الصحيحة للواقع الذي تعيشه الأمة إذ كان الحديث عن التقريب - وبكل أسف- بين السنة والشيعة أقرب ما يكون خنجرا مسموما في جسد الأمة بعد أن ثبت أن آثاره ونتائجة جاءت معاكسة ومناقضة تماما لما كان يأمله ويتمناه المدافعون عنه من أهل السنة.

فعلى المستوى السياسي يدرك الجميع الآن وبلا أي جدل حقيقة وطبيعة الدور الخبيث الذي تلعبه الدولة الإيرانية الشيعية في المنطقة والتي بدا أنها تبذل ما في وسعها لتحقيق أحلامها التوسعية على حساب البلدان السنية ومن ذلك احتلال الجزر الإماراتية الثلاث فضلا عن ترويج الادعاء بأن لها حقا تاريخيا في مملكة البحرين.

كما لم يعد هناك شك أيضا في أن الدولة الإيرانية هي اللاعب الأساسي في إثارة الفتن الطائفية في بعض البلدان السنية كما هو الحادث في اليمن حيث النزاع بين الحوثيين وبين الدولة اليمنية والذي كبّد الدولة اليمنية الكثير من الخسائر البشرية والمادية.

الإسلام ستار

وكان من بين مظاهر الانخداع بالحديث عن التقريب أن وقع البعض من أهل السنة في مصر في فخ التشيع بعد أن بهرتهم الشعارات البراقة والأباطيل المضللة وقدموا السياسي على العقيدي فكان تشيع هؤلاء ثغرة تمكن عبرها أن تتحرك الدولة الإيرانية داخل البلاد فتثير من الإشكاليات والقضايا ما كان بعيدا تماما عن البيئة والمجتمع المصريين بل كان الأخطر أن أضحى الشيعة وبعد اندلاع ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م

(*) كاتب مصري.

شوكة في حلق الإسلاميين بدلا من أن يكونوا وكما كان يظن المخدوعون سندا ودعما لهم.

والمصيبة أن الشيعة المصريين لم ينحازوا في مواقفهم للعلمانيين من الليبراليين واليساريين فحسب بل إن ما تناقلته وسائل الإعلام مؤخرا عن وجود تنسيق واتصال فيما بين الشيعة وبين الكنيسة المصرية كان أمرا أكثر كارثية إذ أن هذا التنسيق لا يعكس فقط مجرد خلاف يتعلق بالسياسة أو بالوسائل وإنما خلاف أكبر من هذا بكثير.

والحديث عن هذه الاتصالات ليس من باب المبالغة أو محاولة الطعن في الشيعة المصريين ولكنه حديث ثبت صحته بتأكيد من الطرفين الشيعة والكنيسة على حد سواء فقد كشفت مصادر كنسية – وفق العديد من الصحف - عن بدء اتصالات مكثفة بين قيادات الكنيسة الأرثوذكسية وقيادات شيعية لتوحيد المواقف السياسية بعد أن قام النصارى والصوفية بتدشين ما عرف من قبل بـ «التحالف الصوفي – القبطي» أو «الرابطة المصرية» العام الماضي لمواجهة المد السلفي في الانتخابات البرلمانية.

وهو ما أكده بهاء أنور محمد المتحدث باسم الشيعة فى مصر وعضو الهيئة العليا لحزب «غد الثورة» حيث قال إن هناك مباحثات بين الشيعة والأقباط والتيار الصوفي استعدادًا للانتخابات البرلمانية القادمة.. مشيرا إلى أن هذا التحالف جاء نتيجة التخوفات التى تنتابهم مما أسماه بالاضطهاد الديني والأمني.

ولاشك أن هذا التنسيق أو هذا التحالف لم يكن اعتباطيا أو عفويا دون تخطيط من قبل الشيعة ومحركيهم في الدولة الإيرانية إذ لم تمر ساعات عن الإعلان عن هذه الاتصالات بينهما حتى فاجأنا وزير الخارجية الإيراني علي أكبر صالحي بلقاء بابا الكنيسة المرقسية تواضروس الثاني بالمقر البابوي بالعباسية بدعوى تهنئته بعيد الميلاد ودعوته لزيارة إيران.. واصفا اللقاء بأنه كان «طيبًا» وأنه استفاد من إرشادات البابا.

كذلك فقد شارك عدد من النصارى الآلافَ من أبناء الطرق الصوفية فى احتفالاتهم بالمولد النبوي بالساحة الحسينية بالقاهرة لهذا العام الهجري الجاري حيث احتشد البعض منهم على جميع المداخل المؤدية إلى المسجد رافعين اللافتات منها «مسلم ومسيحي إيد واحدة» و«أقباط مصر تهنئ الأمة الإسلامية بالمولد النبوي».

وتتسق مثل هذه الأحداث مع الكثير من مواقف سابقة لبعض الفرق الصوفية القريبة جدا من الشيعة في مصر ومن بينها الطريقة العزمية بقيادة الدكتور علاء أبو العزايم الذي اختار - تحت شعار (دعمًا للوحدة الوطنية) - رجل الأعمال النصراني المهندس نجيب ساويرس المعروف بمواقفه المتشددة لدرجة كبيرة من الإسلاميين والمشروع الإسلامي باعتباره رجل العام الهجري لعام ١٤٣١هـ حيث سلمه درع الطريقة العزمية وهو الأمر الذي أثار استياء قطاعات شعبية عريضة خاصة وأن التكريم جاء متزامنا مع بعض التصريحات الخطيرة وربما المسيئة الصادرة عن ساويرس.

ويعكس هذا التكريم إلى أي مدى توثقت العلاقات بين الثلاثي (الصوفية – الشيعة – النصارى) والذي تم تتويجه بتأسيس ائتلاف أطلق عليه «الرابطة المصرية» التي ضمت مشايخ وقساوسة كان من بينهم الشيخ فوزي الزفزاف وكيل مشيخة الأزهر الأسبق والأنبا يوحنا قلته نائب البطريرك الكاثوليك والقمص مكاري يونان كاهن كنيسة المرقسية القديمة والقس سامح موريس كاهن كنيسة قصر الدوبارة.

وقد عقدت الرابطة نحو أربعة اجتماعات وورش عمل متتالية لصياغة بنودها وشارك فيها نحو ١٥ شيخ طريقة صوفية وممثلين عن الطوائف النصرانية وممثلين عن الأحزاب الصوفية (التحرير المصري ونهضة مصر والنصر الصوفي).

وتستهدف كل هذه التحالفات والاتصالات بطبيعة الحال ووفق ما يعلنه قادة الصوفية والأقباط

مواجهة ما أسموه بالفكر المتطرف الذي يقصد الأحزاب الإسلامية التي تسعى لتحكيم الشريعة الإسلامية واعتبار المرجعية الإسلامية هي المرجعية العليا للبلاد ومن ثم وفي هذا السياق فإن خطر الشيعة والتشيع لم يعد منحصرا في تضليل آخرين ووقوعهم في فخ التشييع الذي به من الأضاليل ما به وإنما يمتد خطرهم لما هو أكبر من ذلك إذ أضحى الشيعة جزءاً من الكيانات الرافضة للمشروع الإسلامي بل والمحاربة له وهو ما بدا أثره في تحالفات الشيعة والصوفية مع العلمانيين في رفض الدستور ومعاداة الرئيس المصري الدكتور محمد مرسي.

وينقلنا هذا الموقف الخاص بشيعة مصر ومتصوفتها وموقفهما من الرئيس مرسي وجماعته الإخوان المسلمين إلى التساؤل الذي كنا قد ناقشناه في مقال سابق حول الجدلية الغريبة التي تحتاج إلى الكثير من التفسير والتي تتعلق بموقف الإخوان المسلمين المتساهل جدا مع الدولة الإيرانية والشيعة في الوقت الذي لا تترك فيه إيران أو قيادات الشيعة في مصر فرصة إلا واستغلتها حتى تمكن لدعوتها الشيعية في البلاد ولو كان هذا على حساب الأمن الاجتماعي المصري.

وقد تجسدت هذه الجدلية مؤخرا في حدثين في غاية الخطورة:

أولهما: هو ما تم الإعلان عنه مؤخرا عن إنشاء أول مجلس رسمي لأهل البيت في مصر برئاسة القطب الشيعي المصري صالح الورداني وهو الأمر الذي اعتبره الطاهر الهاشمي عضو المجمع العالمي لأهل البيت ظاهرة صحية وطيبة لما يظهره ذلك من كثرة تواجد أتباع أهل البيت في مصر ومدى حب المصريين لهم.

وأضاف الهاشمي أن سماح الحكومة المصرية بتأسيس كيان لأهل البيت تحت مسمى (مجلس أهل البيت) هو خطوه إيجابية وسياسة جديدة في التعامل مع أتباع آل البيت في مصر تؤكد أن تغيرا قد طرأ على نظرة النظام الجديد مع شيعة أهل البيت.

وقد كشفت هذه الأنباء عن مسألة أخرى تؤكد المبدأ الشيعي المتعلق بالتقية فالورداني الذي يقوم على إنشاء المجلس الشيعي كان قد أعلن قبل سنوات عن تبرؤه من التشيع ما دفع البعض إلى الاعتقاد بأنه عاد إلى مذهب أهل السنة وهو ما ثبت عدم صحته إذ بدا أن الرجل يتلاعب بالألفاظ حتى سنحت الفرصة وأعلن عن قيامه بتأسيس المجلس الشيعي.

وقد أشار الورداني إلى هذا بصراحة وجرأة غريبة في حوار مع موقع العربية نت إذ أكد أنه مختلف مع الشيعة وليس مختلفا مع التشيع وهو ما يعني وبعيدا عن مراوغاته أنه ما زال شيعيا ولم يتبرأ من التشيع.

فيما كان ثانيهما: هو ما تناقلته العديد من المصادر الإعلامية عن قيام قاسم سليماني قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني بزيارة مصر ولقائه بعصام حداد مساعد الرئيس المصري لشؤون العلاقات الخارجية.

وعلى الرغم من أن حداد نفى صحة هذه الأخبار وأن المسئول الإيراني لم يدخل مطلقاً الأراضي المصرية إلا أن الخبر أكدته العديد من المصادر الشيعية والصوفية في مصر بل وتناقلته العديد من الصحف والمواقع العربية والأجنبية ولم ينحصر ذلك على صحيفة «تايمز» البريطانية التي كانت أول من نشره ذاكرة أن اللقاء جاء لبحث دعم النظام المصري في مجال بناء جهازي الأمن والمخابرات بشكل مستقل عن أجهزة الأمن الوطني التي يسيطر عليها الجيش المصري.

وخطورة هذا الأمر إن صح تعود إلى أن سليماني هذا شخصية عسكرية مشبوهة كان لها أدوار سياسية ومخابراتية شكلت في مجملها انتهاكا صريحا لحقوق المسلمين السنة في العديد من البلدان العربية من بينها إيران والعراق وسوريا ولبنان واليمن ودول الخليج ومن ثم فإن مجرد التعاطي مع هذا الرجل هو في حد ذاته شبهة وأمر

يحتاج إلى الكثير من التفسير والإيضاح.

مناهضة النظام

وفي محاولة لفهم ما يجري وتفسير التطورات الأخيرة وما تضمنتها من اتصالات بين الكنيسة والشيعة التقت الراصد باثنين من المتخصصين في شئون الكنيسة المصرية.

في البداية يقول عبد الحميد قطب إنه لا شك في أن الكنيسة المصرية في هذه اللحظات ومنذ صعود التيار الإسلامي إلى سدة الحكم تقوم بالتنسيق والاتصال بجميع القوى المناوئة للتيار الإسلامي الحاكم وبالطبع فإن أصحاب المذهب الشيعي هم من ضمن الأطراف العاملة على الساحة المصرية كمعارضين للنظام السني الحاكم وقد اتضح ذلك في ظهور بعض الشخصيات الشيعية تدعم المرشح الناصري حمدين صباحي في الانتخابات الرئاسية في حين أن هناك تسريبات تقول إن المرشح قد أعطى لهم ضمانات كبيرة وتعهدات في حال وصوله للحكم بأنه سوف يتيح لهم ممارسة طقوسهم بصورة علنية كما أنه سيمنحهم حق إقامة الحسينيات الأمر الذي جعلهم يدعمونه بصورة مطلقة بل إن هناك معلومات شبه أكيدة بأن إيران دعمت صباحي في الانتخابات الرئاسية ماديا وهو ما صرح به الكاتب الأردني ياسر الزعاترة في تغريدة له بأن حزب الله سلم لصباحي ٢٥ مليون دولار لصالح حملته لانتخابات الرئاسة، ولم تتراجع القوى الشيعية في مصر عن دعم المرشح الخاسر صباحي بعد خسارته بل ظلت تدعمه وتطالب بإسقاط الدكتور محمد مرسي وهو ما جعل هذا الموقف يتقاطع بشكل مباشر مع الكنيسة والقوى القبطية التي دعمت أيضا المرشح الخاسر أحمد شفيق.

وأضاف قطب أن الفلسفة العقائدية للشيعة والمسيحية تعد فلسفة متقاربة جدا فلو نظرنا إلى طقوس التعبد عند الشيعة فسنجد أنها مقتبسة بصورة كبيرة من العقيدة المسيحية خاصة في تقديس الأشخاص وكذلك في مسألة الأضرحة والموالد والأعياد لدى الطرفين على اختلاف التسميات وهذا الأمر أيضا يعد أرضية كبيرة لالتقاء الشيعة والأقباط في مصر على توجه واحد.

كما أن هناك مسألة أخرى تجمع بين الشيعة والكنيسة وهي العداء المطلق للتيار السلفي الذي يرى أن أهل السنة يشكلون تهديدا كبيرا للشيعة والمسيحيين في حين يتهمون النظام الحاكم والقائم في مصر بأنه يوفر المناخ الجيد لهذا التيار كي يمارس جميع أنشطته وبالتالي فإن الالتقاء بين الشيعة والكنيسة في هذه المسألة أمر واضح وجليّ.

وقال قطب إنه من المعروف الآن لدى كل قطاعات الشارع المصري أن الكنيسة المصرية سحبت تأييدها للمرشح الخاسر أحمد شفيق وأصبحت الآن تؤيد المرشح الخاسر صباحي وهو المدعوم مسبقا من قبل القوى الشيعية في مصر وجمهورية إيران الأمر الذي يمثل تقاطعا واضحا في دعم الكنيسة والأقباط لصباحي وهو ما يعتبر تحالفا غير معلن بين القوتين.

وأكد قطب أنه لا يستبعد أن يكون هناك تنسيق بين الكنيسة وكل القوى المعارضة للنظام بمن فيهم الشيعة في الانتخابات البرلمانية المقبلة مضيفا أن علينا أن نعي أن الشيعة ليس لهم كيان سياسي واضح في مصر وأن هناك حزبا لهم مرفوضا من قبل لجنة شئون الأحزاب وبالتالي فإن تحالفهم مع الكنيسة لن يكون رسميا.

وفي تفسيره لموقف الإخوان من الشيعة برغم كل سلوكهم المرفوض قال قطب إنه لاشك أن الشيعة في جميع أنحاء العالم لديهم ارتباط فكري ومنهجي بالجمهورية الإيرانية وبالتالي فإن موقف الشيعة المعادي للإخوان بعد أن كان هناك شبه تقارب بينهما يرجع إلى دعم النظام المصري للثورة السورية وهو الذي يمثل للجمهورية الإيرانية عداء غير معلن حيث إن الجمهورية الإيرانية تشارك بشكل معلن في قمع الثورة السورية حيث تعتبر سقوط النظام السوري ضياعا لامتدادها في المنطقة العربية وبالتالي فإن موقف الشيعة من النظام

المصري ينبع من موقف الجمهورية الإيرانية من دعم مصر للثورة السورية، فكثير من مقالات وكتب بعض شيعة مصر تهاجم الإخوان بشكل صريح ومسف من سنوات طويلة مثل أحمد النفيس في مقالاته بجريدة القاهرة وبعض كتبه قبل الثورة السورية.

أيضا فإن الشيعة في مصر يلحظون أن المتحكم الآن في جماعة الإخوان المسلمين هو الجناح السلفي المحافظ والذي يمثله المهندس خيرت الشاطر والرئيس مرسي أيضا وبالتالي فإن الشيعة يجدون سيطرة هذا الجناح على الجماعة والحزب الحاكم يمثل خطرا عليهم أكثر من خطر أي نظام حاكم سابق وبالتالي فإنهم يدعمون جميع القوى المناوئة له ومن ضمن هذه القوى بالطبع الكنيسة.

تحالف انتخابي

أما الباحث حسام عبد العزيز فيرى أن التوافق الغريب في المواقف السياسية بين الكنيسة والشيعة بعد الثورة يؤكد أن الاتصالات قائمة بالفعل لكنها ليست بالضرورة اتصالات مباشرة بمعنى أن وسطاء سياسيين يلعبون هذا الدور.

وأضاف عبد العزيز أن الناشط القبطي هاني سوريال ألمح إلى وجود هذه الاتصالات كما أن هناك تصريحات لهشام النجار المتحدث الرسمي لحزب البناء والتنمية الذراع السياسية للجماعة الإسلامية تعليقا على هذا التقارب وعليه لا ينبغي أن نغفل الغزل الشيعي للكنيسة والذي تجلى بتهنئة بهاء أنور محمد المتحدث الرسمي باسم الشيعة المصريين للبابا بالأعياد.

وأكد عبد العزيز أن هناك معلومات فعلية عن تحالف انتخابي بين الأقباط والشيعة في الانتخابات البرلمانية المقبلة مضيفا أن هذا يتوقف على الوضع السياسي الحالي الذي ربما يقلب المشهد لاسيما بعد تلويح جبهة الإنقاذ بالانسحاب من الانتخابات في الوقت الذي يحتاج فيه مثل هذا التحالف الديني إلى غطاء سياسي «مدني» كي لا يلفظه الشعب وهو ما يفسر محاولات الأقباط للاندماج داخل قائمة مدنية وهو ما أظهرته تصريحات المفكر القبطي جمال أسعد التي أكد فيها أن وجود تحالف قبطي مع الشيعة في الانتخابات البرلمانية المقبلة إشاعة مغرضة تربك المشهد السياسي.

وأشار عبد العزيز إلى أن المؤسسات الشيعية الجديدة ومن بينها مجلس أهل البيت هي مؤسسات لها أهداف مشبوهة معادية للسنة مضيفا أنه وعلى الرغم من تصريحات الطاهر الهاشمي الذي يقف وراء كيان مجلس أهل البيت والتي أشاد فيها بالأزهر فإن التصريحات نفسها شابها الكثير من الطوام منها مهاجمته السلفيين بل إن الأخطر هو تصريحاته التي أكد فيها أنه لا فرق بين شيعة العراق والبحرين وإيران واحتفاؤه بالرئيس الإيراني أحمدي نجاد.

وفي سياق تفسيره لقضية الورداني وتبرؤه من الشيعة ثم تبنيه إنشاء مجلس أهل البيت، قال عبد العزيز: «الحقيقة أن التقية تحكم مثل هذه التصرفات وهي أصل في المذهب الشيعي. ويمكننا أن نراجع تصريحات الطاهر الهاشمي بأن النظام السابق حرم المصريين من الاستفادة من خبرة وعلم وثقافة الكثير من قادة الشيعة ومثقفيهم من أمثال صالح الورداني لما يمثله من ثقل كبير في شيعة مصر خاصة، والمجتمع الثقافي عامة، حيث إنه يحاضِر في مختلف الدول العربية والإسلامية.

كما لك أن تستنتج هذا النهج الملتوي من استنكار الورداني احتفال شيعة مصريين بذكرى عاشوراء داخل مقام الحسين حيث قال إن من قام بهذه الفعلة لا ينتمون إلى الشيعة المصريين المعتدلين ولا ينتسبون إلى آل بيت رسول الله ﷺ، ويحاولون تصدير التشيع إلى مصر على الطريقة العراقية والإيرانية. وهنا أستدعي تصريحات الطاهر الهاشمي في اليوم السابع والتي أكد فيها أن شيعة العراق كشيعة إيران ومصر. وعليه فإنني أرى أن

هذا الموقف يلخص أسلوب الشيعة في المناورة في إطار «شرعي» من التقية.

وبالمناسبة فقد انتقد الورداني صراحة الطاهر الهاشمي لأنه من وقف خلف هذه الاحتفالات رغم أن الكيان الناشئ سيضم الاثنين.

وفيما يخص زيارة سليماني للقاهرة قال عبد العزيز: «لقد نفت الأطراف المختلفة هذه الزيارة من الأصل ولكن لا يمكن استبعاد أن النظام الحالي قد يحاول الإمساك بالعصا من المنتصف فهو لا يتمنى عداء مع إيران بالطبع ولا يحب في الوقت نفسه استعداء الخليج أكثر من ذلك. بعض التصرفات الأخرى تعكس نهجا حكوميا مصريا لاسترضاء الشيعة أو تحييدهم من أهمه السماح بتأسيس مجلس آل البيت، وتنصل الأزهر من مؤتمر نصرة الشعب الأحوازي، وتعيين مستشار قانوني لوزارة الإعلام تردد أنه شيعي».

الرادود الحسيني والخطاب العقائدي الشعبوي

بوزيدي يحيى(*) – خاص بالراصد

بعد انتقال التشيع من موقف المعارضة السياسية في بداياته الأولى، إلى عقيدة دينية تتمحور حول قضية الإمامة عبر التراكم التاريخي أصبح التشيع يشكل جملة من العقائد المترابطة والمتراصة، ورغم ما يسودها من اختلالات نتيجة تناقضاتها إلا أن الفرد الشيعي المنشأ لا يدركها، خاصة وأنها تستند في ترويج ذلك على قصة استشهاد الحسين رضي الله عنه وما رافقها وسبقها من مواقف سياسية يسهل المناورة بها والارتكاز عليها في نقض كل ما يأتي من الطرف الآخر من تشريعات وعقائد وهو المختلف سياسياً في الأصل، إذ أن النقاش الشيعي في جوهره ينطلق من التشكيك في المعتقد السني وإثبات نفسه بنفي الآخر، وأبرز الأمثلة على ذلك أنه لا يمكن الحديث عن الإمامة وإثباتها دون الطعن في الخلفاء الراشدين، ولكن لحاجة العقائد إلى نصوص دينية فإنهم تأسيسا على ما سبق من مواقف سياسية ألحقوا المعتقدات والاجتهادات الفقهية بنصوص تشير إلى وجود مؤامرة ضد آل البيت، وقد بثوا تلك النصوص المختلقة بخصوص الأئمة الشيعة في المصادر الشيعية ورفدوها بالكثير من الأكاذيب عنهم لتكتمل الحلقة.

إلى جانب هذا تم ابتداع هذه الطقوس والشعائر، وأبرزت حتى أصبحت معبرة عن الهوية الشيعية كمراسم يوم عاشوراء، وصار أي تشكيك فيها أو محاولة لطرحها على طاولة النقاش تمثل تهديدا للوجود الشيعي برمّته، ولو تم التعامل مع النصوص المتعلقة بهذه الشعائر بنفس الطريقة التي يتعاملون بها مع أهل السنة لما بقي للمعتقد الشيعي أي أساس وسيكون مقدمة لنفيها كلها، ولعل هذا ما يفسر رفض النقاش حول هذه المواضيع على محدوديته رغم أنه ظل حبيس الوسط الشيعي، ولكن سياقات العولمة والنقل المباشر جعلت النقاش حول هذه القضايا ضرورة ملحّة من أجل عكس صورة إيجابية عن التشيع بعدما أصبح مقترنا بطقوس بشعة ومقززة كاللطم والزناجيل، في حين كانت هذه الصورة بعيدة عن عموم الأمة، وقدمت لها صورة للتشيع تحمل واجهة المقاومة والعقلانية التي خدعت الكثيرين.

سنحاول في هذا المقال طرق موضوع مهم جدا يتعلق بدور الرادود الحسيني وما يعتري هذا الخطاب من مضامين ربما تكون نافذة أخرى يمكن من خلالها رؤية ما يحمله الشيعة من عقائد وتصورات حول السنة يشحنون بها جمهورهم، وما يمكن أن نتوقعه من هؤلاء بناءً على ذلك.

تطور طقوس عاشوراء

يشير الدكتور إبراهيم الحيدري إلى أن الطقوس الرمزية التي قام بها (التوابون) للأخذ بثارات الحسين، بعد أن شعر أهل الكوفة بالندم المرير لمقتل حفيد رسول الله - ﷺ - هي

(*) كاتب جزائري.

الحركة التي كونت نواة الاحتفال بذكرى عاشوراء، حيث كانوا يذهبون إلى كربلاء ويجتمعون حول قبر الحسين يوم عاشوراء لاستعادة ذكراه ومواساته وطلب المغفرة منه لتقاعسهم عن نصرته في واقعة الطف بكربلاء[1].

غير أن الندب والبكاء لم يصبحا طقسين ثابتين وعامين إلا في القرن الثالث للهجرة، حين ظهر اسم «النائح» الذي يرثي الحسين بشعر ملحن في بغداد. وقد تطورت النياحة إلى قراءة كتاب «مقتل الحسين» لابن نباتة ثم لابن طاووس، وأطلق على من يقرأ النياحة في عاشوراء اسم قارئ «المقتل»، الذي هو في الحقيقة وريث المداح العربي القديم و«الروزخون» وقارئ المقامات[2].

ويعود أول احتفال رسمي بها إلى زمن معز الدولة البويهي في بغداد عام ٣٥٢هـ/ ٩٦٣م، حيث أغلقت الأسواق، وسارت النادبات في الشوارع وقد سوّدن وجوههن وحللن شعورهن وهن يلطمن وجوههن ويرددن مرثية حزينة عن الحسين، كما جرت طقوس الحزن والبكاء يوم عاشوراء أيام الإخشيديين في مصر، واتسع نطاقها أيام الفاطميين، وعلى إثر مجيء الصفويين إلى الحكم في إيران في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) وإعلانهم المذهب الشيعي الإثني عشري، مذهبا رسميا للبلاد، أقيمت الاحتفالات بيوم عاشوراء في التكايا، ثم تطورت خلال القرن التاسع عشر الميلادي وامتدت إلى أنحاء عديدة من إيران، ومنها انتشرت إلى الهند وأذربيجان التركية، ومن ثم إلى الأناضول وغيرها من الدول الإسلامية[3].

وفي منتصف القرن التاسع عشر نشأت مواكب عزاء اللطم في كربلاء والكاظمية والنجف. وقد حاول الوالي التركي للعراق مدحت باشا منعها وهدد بمعاقبة كل من يقيمها، ولكنه اضطر إلى التساهل في إقامتها. ومنذ بداية القرن الماضي انتشرت طقوس عاشوراء في أغلب المدن الشيعية في العراق. بعد أن تطورت مجالس التعزية والمواكب ومسارح عاشوراء الشعبية في المدن المقدسة، واتخذت طابعا شعبيا فلكلوريا. كما أصبحت كربلاء مزارا يؤمه الكثير من المسلمين، خصوصا في شهري محرم وصفر من كل عام[4]. وعقب الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣م، أصبحت تتم هذه الطقوس تحت رعاية النظام الطائفي الذي بلغ به الحد إلى إصدار كتب رسمية من وزارة التعليم العالي تفرض على الطلبة والموظفين المشاركة في المواكب[5].

الرادود الحسيني والعولمة

لم تعد أناشيد الرواديد تقتصر على الطقوس التي تقام في عاشوراء فقط، بل تجاوزتها الى العديد من الأماكن والمناسبات، إذ تحتل أمسيات الرادود الحسيني حيزا واسعا من وقت بث الفضائيات الشيعية وفي مقدمتها قناة الأنوار، وأصبحت مواويل الرادودية مقدمة للمحاضرات أو الدروس لاستقطاب الجمهور الشيعي. كما أنه توجد قناة للإعلانات التجارية تبث أناشيد الرواديد ٢٤ ساعة.

كما عرفت المآتم الحسينية تطورا حيث أضيفت إليها في كل مرحلة طقوس جديدة على غرار التمثيل المسرحي والتطبير الذي يؤرخ له بالمرحلة الصفوية، إذ يذكر المفكر الشيعي الإيراني علي شريعتي أن وزير الشعائر الحسينية في ظل الحكم الصفوي بإيران اقتبس المراسيم والطقوس من المحافل الاجتماعية المسيحية وأساليب إحياء ذكرى شهدائها وجاء بها إلى إيران بعد

(١) إبراهيم الحيدري، عاشوراء في العراق: دراسة اجتماعية لطقس العزاء الحسيني، في شيعة العراق المرجعية والأحزاب، ط٣، دبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث، سبتمبر ٢٠١١، ص ٢٠٨.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٠٩.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢١٠.

(٤) المرجع نفسه ، سبتمبر ٢٠١١، ص ٢١١.

(٥) رشيد الخيّون، العراق الجامعات للعلم لا للطم!، جريدة الاتحاد، ٢٠١٢/١١/٢١، على الرابط:
http://www.alittihad.ae/wajhatdetails.php?id=69307

إجراء تعديلات عليها، كما أضاف الشيعة في الهند حديثا طقس المشي على النار، وهو من إيحاءات سوسيولوجيا التدين الهندوسي، وأضيفت أيضا صور للحسين شبيهة بتلك التي توضع للمسيح في الكنائس[1].

وأصبح هذا التزايد المضطرد للقنوات الفضائية والتي تبث أناشيد الرواديد بكثرة، هدفا تجاريا بذاته من خلال إصدار ألبومات لأبرز الرواديد، وإنتاج كليبات وحتى ما يعرف في هذا المجال بالأوبرا.

محاولات الإصلاح تحت سقف الطائفة

الخلفية التاريخية لهذه الطقوس تعكس عدم وجود أساس فقهي ونصوص عنها وأنها مجرد ابتداع نشأ وتطور في سياق اجتماعي شعبوي، لذلك فإن طقوسه تسير نحو التطرف في السلوك الذي لا يعبر عن تعبد سليم، وما دام الإيذاء للنفس هو معيار حب الحسين والإيمان به كما يعتقد القوم فإن هذه الطقوس ستسير في هذا المنحى باستمرار، وهذا ما دفع بعض الأوساط الشيعية إلى العديد من المحاولات لإصلاح طقوس عاشوراء نظرا لمصادمتها لما هو عقلاني رغم أن الشيعة يعزفون على وتر العقلانية!

إذ صدرت الكثير من الدعوات في هذا الإطار تدق ناقوس الخطر من سلبيات هذه الطقوس، فناهيك عن بشاعة اللطم والزناجيل والتي طالب البعض بتحويلها إلى مناسبة للتبرع بالدم فان للخطباء الحسينيين والرواديد أيضا سهماً في هذا المجال، ويختصر نجاح محمد علي حالهم بقوله: «خطباء المنبر الحسيني، وكثير منهم مقاولون وتجار يعملون وفق (تسعيرة) محددة، ولن يرقوا المنبر إلا إذا حدد سعرهم من قبل، والكثير منهم يأخذ المنبر (قنطرات) ولا يكتفي بمنبر واحد في الليلة أو اليوم، ولهذا تلاحظه لا يغادر ملاحظة ساعة جيبه التي يعلقها تحت لباسه (الديني) لكي لا يتجاوز الوقت الذي حدده لكل منبر، ويسرع الى اللحاق بمنبر آخر ينتظره.

والرواديد: وهؤلاء يرددون أشعارا معظمها، من خيال الشعراء الذين يدفعهم حديث يؤمنون به ويتصرفون وفق «من أبكى وتباكى... وهؤلاء أيضا يعمل الكثير منهم بالتسعيرة، الا من رحم ربي، وبات الكثير منهم يساير)الموضة)، ويقرأ القصائد الشعبية وقليل منها بالفصحى، وكأنه مغنٍ يطرب الاسماع مقلدا ألحانا غناها مطربون ومطربات. والكثير من المراثي صارت كأنها أغنيات، وأضاف بعض الرواديد الموسيقى، وسجلوا المراثي تصويريا لتتحول إلى كليبات مصورة، يتمايل فيها الرادود يمنة ويسرة وهو قريب من كل شيء إلا من الحزن على سيد الشهداء الذي بكتهُ ملائكة السَّماء وهي تحفُّ بمنبره وتقرع به أنوف الطغيان»[2].

يتصدر مشهد الانتقادات والمراجعات لطقوس عشوراء ومضمون خطاب الخطباء الحسينيين مجموعة ينتمون لطبقة المثقفين من الكتاب والصحفيين بدرجة أكبر وليس المرجعيات الدينية التي محاولاتها تعد على الأصابع، فهذه المظاهر البشعة أثارت انتباه قلة من علماء الدين والمصلحين، الذين دعوا إلى ضرورة تطهير ما دخل العزاء الحسيني من ممارسات ضارة ومؤذية ومستهجنة، وما ارتبط به من أساطير وخرافات لا تلتزم بالحقائق التاريخية التزاما دقيقا[3] (٤). وفي الحقيقة يضيف الدكتور إبراهيم الحيدري فقد أطبق الصمت على مثل هذه الممارسات الضارة مما تركها تقوى وتنتشر، ما عدا بعض المحاولات الجريئة التي تصدت لمثل هذه الممارسات، كما أن

(١) زياد الدريس، سوسيولوجيا الدماء الدينية: ثنائية المسيح/ الحسين، مجلة الراصد نقلا عن الحياة اللندنية، العدد ٨٠، صفر ١٤٣١، ص ٤٤.

(٢) نجاح محمد علي، المنبر الحسيني بالتسعيرة؟!، ميدل إيست أونلاين، ٢٠١٢/١١/٢٠، على الرابط:
http://www.middle-east-online.com/?id=143670

(٣)

(٤) إبراهيم الحيدري، مرجع سابق، ص ٢٣٠.

استسلام بعض العلماء لهذا التيار الشعبي وتهاونهم في إصدار الفتاوى التي تحسم أمر هذه الطقوس، واتخاذ موقف موحد وصارم منها، أدى لتطويرها بشكل غير سليم. والحال أنه لم يصدر حتى اليوم إجماع على تحريمها ولا على جوازها من قبل المجتهدين، وربما يعود ذلك إلى عدم الوعي بها وعيا عميقا، أو التخوف من إثارة العامة ضدهم[١].

ونظرا لارتباط الشيعة بهذه الطقوس فان البعض يرى بأن ضياع الشعائر الحسينية هو ضياع للمذهب الشيعي[٢]. وهذا ما يفسر فشل محاولات الإصلاح على ندرتها ومحدوديتها، كمحاولة هبة الله الشهرستاني الذي استمر لسبعة أعوام برعاية حفل عظيم تتلى فيه أسرار نهضة الحسين من قبل أعلام الكتاب والشعراء، والشيخ محمد رضا المضفر عام ١٩٣٠ لتنقية المنبر الحسيني مما دخل إليه من شوائب، ولكن مشروعه لقي معارضة شديدة من خطباء المجالس الحسينية أنفسهم، وكذلك من بعض العلماء المتزمتين الذين وجدوا فيه تهديدا لمصالحهم الخاصة[٣].

وإضافة إلى ما تعرض له هبة الدين الشهرستاني من مقاومة وتعنت شديدين فإنه لا ينسب إلى المراجع التقليديين لأنه عرف باهتمامه بالمجال العلمي وإصداره مجلة «العلم» ١٩١٠، واختص بتدريس مواد الفلك والحساب في الحوزة الدينية كما كان مهتما بالصحافة وتبوأ منصب وزير المعارف[٤]، وأهم مرجع انتقدها هو اللبناني محمد حسين فضل الله وهؤلاء حوربوا من طرف المرجعيات وليس العوام. والسؤال الذي يطرح هو: ما سبب سكوت المرجعيات بل ووقوفها ضد محاولات الإصلاح؟

يستبعد تماما أن يكون عدم الوعي سببا في ذلك كما ذهب إليه الدكتور إبراهيم الحيدري لأن ما يحدث يجري أمام أعينها وإذا كان المرجع لا يشاهد الفضائيات فيكفيه إلقاء نظرة من نافذة بيته ليرى ذلك، أم أن لوكلاء جمع الخمس رأي آخر؟

وبما أن رفض محاولات الإصلاح كان مركبا من شقين شعبي ومرجعي (المرجعيات) فان ما يفسر الموقف الشعبي هو رفض المجتمعات في عمومها كل ما هو جديد واعتباره تهديدا لقيمها المتوارثة وعندما يكون للأمر علاقة بالدين فان حجم الرفض يكون أكبر، وعموما فالمسائل العقدية لا يمكن معالجتها بآليات قانونية محضة تهدف إلى إيقافها وهذا ما تجلى في فشل السلطة العراقية السابقة في منع طقوس عاشوراء حيث ووجهت شعبيا بالرفض.

ومبدئيا فالآليات التي تحكم سلوك المرجعيات العلمية تختلف عن الآليات الشعبوية، ولكن يبدو أن الواقع الشيعي على العكس تماما، لأن مراجع الشيعة لم يكتفوا بمسايرة الغوغائية الشعبوية ولا حتى مجرد تحريم هذه الطقوس، بل ولأجل المآرب الخاصة رفدوها بنصوص وفتاوى تتحدث عن الأجر الكبير الذي يناله هؤلاء بخدمتهم للحسين والحزن عليه، والتاريخ الطويل للطقوس لا يقارن بجهود المرجعيات في محاربتها التي تكاد تكون شبه معدومة ما يشي بتواطئها الفقهي، ويمكنها على الأقل رفع الغطاء عنها وغسل الأيدي منها حتى وإذا لم يُستجب شعبيا لذلك.

المنتج الرادودي

محاولة الإصلاح التي يتحدث عنها هؤلاء رغم سقفها الطائفي كون هدفها عدم ترك المجال لفضائيات السنة لإبراز هذه المظاهر والطعن في الشيعة، بمعنى أنها من أجل تحسين الصورة عند الآخر فقط وليس لأنها ليست من الدين، ولكن رغم هذا السقف فإنها فشلت في أقل المطلوب وبقيت في هذا الإطار ولم تطرق موضوع ما تحمله

(١) المرجع نفسه، ص ٢٣١.

(٢) عماد رسن، لماذا تقتلون الإمام الحسين؟، ميدل إيست أونلاين، ٢٠١٢/١١/٢٠، على الرابط:
http://www.middle-east-online.com/?id=143662

(٣) إبراهيم الحيدري، مرجع سابق، ص٢٣١.

(٤) لتفاصيل أكثر أنظر: رشيد الخيون، النزاع على الدستور بين علماء الشيعة المشروطة والمستبدة، ط٢، دبي: دار مدارك للنشر، نوفمبر ٢٠١١، ص ٢٩٤- ٣٠٩.

أشعار الرواديد من عقائد ومواقف من الآخر وانعكاسها على وحدة الأمة ومشاريع التقريب التي يدندنون حولها كثيرا أيضا.

فالأشعار جلها تدور حول مآسي آل البيت وخاصة قصة استشهاد الحسين وبنفس «الآلية» من خلال تحميل المسؤولية للآخر السني دون استثناء، فهي مليئة بالحمولات العقدية تجاه السنة وتجييش العوام ضدهم وإشعارهم بالحزن والأسى على ما جرى وتحميلهم المسؤولية على ذلك والتي يكفر عنها بحمل «رسالة الحسين» وثورته ضد الظلم والطغيان «السني» تلميحا وتصريحا حيث يقترن الظلم بهم.

فعلى سبيل المثال نأخذ كنموذج الرادود المشهور باسم الكربلائي ورغم أن كل مواضيعه لا تختلف في المحصلة الأخيرة عن بعضها البعض فمثلا قصة كسر الضلع نجدها تتكرر في القصائد التالية: جف اللي دفع باب الدار – إن جن ليلي - الواثبين لظلم آل محمد - أخذتي زهرة سنيني - أخاف مِن أعوفك) وكل ما ينتج في هذا المجال لا يختلف كثيرا عن بعضه البعض ومضامينه العقدية الشيعية من الغلو في آل البيت والثأر للحسين وتعجيل فرج المهدي لذلك وتكفير للسنة وغيرها.

وقصيدة (جف اللي دفع باب الدار) تشكل لوحدها أنموذجا شاملا عن خطاب هؤلاء ورؤيتهم للآخر فالقصيدة كلها تتحدث عن القصة المزعومة عن كسر ضلع فاطمة الزهراء رضي الله عنها، ولكنها لا تتوقف هنا فأبيات القصيدة تواصل سرد الأحداث حتى الآن فيقول:

نفس الـ ظلموا البضعة .. والينا علي ظلموه

والسم للحسن إبنه .. أصحاب الحقد دسوه

وظامي على الفرات حسين .. نحره من القفا ذبحوه

وقطع الروس يا الغايب .. من ذاك الزمن سنّوه

وعندك خبر هالأيام .. عن هدم دور الإسلام!

تعجيل أمرك مطلوب .. يا ابن الحسن يا المحجوب ..

ثم يواصل بالقول:

حال المسلمين اليوم .. انته بعينك تنظره

الـ ينهج منهج أجدادك .. أهل التفرقة تكفره

خلق الطائفية تريد .. بهذا الحقد الـ تفجره

وإحنا بلهفة يا لمهدي .. موعد ثارك ننطره

شيعة علي تترجاك .. تحمل الراية بيمناك !

وعليها ثارك مكتوب .. يا ابن الحسن يا المحجوب ..

هاي أهل العراق وهاي .. ما صارت مصايبها

أيتام وأرامل شوف .. حالتها يا غايبها

تريدك تفزع عليها .. قوم ولبي مطلبها !

إلمن تشتكي وغيرك .. من يقدر يجاوبها !

شيعتك ما بين ذياب .. حاطتها زمرة إرهاب !

وخطورة هذا الخطاب أنه مصدر التلقي الأبرز والأسرع لتلقين الجمهور الشيعي عقائده، وبالتالي فإن الحضور القوي والانتشار الواسع للرادود الحسيني يلعب دورا بارزا في الحشد الطائفي[1] من خلال ما ينتجه من أشعار وطريقة في الإلقاء بشكل مأساوي وحزين تصور ما جرى أو ما يُتصور على ما جرى بتعبير أدق مؤامرة ضد آل البيت قام بها السنة كلهم دون استثناء، فمعلوم أن المتهم بقصة كسر الضلع وإسقاط الجنين هو سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإلى اليوم في خطابهم يقوم أتباعه بتكفير الشيعة وقتلهم.

وحتى ما يجري في سورية تناولته أشعار الرواديد، فقد كان لهم دور في دعم النظام السوري بالأمسيات التي يخصصونها لمأساة آل البيت في الشام والتي تعكس من جهة موقف المؤسسة التي ينتمي إليها الرادود، ومن جهة ثانية الموقف على المستوى الشعبي وكيفية ترسيخه وربطه بالماضي الأسطوري والتاريخ المزيف.

والأسئلة التي تطرح عن طبيعة الخطاب المتداول والمروّج من طرف الرادود الحسيني للتساؤل عن

(١) يتم توظيف هذه الرادات حتى في الأفراح الجماعية ففي حفل زواج جماعي لمؤسسة شهيد المحراب نقلته قناة الفرات على الهواء مباشرة بتاريخ ٢٠١٢/١٠/١٩، كان الترويج بالرادات الحسينية وعلى عكس الأناشيد التي تقام في الأفراح السنية والتي تدور في غالبها حول تهنئة العروسين والتمنيات لهم بالحياة السعيدة وما إلى ذلك، فان الشعر الذي كان يردد في ذاك الحفل لم يخلُ من خطاب تعبوي طائفي.

حقيقة العقائد الشيعية التي تمارس بتقية وإن كانت نجحت في العقود الثلاثة الماضية في استغباء بعض الحركات الإسلامية فإن العولمة بما تفرضه من وقائع وحقائق تكشف ما كان مستورا ومضمورا، فما يجري في كربلاء يشاهده السني والشيعي ولا نستطيع الآن الحديث عن خطاب داخلي لأي اتجاه.

لذلك فماذا ننتظر على سبيل المثال لا الحصر من أجيال تربى على دمية مغروس فيها سهم وملطخة باللون الأحمر؟ ماذا ننتظر مِمّن تربى على قول الرادود الحسيني بصوت حزين: «وللحسين ثأر هل يضيع ما ذنب الطفل الرضيع»؟

الخلاصة

هناك الكثير من المغالاة في الحسين خصوصا وآل البيت عموما من طرف جمهور الشيعة وخطبائه الحسينيين ورواديده، ولكنها ليست بالأهمية الكبيرة ما دام مراجعهم وفقهاؤهم سبقوهم إلى ابتداع أحاديث في هذا وبالتالي فالأول أهون.

وعدم إصدار المرجعيات ردود فعل حاسمة وحازمة من كل الطقوس وحتى عاشوراء بحد ذاتها التي لا وجود حقيقيا لها بإجماعهم كلهم فالتأريخ لها يبدأ بعد شهادة الحسين والأولى بذلك ليس علي رضي الله عنه وإنما رسول الله ﷺ، بل وعلى العكس فان العجيب الغريب أنهم يثيرون الشبه حول صيامه صلى الله وسلم عليه له في حين يقومون هم بطقوس لم تظهر إلا بعد ثلاثة قرون من وفاته. ولكن حتى المستحدث في المستحدث لا يجرؤون على تصحيحه ما يعكس شعبوية فكر المرجعيات بمعنى خضوعها للأهواء الشعبية وسيرها وفق ما ترتضيه، وهنا يلعب الخمس والعوائد المالية للمراجع دورا بشكل أو بآخر.

ويستمر بذلك الخطاب الشعبوي المعبأ بحمولة عقدية متطرفة لا تترك أي مجال للتعايش مع الآخر وتتجلى في التاريخ الدموي للشيعة في الأمة الإسلامية عند تمكنهم من وسائل القوة والسيطرة في أي مرحلة.

الصحة الإنجابية ومخطط تفكيك الأسرة

فاطمة عبد الرؤوف(*) – خاص بالراصد

من الواضح أن تغيير بُنية المجتمع الإسلامي العميقة واحد من أهم أهداف فلسفة العولمة التي تعني ببساطة تذويب كافة الثقافات والتقاليد في نمط عالمي واحد يروج له بأنه الأفضل والأكثر تقدما وتوافقا مع مكتسبات الحضارة الحديثة.

ولعل الأسرة هي واحدة من أهم هذه البنى العميقة التي ينهض ويقوم عليها المجتمع وبالتالي فإن تفكيك الأسرة تدريجيا واستبدالها تدريجيا بأشكال أخرى هي واحدة من أهم أهداف العولمة.

للعولمة سلاحان أحدهما صلب يتمثل في الغارات العسكرية كما حدث في العراق وأفغانستان وأخيرا في مالي وتتدرج العقوبات الاقتصادية الدولية تحت هذا السلاح الصلب.

والآخر سلاح ناعم يستهدف إقناع الشريحة المستهدفة بالفكرة عن طريق الإلحاح والتكرار من خلال المؤتمرات والندوات والتغطية الضخمة من وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمشاهدة ومن خلال الأعمال الفنية والدرامية وبرامج التوك شو حيث تتغير تدريجيا البنية العقلية للمجتمع أو للشريحة المستهدفة ومن ثم تتغير البنية النفسية ثم يبدأ التغير الفعلي على أرض الواقع.

الفوضى الجنسية

ولنأخذ مثالاً على ذلك: نشر الفوضى الجنسية أو بمصطلح العولمة (الحرية الجنسية) باعتبارها أحد حقوق الإنسان الأساسية، كيف يتحقق بالأسلحة الناعمة ... لابد لنا من الفهم الدقيق لسيناريو العمل إذا كنا نريد وقفه تمهيدا لتفكيكه وإزاحته نهائيا.

وبالتالي لابد أن أفكر بعقلية الخصم وأتابع ما

(*) كاتبة مصرية.

يجري على أرض الواقع بصورة موضوعية ومن ثم أضع استراتيجية لحل الأزمة.

ولو تحدثنا عن نشر الفوضى الجنسية بين الشباب كيف تحدث سنجد أن هناك عوامل فسيولوجية خاصة بالشباب حيث تبلغ الهرمونات الجنسية أوجها مع فترة البلوغ وهي فترة لا يستطيع غالب الشباب اليوم فيها الزواج نظرا لعوامل متشابكة، والكارثة أن حلم الزواج يبدو بعيدا جدا ربما لحد الاستحالة.

وتمر السنوات تلو السنوات ولا يزال حلم الزواج يشبه السراب للكثير من الشباب نتيجة الظروف الاقتصادية المتردّية والتقاليد المجتمعية البالية التي تعقّد الزواج الشرعي بإحاطته بمراسم شكلية باهظة التكاليف وبالتالي فإننا أمام مشكلة جنسية حقيقية يواجهها الشباب وهذه المشكلة إفراز طبيعي من مجتمعنا ولكن هناك عوامل خارجية تم دسّها بطريقة تبدو طبيعية وتلقائية وهي ليست كذلك عقدت من المشكلة وجعلتها تنحرف عن المسار الطبيعي في الحل.

فالشباب أصبح عازفا عن الزواج وذلك لسعيه وراء صورة مصنوعة من الجمال تم التسويق لها عن طريق الشاشات التي يسيطر عليها أنصار وأتباع فكر العولمة وأصبحت راقصة الفيديو كليب هي النموذج الأعلى للجمال الذي يسعى الشباب إليه وحتى الشاب الذي يتزوج من فتاة عادية محجبة يشعر بالغبن وتتطلع عيناه إلى هؤلاء اللاتي يملأن الشاشات فيحدث شرخ أسري عميق نتيجة هذه الصور والمشاهد.

أما الأعمال السينمائية فحدّث ولا حرج عن كم الأفلام التي تتطرق لنمط شاذ ومشوه من العلاقات التي يقول صانعوها إنها موجودة في الواقع وإنهم إنما ينقلون صورة الواقع ولا يدفنون رؤوسهم في الرمال والحقيقة إنهم يروجون لهذه الصور والعلاقات الشاذة بوعي أو دون وعي.

وبرامج التوك شو تتحدى المجتمع والشريعة بإصرارها على استضافة ذوي الآراء الشاذة مثل تلك الفتاة التي شغلت الإعلام بشجاعتها وجرأتها لإثبات نسب طفلها لأبيه الذي لم يعقد عليها عقدا شرعيا معترفاً به وتسابقت وسائل الإعلام لتقدم أباها كنموذج للأب المتحرر المستنير وهو يدعم ابنته في معركتها!

وسائل الإعلام التي يحلو لها استضافة هؤلاء الذين يسخرون من الحجاب الشرعي والأسرة التقليدية في زعمهم وتسخر من قوامة الرجل وتنعت المجتمع بالذكوري الأبوي المتخلف.

ببساطة شديدة جميع العوامل مهيأة للسقوط في أوحال الرذيلة: العوامل الاقتصادية الصعبة .. البنات المتبرجات الكاسيات العاريات المائلات المميلات .. الأفلام المنحلة التي تعرض على مدار أربع وعشرين ساعة .. البرامج الإعلامية التي تدعو للثورة الاجتماعية والتمرد والتحرر من ربقة التقاليد والعادات ..

ما الباقي إذن حتى تتحقق الجريمة الكاملة دون ثغرات وجود وسائل منع حمل مناسبة وسهلة ومتوفرة يؤمن معها حدوث حمل غير مرغوب فيه وفي الوقت ذاته يمنع الأمراض الجنسية المنتشرة بين فئات المنحلين التي تمارس الفاحشة وهو ما تقوم به مراكز الصحة الإنجابية الممولة من الأمم المتحدة بامتياز وهي تنشر خدماتها على أعلى مستوى ولا بأس من تقديم بعض الخدمات للأم والطفل حتى لا تبدو في صورة فجة يرفضها المجتمع ويعمل على اقتلاعها؟!

الصحة الإنجابية

ورد تعريف الصحة الإنجابية في مؤتمري السكان بالقاهرة ١٩٩٤ والمرأة ببكين ١٩٩٥ كالآتي: ففي وثيقة برنامج عمل مؤتمر المرأة الرابع ووثيقة مؤتمر السكان والتنمية في البند ٩٤/ج في الفصل الرابع تم تعريف الصحة الإنجابية بأنها (حالة سلامة كاملة بدنيا وعقليا واجتماعيا في الأمور المتعلقة بالجهاز التناسلي ووظائفه وعملياته وليست مجرد السلامة من المرض أو الإعاقة).

كما يوضح البند رقم ٩٤ من وثيقة بكين

١٩٩٥م تعريف رعاية الصحة الإنجابية بأنها (مجموعة الوسائل والتقنيات والخدمات التي تسهم في الصحة الإنجابية وهي تشمل أيضا الصحة الجنسية التي يتمثل هدفها في تحسين الحياة والعلاقات الشخصية).

ولو تأملنا هذه التعريفات سوف نلحظ الآتي:

أنهم يتحدثون عن سلامة الجهاز التناسلي بدنيا وعقليا واجتماعيا فماذا يعني هذا؟

الصحة البدنية للجهاز التناسلي أمر مفهوم ولكن ما علاقة العقلي والاجتماعي بصحة الجهاز التناسلي؟!

هذا التعريف يكشف حقيقة مفهوم الصحة الإنجابية إذ لا علاقة بين رعاية الأم التي أنجبت حديثا بصورة طبيعية فطرية وهذا الكلام الغامض (غموض الصياغة مقصود للالتفاف).

ولكن المقصود هو الحالات المنحلة والشاذة التي تحتاج لعملية غزو عقلي حتى لا تشعر بالإثم والحرج وتفاخر بالمعصية باعتبارها خيارا شخصيا، وأحد الحقوق الأساسية للإنسان وبتعبير وثيقة بكين (وسيلة لتحسين الحياة).

أما من الناحية الاجتماعية فالهدف هو تطبيع هذه العلاقات مجتمعيا وجعلها خيارا مقبولا ومتاحا من المجتمع والاستراتيجية هنا تحدث وفق خطة منظمة فالحركة في العاصمة غير الحركة في الأقاليم، وهي في المدن تختلف عن القرى. وتسمح الصياغة الغامضة المطاطة الموجودة في هذه الوثائق بالمناورة بحيث تبدو لحَسَني النية والبسطاء تهدف فعلا لمساعدتهم في الحياة بصورة صحية سعيدة.

أهداف خفية

ومن ذلك مثلا أن من أهداف الصحة الإنجابية (توفير سبل الوقاية والعلاج من أمراض الجهاز التناسلي والأمراض المنقولة عن طريق الاتصال الجنسي بما في ذلك فيروس نقص المناعة البشرية/ الإيدز).

كيف نقرأ هذا الهدف؟

هناك منهجان لقراءة هذا الهدف:

❖ أن نقرأه بسذاجة ونقول: هدف عظيم. يقدمون الوقاية للأزواج من الأمراض المنقولة عن طريق الاتصال الجنسي ويقدمون العلاج للمحتاجين منهم .. وللأسف هذه القراءة الساذجة شائعة جدا ومروج لها وما أن تستمع لأحد البرامج الخاصة بالأسرة إلا وتجد هذا التفسير الشائع مع إضفاء كل آيات التعظيم والتبجيل عليه وعلى مثله من الأهداف كتدريس مادة الثقافة الجنسية بالمدارس وما شابه ذلك.

❖ أن نقرأه في السياق العام الذي تدور في فلكه هذه الاتفاقات والمعاهدات، وفي ضوء الفلسفة النسوية ومنهجية العولمة ونتوقف بعض الوقت لاستنطاق لغته الغامضة فهل هناك أمراض جنسية تنتقل بين زوجين عفيفين يعرفان حدود ما أحل الله وما حرمه؟ الجواب يعلمه الجميع.

إذن الحديث ليس عن أزواج وزوجات ولكن عن علاقات محرمة تتعدد فيها العلاقات ومن ثم تنتشر فيها الأمراض الجنسية انتشار النار في الهشيم .. علاقات غالبا بين فئات الشباب والمراهقين الذين يرغبون في تقديم الثقافة الجنسية لهم في المدارس ومنحهم الحق في التصرف بجسدهم كيف شاؤوا دون خوف فهم سيوفرون لهم سبل الوقاية والعلاج.

إننا بحاجة لثقافة جديدة تعتمد على ديننا في المقام الأول ثم تستفيد من تاريخنا وحضارتنا الأصيلة وتستفيد من نتائج العلم الحديثة، وبدلا من تقوقعنا في دائرة رد الفعل على ما يحاك لنا علينا أن نتصدى للفعل وما أجمل أن يتعلم الناشئة كل القضايا التي تهمه من الناحية الجنسية أثناء تلقيه دروس الفقه فيعرف أحكام الجنابة والطهارة في جو إيماني رفيع لا يثير غرائزه بل يستثير خشيته من الله عز وجل.

أمالي السيد طالب الرفاعي

عرض: **أسامة شحادة**(*)– **خاص بالراصد**

في بضعة أشهر طبع هذا الكتاب مرتين: الأولى في ٢٠١٢/٣ والثانية في ٢٠١٢/٩ عن دار مدارك، لصاحبها تركي الدخيل، الإعلامي السعودي المتحول لليبرالية، والكتاب يقع في ٤٠٠ صفحة من القطع المتوسط، وهو عبارة عن لقاءات بين الرفاعي والباحث العراقي رشيد الخيون، أملى فيها الرفاعي ذكرياته وسيرته وتجربته على الخيون الذي أعدها للنشر ورتبها وعرضت على الرفاعي الذي كتب موافقته على كل ما فيها.

قيمة هذه الأمالي/ الذكريات من قيمة صاحبها الذي لا يعرفه كثير من الناس، فطالب الرفاعي هو أحد المؤسسين البارزين لحزب الدعوة الشيعي بالعراق، ووكيل المرجعية الشيعة وإمام الشيعة بمصر بين عامي ١٩٦٩ و١٩٨٥م، وهو الذي أمّ الجنازة على شاه إيران المخلوع بالقاهرة، وله صلات بكثير من الشخصيات الشيعية، ويتميز بالجرأة والاستقلالية مع عمر طويل فهو من مواليد سنة ١٩٣١م، ولذلك انتقد في ذكرياته كثيرا من الشخصيات والحوادث المرتبطة بمسيرة التشيع الحركي والسياسي المعاصر، بما يعتبر شهادة من الداخل.

وتناول في (أماليه) مواضيع كثيرة مثل: واقع التعليم في النجف، نشأة حزب الدعوة، صراع المرجعيات المالي والعرقي، واقع العراق السياسي، ثورة الخميني وجناياتها على إيران، نشاطه في مصر، نقد طقوس عاشوراء الشيعية.

من أهم شهادات الرفاعي: شهادته بخصوص نشأة حزب الدعوة العراقي، ويمكن إجمالها في أن هذا العمل الحركي الشيعي هو تقليد واستنساخ للعمل السني، فكثير من قيادات حزب الدعوة الشيعي مرت بتجربة في العمل السني لدى جماعة الإخوان

(*) كاتب أردني.

المسلمين التي وصلت العراق مبكراً على يد الشيخ محمود الصواف، ولدى حزب التحرير الذي أسس فرعه العراقي الشيخ عبد القديم زلوم في مطلع الخمسينيات، ومن الشيعة الذين انخرطوا في جماعة الإخوان: محمد عبد الهادي السبيتي، الشيخ جليل شختور، معن العجلي (قبل أن يتسنن)، وقد عرض على طالب الرفاعي سنة ١٩٦٠ أن يكون رئيس حزب جماعة الإخوان وهو الحزب الإسلامي إلا أنه اعتذر.

أما حزب التحرير فدخله من الشيعة: محمد عبد الهادي السبيتي بعد خروجه من الإخوان، د.جابر عطا، عارف البصري وأخوه عبد علي البصري، الشيخ سهيل السعد، عبد المجيد الصيمري، عبد الغني شكر، هادي شختور، لكنهم اختلفوا مع الحزب بعد تأليف تقي الدين النبهاني، مؤسس حزب التحرير، كتابه (الخلافة الإسلامية) والذي نقد فيه رؤية الشيعة في قصة الغدير.

وفي عام ١٩٥٨ وبعد الانقلاب على الملكية وتحول العراق للجمهورية، اجتمع بعض أتباع المرجع محسن الحكيم واتفقوا على تأسيس جماعة العلماء بقيادة الشيخ مرتضى آل ياسين، خال محمد باقر الصدر، وأن ينتشروا بين الناس لتوجيههم، وأن على الصف الثاني وهم الشباب، ومنهم طالب الرفاعي، أن يتعلموا ويتدربوا على الخطابة بطريقة جديدة ومغايرة لطريقة الروزخونية السائدة في منابر عاشوراء، وقد حدثت صدامات بين جماعة العلماء والشيوعيين الذين كانوا يتكاثرون بين الشيعة بكثافة، وانجرف معهم بعض المراجع وأبنائهم مثل السيد حسين الحمامي، وأصبحت كثير من مواكب العزاء ومسيرات عاشوراء تردد هتافات شيوعية على غرار «اتحاد فيدرالي صداقة سوفياتية مع الصين الشعبية. وأيزنهاور ينهار يا حيدر يا كرار»!! وهو يشابه ما يحدث اليوم على أرض سوريا حيث يصطف الشيعة في العراق وإيران والصين وروسيا صفا واحداً!!

وبعد هذه التجربة الشيعية في الجماعات السنية، وتغلغل الأحزاب الشيوعية بين الشيعة فكر البعض منهم بعمل شيعي وفاتحوا الرفاعي بذلك وطلبوا منه أن يتزعم الفكرة، فاعتذر ورشح لهم السيد محمد باقر الصدر، ولذلك يؤكد الرفاعي أن نواة حزب الدعوة لم تبدأ إلا في عام ١٩٥٩، وأن الرفاعي والصدر ومهدي الحكيم هم مؤسسو الحزب.

وحزب الدعوة تأسس على فكرة الشورى، إذ لم تكن ظهرت فكرة ولاية الفقيه بعد، ولكن الصدر غير رأيه بخصوص الشورى وانسحب من الحزب، فلما أُعلم الرفاعي بذلك استشهد بمقولة الصديق رضي الله عنه «ألا من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لايموت»!! وأصبح للحزب فروع في الكويت والإحساء، وكانت علاقة الحزب بالخميني ضعيفة وإن تبناها باقر الصدر وحزب الدعوة لاحقاً، ويعتبر الرفاعي أن علاقته بالحزب كانت شبه مقطوعة بعد خروجه من العراق لمصر سنة ١٩٦٩م.

ويحمّل الرفاعي بشكل غير مباشر الخميني مسؤولية مقتل الصدر على يد صدام حسين حين قال عن مظاهرات التأييد لمحمد باقر الصدر بمدينة قم الإيرانية في بداية الثورة الإسلامية: «إنهم سيقتلون الصدر في هتافاتهم هذه، وسيعطون صدام حسين المبرر لقتله، لأن ذلك يعتبر ضرباً من الخيانة على أساس أن الأمر يقاد ويدفع به من دولة أجنبية. أما برقية السيد الخميني، والتي يقول فيها الكثير، فكانت على ما أعتقد المسمار الأول في نعش باقر الصدر».

ينتقد الرفاعي أداء حزب الدعوة اليوم في حكم العراق ويقول إنه نصح إبراهيم الجعفري ونوري المالكي بالبعد عن السلطة الآن لأنها ستعمل على شرذمة الحزب، ويقول الرفاعي

كلاما يحتاج إلى تأمل من الدارسين للتشيع السياسي لأنه يلخص انتهازية التشيع السياسي وبعده عن المبادئ، فيقول: «الشيعة بشكل عام ليس لديهم سياسيون محنكون، وليس هناك تجربة سياسية معتبرة عندهم، فأنا أرى أن حزب الدعوة قد انتهى. بعد أن أصاب المالكي الغرور، حتى طلع أمامهم إياد علاوي بأصوات أكثر من جمعهم، فجن جنونهم، وقد خسر العراق الملايين بإعادة الانتخابات بطلب وإلحاح من المالكي.

أرى أن نجم الإسلاميين بالعراق قد أخذ بالأفول. وربما أمريكا ساعدت في ذلك، وبسبب شخصيات (عتاولة) من الفاسدين، كأنما السيد محمد باقر الصدر استشهد كي يصبح الجعفري رئيساً للوزراء، ثم المالكي يأخذ حصته منها، وينتهي كل شيء! لقد خدم صدام حسين الموجودين في حزب الدعوة بقتل محمد باقر الصدر، فإذا لم يُقتل الصدر آنذاك لقاموا هم بقتله. فالصدر لا يقبل بما يحصل الآن ولا يقره، بل لحاربه».

ويشير الرفاعي لقضية مهمة عن سبب تفاقم المشكلة الكردية وهو يفسر ويشرح كثيرا من القضايا المشابهة كمشكلة الأمازيغ والبربر، حيث يذكر أن الملا مصطفى البارزاني أرسل رسالة للسيد محسن الحكيم يشتكي فيها من التوجه القومي لحكومة الرئيس عبد السلام عارف، وأن الكرد ليسوا عرباً، وأن الدولة العثمانية كانت حكومة مسلمة وكلنا مسلمون، فلما رفعوا راية القومية العربية رفعنا راية القومية الكردية!!

أما عن طقوس عاشوراء فهو يقف منها موقفا سلبيا ويعتبرها منافية للإسلام ومذهب آل البيت وأنها تصم الشيعة بالتخلف والرجعية، وينكر مبالغات البعض بعدد حضور عاشوراء وأنهم بلغوا ٨ ملايين شخص أو ١٢ مليونا، ويقول فإذا استثنيا الطفل الرضيع يصبح العراق بكربلاء كافة!!

ويرى أن هذه المسيرات لكربلاء من الناصرية والعمارة وغيرها هي في الحقيقة تعطيل لعمل الدولة وشلٌّ لحركة الاقتصاد، وأن هذه المواكب منذ ظهرت زمن الصفويين وهي تستغل لمصالح سياسية ويروي قصة محاولة تأسيس المواكب الجامعية لتشذيب هذه الممارسات قبل ٤٥ سنة، وليس فيها اللطم ولا التسويط والتطبير ولا يمارس فيها إلا المقبول والمعقول.

ويكشف أن المراجع يخافون اليوم من إنكار هذه الطقوس الدخيلة على عاشوراء لأنه لن يسمع لهم لأن غالب أصحاب المواكب ليسوا متدينين.

وهذا يوصلنا لرؤيته للصراع الخفي والمعلن بين المراجع والعلماء على الزعامة والأموال والرئاسة، ويكفي ما نقله الرفاعي عن شريعتمداري حين قال: انتقد الرفاعي الصراع بين المراجع، فعلق على ذلك شريعتمداري بقوله: سيدنا أنا لا أريد منهم شيئاً يخص مرجعيتي، ولا مدحاً ولا تقديراً، أريد منهم فقط الاعتراف بإسلامي فقط، فهم يشككون حتى بإسلامي! وكان يقصد مرجعية السيد محمد كاظم الكلبايكاني!!

وأما عن الصراع بين العروبة والفارسية، فيشرح كيف أن الشيعة العجم والإيرانيين لا يقبلون تقليد مرجع عربي إلا بعد أن يضفوا عليه طابع الأعجمية ويصبغوه بصبغتهم، والتفوق المالي الإيراني هو سبب رئيس في ذلك. ثم ينتقل لبيان الظلم الذي لحق بالمرجع العربي الأحوازي الشيخ محمد طاهر الخاقاني وهو الذي لولاه ما نجحت الثورة، بسبب تحريضه لعمال النفط بالإضراب، فالنفط هناك في الأحواز والعمال كلهم عرب يطيعون أمره، ولذلك قدم للخميني عريضة مطالب صاغها له الرفاعي لإنصاف العرب بالأحواز والذين فقدوا عربيتهم بسبب السياسات السابقة وآخرها سياسة الشاه، فقبلها الخميني منه، لكنه لم ينفذ منها شيئا وبعدها تم حجزه في داره بالمحمرة ومن ثم نقل لمدينة قم تحت الإقامة الجبرية حتى توفي عام

١٩٨٥، هكذا كان مصير الخاقاني الذي ثبّت أركان الثورة! وهكذا بقي العرب تحت سياسات الشاه ولكن ببركة آيات الله!!

ولذلك الرفاعي لا يسمي ما جرى في إيران بثورة بل يراها انقلاباً، ويرى أنها جلبت الشقاء للإيرانيين، وأن سياسة الخميني قامت على الغدر والخيانة وإقصاء الشركاء، يقول الرفاعي عن انطباعاته عن إيران بعد الثورة وهو في إيران فقال: «جئت على أساس وجود ثورة إسلامية، وإقامة دولة إسلامية، ونظام إسلامي، الآن أفتش في المدن الكبيرة وفي كل مكان عن الإسلام لكي أراه فلم أره ولم أسمع به، فلم أجده بعد الثورة كنت أصارحهم هكذا».

ولكنه ينبه على قضية مهمة تكشف انتهازية التشيع بقوله: «قمت أرى ثمار الثورة الإسلامية في الخارج أكثر منه في داخل إيران. أما بالنسبة إلى الشيعة وأهمية الثورة الإيرانية فإن جماعة الثورة يفكرون تفكيراً محلياً. ويعتبرون قيام الثورة مداً لهم، فالمحافظة على هذا المجد هو المهم في منطلقاتهم، وهم أمام مصالحهم يضحون بكل شيء لا يهم أمر الشيعة في العالم».

ويؤكد الرفاعي على هذا حين ينقل رد رفسنجاني لمّا قيل له إن تدخلكم يضر بشعبنا في العراق فقال: «أنا لا يهمني العراق أنا يهمني النظام الجمهوري».

أما عن علاقة الرفاعي بمصر وهي علاقة مهمة وتكشف جانباً شبه مجهول عن التسلل الشيعي المبكر لمصر وأنه سابق على الثورة الإيرانية الخمينية، ويؤكد وجود مشروع تبشيري شيعي بغضّ النظر عن وجود دولة شيعية وبغض النظر عن أطماع القومية الفارسية.

فعلاقته بمصر ترجع لعام ١٩٦٧م حيث سافر إليها لإكمال دراسته الجامعية في دار العلوم بعد تخرجه من كلية الفقه بالنجف سنة ١٩٦٢م، وفي القاهرة التقى مع د. عبدالرزاق محيي الدين وهو شيعي أصبح وزيرا ورئيس المجمع العلمي بالعراق ونائب رئيس جامعة بغداد وهو خريج دار العلوم، فتمّ عقد مجلس سريع للكلية وخلال نصف ساعة صدر قرار من مجلس الكلية بقبوله في السنة التمهيدية للماجستير، والتي أنهاها سنة ١٩٧٦م ومن ثم حصل على الدكتوراة سنة ١٩٨١م!!

أما قصة تعيينه كأول وكيل للمرجعية بالقاهرة فبسبب طلب بعض التجار الشيعة المصريين من أصول لبنانية من السيد محسن الحكيم إيفاد من يمثله ليدير مناسباتهم الدينية، فوقع اختيار محسن الحكيم عليه، فكلفه بها سنة ١٩٦٩م!!

فوصل الرفاعي للقاهرة ليلة العاشر من محرم ١٩٦٩م، فذهب إلى قبة الغوري وألقى كلمة عن مقتل الحسين وكان الشيعة يستأجرونه لإقامة مناسباتهم، فرآه بعض الطلبة العراقيين الشيعة وطلبوا منه إقامة مجلس عزاء في مرقد السيدة زينب أو في مسجد الحسين، فاتفقوا على زيارة مسجد الحسين والخطابة في مرقد زينب، وبعد العصر تحلقوا في زاوية وتحدث عن حادثة كربلاء فتجمع بعض المصريين، ثم جاء شخص وطلب منه أن يتحدث على المنبر ليسمع الجميع!!

وخطب بالميكروفون حتى صلاة المغرب وقدموه للإمامة وطلبوا منه أن يتحدث بعد الصلاة عن السيدة زينب أم هاشم.

وفي نفس العام وجهت له دعوة من الأزهر لحضور المؤتمر الثالث لعلماء المسلمين والذي حضره بصفته إمام الشيعة في مصر وحضره كعضو مراقب، وأصبح عضوا في موسوعة جمال عبد الناصر الفقهية.

وفي نفس العام توفي العلامة محب الدين الخطيب فذهب الرفاعي لمجلس تأبينه وهاجم الخطيب، وانزعجت كثير من الأوساط من هذا

الـذي جـرى، فـأمر وزيـر الداخليـة شـعراوي جمعـة بتسفير الرفـاعي فـوراً، ولكـن تـدخل لإبطـلال قـرار التـسفير رئـيس المجلـس الإسـلامي الأعلـى، وكـان يـود الرفـاعي، ورئـيس جمعيـة الـشبان المـسلمين إبـراهيم الطحــاوي، فاتــصلا بــسامي شــرف في مكتـب الـرئيس جمـال عبـد الناصـر لـيعلم الـرئيس، الـذي تـدخل فـورا وألغـى التـسفير، وهنـا يـشير الرفـاعي لـشيعية زوجـة عبـد الناصـر وأن عبـد الناصـر كـان يتحـدث لـبعض ضـيوفه أن أخـوال أولاده شـيعة، ومعلـوم أن زوجـة عبـد الناصـر مـن أصـول إيرانيـة والأرجح أنها بهائية.

وتـزوج الرفـاعي مـن مـصرية وأصـبح لـه نـشاط واحتكـاك بالـشيعة المـصريين، كمـا قـد اسـتطاع اسـتقطاب بعـض الـصوفية في جمعيـة «أولـو الألبـاب»، ثـم أسـس بمـصر دار أهـل البيـت ومكتبـة وكـان يعقـد مجلـسا أسـبوعيا، ويـورد الرفـاعي رسـالة مـن محمـد بـاقر الـصدر موجهـة لـه وهـو بمـصر تفيـد بـأن الـصدر قـد أرسـل لـه مـن بـيروت ٤٠٠ نـسخة مـن كتابـه (الفتاوى الواضحة) للتوزيع والإهداء بمصر!!

وفي عـام ١٩٧٩ زار الرفـاعي طهـران بعـد نجـاح الخمـيني في إزاحـة الـشاه، ونـصبّه المرجـع الإيرانـي شــريعتمداري وكــيلاً عامــاً لمرجعيتــه في الــشرق الأوسـط، وحـين علمـت القـاهرة بـسفره لطهـران منعـت المخـابرات عودتـه للقـاهرة، فاتـصل بجماعتـه الـشيعة في القـاهرة ووعـدوه بالتواصـل مـع رئاسـة الجمهوريـة وخاصـة وزيـر شـؤون الرئاسـة منـصور حـسن، لكنـه اسـتعجل وعـاد للقـاهرة دون إذن وفي المطـار تم حجـزه لكـن تمـت اتـصالات مـع حـسن التهـامي في رئاسـة الجمهوريــة والــوزير منــصور حــسن واللــذين أبلغــا الـرئيس الـسادات بالموضـوع فـسمح لـه بالـدخول رغـم رفض وزير الداخلية نبوي إسماعيل!!

وفي القــاهرة أجــرت معــه صــحيفة الأهــرام مقابلـة مطولـة عـن شـريعتمداري وفيهـا اعتـبر أنـه سـبب انتـصار الثـورة علـى الـشاه ولـيس الخمـيني، فـنقم عليـه الخمـيني وتم التـضييق علـى شـريعتمداري في طهـران، ولمـا تـوفي الـشاه في مـصر طلبـه الـسادات لـيصلي عليـه ممـا تـسبب لـه بمـشاكل كـثيرة مـع الـشيعة، وبقـي في مـصر حتـى عـام ١٩٨٥، ثـم غادرهـا لأمريكا.

ويـشير الرفـاعي مـن طـرف خفـي لحقيقـة جهـوده في نـشر التـشيع بمـصر بروايـة حادثـة علـى لـسان خـامنئي بخـصوصه، فقـد نقـل أن خـامنئي كـان يتـصفح كتابـا عـن التقريب بـين الـسنة والـشيعة – ولعلـه كتـاب مـسألة التقريـب للقفـاري- ويـردد: لا حـول ولا قـوة إلا بـالله العلـي العظـيم، فـسأله أحـدهم عـن ذلـك، فقـال: هـذا الـسيد مظلـوم، الـسيد رفـاعي والله مظلوم!

فاسـتغرب الحاضـرون ذلـك وقـالوا: كيـف مظلـوم؟ فقـال: هـذا الوهـابي في كـل خمـس أوراق يـشتمه ويتعـدى عليـه، ولـولا أنـه تـرك أثـراً بمـصر مـا تعدى عليه هذا!!

ونلحـظ هنـا الـدور الخطـير والـدائم للتجـار الـشيعة والطلبـة في نـشر التـشيع والحـرص علـى الـصلة بالمـسؤولين وتأسـيس مؤسـسات لهـم، فـدار أهـل البيـت الـتي أسـسها الرفـاعي هـي الـتي اعتمـد عليهـا د. فتحـي الـشقاقي زعـيم حركـة الجهـاد الإسـلامي بفلـسطين في تـأليف كتابـه «الـشيعة والـسنة ضـجة مفتعلـة»، وقـد رصـد هـذا النـشاط د. محمـد عمـارة في مقدمتـه الطويلـة علـى كتـاب (الـسنة والـشيعة وحـدة الـدين وخـلاف الـسياسة والتـاريخ) لأحمـد الكـاتب طبعـة مكتبـة النافـذة، حيـث لاحـظ أنـه ينـشر التـشيع بـين ضـيوفه ويـزرع الخلايـا الـشيعية.. ألـيس هـو مؤسـس بحـزب الـدعوة! ولاحـظ عمـارة أنـه لا يجتهـد في إنجـاز دراسـاته العليـا وإنمـا هـو يتغطـى بها للبقاء بمصر!

هـذه هـي أهـم المحطـات الـتي جـادت بهـا أمـالي الـسيد طالـب الرفـاعي، ويبقـى جانـب مظلـم مـن نـشاط الرفـاعي وهـو مـاذا عمـل الرفـاعي بعـد خروجـه مـن مـصر لنـشر التـشيع؟ هـذا مـا لم يـشر لـه الرفـاعي على طريقة إبقاء الأسرار ٤٠ سنة قبل كشفها!!

الحركة السُنية الأحوازية
في كتاب الباحث الفرنسي ثيري كوفيل
مؤسسة الدراسات القومية الأحوازية

مؤسسة الدراسات القومية الأحوازية

في إنجاز هام آخر تحصده المنظمة الإسلامية السنية الأحوازية، والذي جاء نتيجة لثمرة عملها الميداني والدعوي والسياسي والإعلامي الطويل والكبير على الصعيد الوطني والقومي والديني في الداخل الأحوازي وخارجه، والذي ساهم بدوره في زيادة الإهتمام العربي والعالمي الملحوظ بالقضية الأحوازية والتيار الوطني السُني فيها ، أصدرت دار الفارابي (بيروت/لبنان) مؤخراً النسخة العربية من الكتاب الفرنسي «إيران: الثورة الخفية» L'Iran la révolution invisible، للباحث الفرنسي الكبير الدكتور ثيري كوفيل. هذا الكتاب القيم الذي ترجم أيضاً إلى اللغة الإنجليزية، يتكلم عن كيان الإحتلال الإيراني الغير شرعي، مُدّعم بإحصاءات عدة عن التناقضات والتراجع الأخلاقي، الاقتصادي، الديني والسياسي وغيره في الكيان الفارسي اليوم في ظل نظام «ولاية الفقيه». يحتوي الكتاب أيضاً على معلومات هامة وخطيرة بخصوص «معدّل الإعدامات»، «إنتشار اليأس»، «حالات الإنتحار»، «البغاء في الشوارع (المتعة أو ما تسمى بالفارسية: الصيغة)»، «تراجع نسبة الخصوبة لدى الإيرانيين»، والأهم من كل ذلك هل «إيران» إسلامية أم قومية؟، ويفند الكاتب بشكل علمي بإن «إيران» هي بلد قومي بحت يستغل كل الواجهات الأخرى لخدمة طموح وإستعلاء القومية الفارسية على حساب الشعوب الأخرى غير الإيرانية، لكن بنفس الوقت فإن القومية الفارسية بحد ذاتها تعيش في صراع داخلي على السلطة.



الحركة السُنّية حسب ما ذكرت في الكتاب:

بخصوص الأحواز المحتلة ودور الحركة السُنية الأحوازية المتمثلة منذ بروزها على الساحة الوطنية الأحوازية بالمنظمة الإسلامية السُنية الأحوازية كأول وأهم منظمة إسلامية أحوازية سياسية ذات توجه عروبي معتدل، خص الباحث فصل بعنوان الإثنية في إيران (كيان الاحتلال الفارسي الغاصب)، خاصة الإثنية غير الإيرانية، وفصّل في أن الأحواز تشكل الرئة الإقتصادية (النفطية) لكيان الإحتلال وأن القومية العربية الأحوازية محرومة من الكثير من الحقوق

وعلى رأسها حقوقها الدينية ومنها بدأ بشرح وضع الحركة السنية الأحوازية وبروزها ودورها في الصراع القائم بين العرب والإيرانيين وأهميتها الواضحة في الثورة الوطنية الأحوازية. ويلاحظ أن الكاتب تكلم عن الأحواز وأهمية القضية الأحوازية بإهتمام خاص، كما تكلم عن الشعوب غير الإيرانية الأخرى كالشعب البلوشي والكردي وتكلم قليلاً عن الشعب الآذري التُركي ومعاناة تلك الشعوب ضمن كيان الاحتلال الإيراني.

فيما لي إقتباس جزئي لأهم ما كتبه الباحث عن الأحواز والحركة السنية التي تنشط فيها، يقول الباحث ثيري كوفيل: يفتقر السنة في إيران (كيان الاحتلال الإيراني) وخاصة في الأحواز (المحتلة) من عدم تمكنهم من ممارسة شعائرهم الدينية بحرية ، كما أنه لا يوجد مساجد لهم، وفي مناطقهم لا تدرس إلا الدروس الدينية حول المذهب الشيعي، كما لا يمكن السنة من تولي المناصب (السياسية والقيادية في النظام)، خاصة تلك الرفيعة منها، كما ينص الدستور الإيراني على أن وظيفة المرشد الأعلى (أعلى سلطة دينية وتنفيذية وسياسية في إيران) لا يتبوؤها إلا شيعي، كما أن الحكام المعينون في المناطق السنية في كردستان والأحواز وبلوشستان هم من الشيعة حصراً. ويشير الكاتب إلى أنه قد دمرت الكثير من القرى في هذه المناطق ووقع الكثير من الضحايا بسبب النزاع المسلح (المقاومة الوطنية الأحوازية). عليه فلا تزال قضية (التحرر الوطني) مطروحة بقوة حتى الساعة كما يرى الكاتب، وذلك بسبب التمييز الثقافي والإقتصادي الذي جعل «العرب والبلوش والأكراد» من ضحاياها، وبالتالي فإن التوترات «الإثنية» (كما يسميها الباحث) قد توسّعت بفعل التميزيات الإقتصادية والدينية الإيرانية التي تعاني منها تلك الشعوب «كون هذه الشعوب هي سنّية في أغلبها». ويشير الكاتب إلى أن هذه المناطق تعتبر دائماً في عداد المناطق الأقل نمواً في إيران (الكيان الفارسي). ويشير الكاتب إلى أن المشاكل تحتد بنحو خاص في ما يتعلق بالبلوش والعرب، حيث لا يستفيد البلوش والعرب من ديناميكية التحديث الإجتماعي في طهران، فنخبهم الأقل حضوراً في طهران مقارنة بالأكراد. ويرى الكاتب أن التوترات القومية التي ستتجم في المستقبل (في جغرافية ما تسمى بإيران) ستكون ذات عواقب خطيرة، ففي إمكان الوزن السكاني والإقتصادي لهذه الشعوب (الغير فارسية) أن تحدث وتولد ظهور حركات أكثر حزماً في مواجهة «إيران»، كون أن الأحواز هي الرئة النفطية لإيران (الاحتلال)، وظهور النخبة السنية فيها يصب في هذا الإتجاه. (انتهى الإقتباس الجزئي : ما بين هلالين هو من إضافة مؤسسة الدراسات لإيصال المعنى بصورة دقيقة وصحيحة).

•الحركة السُنية في الأحواز المحتلة:

المنظمة الإسلامية السُنية الأحوازية اول فصيل أسلامي سُني في تأريخ الأحواز الحديث حيث بدأت المنظمة الأحوازية العمل السياسي الديني في صيف ٢٠٠١م في الأحواز العاصمة بعد أن جمعت القوى الوطنية السنّية في الأحواز في إطار تنظيمي موحد. في ٢٠٠٥م تم تشكيل لجنة الإفتاء والدعوة التي كان لها الأثر الكبير على اتساع دائرة «التسنن في الأحواز»، كما وزعت آلاف المنشورات لغرض

التوعية الدينية، وقامت عبر لجانها المنتشرة هناك في تنظيم صلاة التراويح في رمضان في عدد من مناطق الأرض المحتلة. وقد أعلنت حينها نقاطها الـ ٢٠ في تحريم التعامل مع الاحتلال ووجوب مقاطعته. في ٢٠٠٧م أصدرت المنظمة العدد الأول من دورية «نون» في الأحواز المحتلة. في ٦ إبريل ٢٠١٠م صنفتها إيران بشكل رسمي على أنها جهة معادية واتهمتها بسيل من الاتهامات الباطلة.

•نبذة عن السُنة في الأحواز:

إن السُنة في الأحواز على مر الزمان الإسلامي كانوا الأغلبية حتى بدأت الحملات العسكرية الصفوية على المنطقة من قبل الدموي شاه اسماعيل الصفوي قبل خمسة قرون حيث تم قتل الآلاف في مدن كانت مركزاً ومدارساً للمذهب السُني في العالم كعبّادان وتستر. وكان من السُنة علماء عظام في التأريخ العربي الإسلامي وذلك في مجالات عدة في علوم الحديث والفقه والصرف والنحو وغيره. وأنجبت مدينة الفلاحية على سبيل المثال، الإمام الحافظ بشير بن عقبة الأزدي وأنجبت رامز الإمام الحسين بن عبد الرحمن بن خلاد والناصرية (الأحواز العاصمة) أنجبت زُر بن عبد الله بن كليب الفقيمي والإمام الثقة علي بن حرب بن عبد الرحمن كما أنجبت السوس أئمة عظام كالإمام صالح بن زياد الجارود السوسي والشيخ الإمام سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى التستري حيث كانت السوس وتستر مدن للحديث والسنة النبوية الشريفة ويقصدها طلاب العلم من أماكن بعيدة.

يشار إلى أنه في عام ٢٠٠٦م تم حرق وإغلاق الجامع الوحيد المتبقي لأهل السُنة والجماعة في الأحواز وهو مسجد الإمام الشافعي في «القصبة»، كما تم أسر الشيخ المفسر الكبير عبد الحميد الدوسري (أبو فاطمة) وهو الشيخ الستيني حيث مايزال في السجون الإيرانية بالإضافة إلى عدد من طلبته. في ذات السياق قد تم إعدام عدد من مشايخ أهل السنة والجماعة في السنين القليلة الماضية، وما يزال «التسنن: الإعتقاد بعقيدة أهل السنة والجماعة» أخطر تهمة ممكن أن يواجهها الإنسان في الأحواز المحتلة، حيث سنوياً يتم إعتقال المئات بسببها، منهم من يسجن ويعذب ومنهم من يحكم عليه بالموت ويعدم. مع هذا ورغم القهر والقمع والتنكيل، فأن التسنن اليوم منتشر بشكل واسع جداً في الأحواز المحتلة، ففضلاً عن إنتشاره السواحل الخليجية الأحوازية ذات الغالبية السُنية، فإن هنالك أعداد أخرى ضخمة في مدينة كوت عبد الله جنوبي الأحواز العاصمة وفي أحياء كثيرة شرقي مدينة الأحواز هذا بالإضافة الى وجود أعداد معتبرة في مدن الفلاحية، عبادان والمحمرة. وقد دأب السُنة في الأحواز على الخروج في مظاهرات حاشدة في أول أيام العيد الكبير وعيد الفطر من كل عام، وذلك بعد إقامة صلاة العيد في العراء رغم حملات الإرهاب الإيرانية التي تستبق العيد بعشرة أيام من كل عام وتستمر حتى عقب إنتهاء فترته الزمنية. وقد دعا هذا كله الساسة والرموز الدينية الصفوية الإيرانية إلى التهديد والوعيد والتحذير مراراً وتكراراً منذ أن بدأ عمل المنظمة الأحوازية على أن التسنن في الأحواز هو العدو الأول، ويجب إجتثاثه، عليه بدأت كيان الإحتلال الإيراني بإيفاد مئات الملالي إلى الأحواز وصرف ملايين الدولارات كي يحارب الفكر العربي السُني هناك غير أن ذلك كله لم يأتي إلا بنتائج عكسية على شعبية الحركة السُنية والمنظمة الإسلامية السُنية الأحوازية في الشارع الأحوازي.





الدعم الشيعي الحقيقي للفلسطينيين

قالوا: فها هي قوات طاغية دمشق تدك مخيم اليرموك للاجئين الفلسطينيين جنوب دمشق بالطائرات الحربية، وكأن قدر الفلسطينيين أن يكونوا حطب كل معركة، بذنب ومن دون ذنب، كيف لا وما أكثر المتاجرين بالقضية الفلسطينية، ودماء أبنائها، وأول، وأبرز، المتاجرين بالقضية وأبنائها هما إيران وحزب الله، ومعهما النظام الأسدي، الذي يقوم بقصف الفلسطينيين اليوم بالطائرات الحربية، ودون أن يخرج لنا حسن نصر الله محذرا الأسد من استهداف الفلسطينيين، ودون أن تخرج لنا القيادات الإيرانية لتقول أي شيء، وكأن دم الفلسطينيين حلال للأسد، وحرام فقط على إسرائيل؟! أمر محزن، ومخز، لكن أراد الله فضح تجار الدم الفلسطيني من إيران إلى حزب الله ومعهما النظام الأسدي، وآخرون بالمنطقة، وبعضهم من الفلسطينيين أنفسهم.

طارق الحميد –

الشرق الاوسط ٢٠١٢/١٢/٢٠

لا يمكنك حمل بطيختين في يد واحدة

قالوا: نؤيد تطبيع العلاقات مع إيران ولن نسمح بنشر التشيع.

أحمد عارف المتحدث

باسم جماعة الإخوان –

المصريون ٢٠١٣/٢/١٠

سؤال منطقي!

قالوا: الأتراك يتساءلون: هل كفاءة الطيارين الإسرائيليين هي العالية، التي نجحت في الوصول إلى قلب العاصمة السورية، أم أن الرادارات السورية التي التقطت الطائرة التركية التي كانت تقوم بمناورة من دون ذخيرة هي التي عجزت عن اعتراض طريق المقاتلات الإسرائيلية وهي تحلق في سماء العاصمة السورية؟

ما لم يقُله أردوغان لكنه أراد التذكير به هو نجاح أجهزة الرصد السورية أو الروسية في المتوسط باكتشاف تحركات الطائرة التركية واستهدافها فوق المياه الدولية قبل أشهر وعجز هذه الأجهزة الدائم عن التقاط وإسقاط المقاتلات الإسرائيلية. فهل هو فشل حقيقي أم هو تجاهل للهجمات الإسرائيلية لأن المعركة الحقيقية لسوريا وشركائها لم تعد مع تل أبيب، بل هي مع الثوار المنتفضين في المدن السورية، وهي لا تريد التفريط بالرجال والعتاد في مواجهة ليست بين أولوياتها؟

سمير صالحة –

الشرق الأوسط ٢٠١٣/٢/٦

حتى الكشافة تنشر التشيع!

قالوا: أعلن القائد العام للكشافة الإسلامية، نور الدين بن براهم، عن اتخاذ إجراءات وقائية لحماية شباب الكشافة من المد الفكري الخارجي، تتمثل في الالتزام بتنفيذ منهج التربية الإسلامية للكشافة، الذي تمّت صياغته بالتنسيق مع وزارة التربية الوطنية، إلى جانب اتخاذ تدابير تنظيمية تتعلق بتشديد الرقابة على نشاط وعمل الأفواج الكشفية.

وقال بأن لجنة التحقيق التي تم إرسالها إلى ولاية

باتنة، للتحري بشأن انتشار الفكر الشيعي وسط بعض الأفواج الكشفية، وأكد بأن التحري في قضية نشر المذهب الشيعي في باتنة، تم عن طريق اتصال واسع مع المؤسسات الإدارية وأولياء الأطفال في الولاية.

الشروق أون لاين ٢٠١٣/٢/٦

فهمنا لماذا لا يريد أن يغادر رئاسة الحكومة

قـالوا: اتهمت القائمةُ العراقية التي يتزعمها رئيسُ الوزراء الأسبق إياد علاوي رئيسَ الوزراء نوري المالكي بإنفاق مليوني ونصف المليون دولار يوميا. وقالت المتحدثة باسم القائمة ميسون الدملوجي في مؤتمر صحافي عقدته أمس في بغداد بمشاركة عدد من نواب القائمة إن «مصروفات رئيس الوزراء نوري المالكي تصل إلى ٢,٥ مليون دولار يومياً أي ما يعادل ٣ مليارات دينار عراقي وتعادل سنويا ٩٠٠ مليار دينار عراقي.

الشرق الاوسط ٢٠١٣/٢/٥

استعدوا لاختراق جديد

قـالوا: استأنفت ايران والسنغال علاقاتهما الدبلوماسية التي قطعتها دكار في شباط/ فبراير ٢٠١١ بعد اتهامها طهران بتزويد متمردي كازامانس بالأسلحة، على ما أفادت وكالة الأنباء الطلابية استنادا إلى بيان رسمي.

وأوضحت الوكالة أن وزيري خارجية البلدين «وقعا وثيقة استئناف العلاقات السياسية بين إيران والسنغال» على هامش قمة منظمة التعاون الإسلامي المنعقدة في القاهرة. وأفاد البيان أن الرئيسين الإيراني محمود أحمدي نجاد، والسنغالي ماكي سال «قررا (خلال لقاء) إعادة فتح سفارتي البلدين اعتبارا من الأربعاء».

الغد ٢٠١٣/٢/٧

أيهما الصواب؟

قـالوا: الخطيب يبدو أنه مدرك لعبة الأسد الشهيرة بالموافقة على كل مبادرة ثم تفريغها من محتواها، إما بشروط واهية، أو بالاستفسارات، والهدف من ذلك هو قتل الوقت مع مواصلة القتل على الأرض، وبدعم إيراني.. ولذا، فإن الخطيب يحاول الآن إحراج النظام الأسدي أمام حلفائه والمجتمع الدولي، لكن الإشكالية تكمن في نقص الأدوات التي تدعم موقف الخطيب أمام نظام لا يتردد في القتل، والتحايل.. وصحيح أن الثوار ما زالوا يتقدمون على الأرض، لكن إشكالية نقص الدعم المسلح حقيقية، كما أن تشكك شريحة عريضة من المعارضة في خطوة الخطيب تظل أمرا لا يمكن التقليل منه، ولا بد أن يقنع الخطيب المعارضة برجاحة موقفه.

ولذا، فالحقيقة هي أن لا إجابة واضحة عما إذا كان الخطيب داهية، أم مغامرا، لكن الواضح والأكيد هو أن زعيم الائتلاف السوري وبموافقته على محاورة الأسد، يكون قد ركب موجة عالية جدا، وخطرة.

طارق الحميد –

الشرق الأوسط ٢٠١٣/٢/٥

المالكي: تركيا طائفية!!

قـالوا: جوهر الخلاف، هو أن تركيا تريد أن تتصرف بالدول المحيطة بها، تريد أن تدير العراق، وأن تدير سوريا، والدول الأخرى، وحتى دخلت على خط مصر، والمشكلة الوحيدة مع تركيا هي أنها تريد أن تعيد نظام الدولة الكبرى في المنطقة.

❖ وما وسائلها في المنطقة وفي العراق؟ وسائلها اعتمدت على العنصر الطائفي.

حوار الشرق الأوسط مع نوري المالكي ٢٠١٣/٢/٩



التجار الإيرانيون في الإمارات... قصص مأساوية تكتبها عقوبات دولية وعلاقته بـ «الدعوة»

محمد نصار – الشرق الأوسط ٢٠١٣/٢/٥

قبل أربعة أعوام كان يشار إليه بالبنان ويتسابق الناس للتعرف إليه والتقرب منه، إنه أحد التجار الإيرانيين الأثرياء فثروته بحسب مقربين منه تقدر بمليار درهم إماراتي، لكن خمس حزم من العقوبات الدولية على إيران قلبت الأمور رأسا على عقب وأعادت هذا الثري إلى نقطة الصفر ليصبح حديث المجالس بعشرة آلاف درهم لا غير في حسابه المصرفي، قصة هذا التاجر الإيراني هي واحدة من بين عشرات القصص المشابهة، لـ١٦٠ تاجرا إيرانيا أفلسوا تماما خلال عام ٢٠١٢ غادر بعضهم الإمارات إلى وجهات غير معروفة، ومثلهم أو يزيد لقوا المصير ذاته في ٢٠١١ بحسب معلومات خاصة تلقتها «الشرق الأوسط» من مصادر مطلعة، والسبب في ذلك يعود إلى العقوبات الدولية على إيران بسبب ملفها النووي المثير للجدل.

يقول المصدر إن ٨ آلاف شركة إيرانية تعمل في الإمارات ستغلق أبوابها إذا استمر الوضع على ما هو عليه عامين إضافيين، ويمكنك القياس على ذلك مع كل عام يضاف إلى عمر الأزمة التي تعصف بإيران بسبب ملفها النووي وما جلبه من عقوبات دولية، وعملتها الآخذة قيمتها في التلاشي أمام الدولار، وأزماتها السياسية الداخلية التي لا يعرف إلى أين ستفضي، وسط تضييق دولي غير مسبوق على الأموال الإيرانية المتحركة في النظام المالي العالمي، وإحجام مصرفي عن التعامل مع كل ما هو إيراني، وتشكيك من قبل شركات الصرافة في كل حوالة لها علاقة بمرسل أو مستقبل إيراني.

يقول تاجر إيراني يعمل في شحن المواد الغذائية إلى إيران عبر دبي: «نكاد نختنق، أصبحنا منبوذين، نحن ممنوعون من تحويل الأموال، محرومون من فتح الحسابات البنكية» مضيفا: «أحد فروع المصارف الأجنبية أخطرني بأنه سيلغي حسابي المصرفي لديه، كما أنني انتظر منذ أشهر عدة الموافقة على فتح حساب في بنك آخر ولا جديد في الموضوع».

ولكن ماذا عن بنك «ملي إيران» و«بنك صادرات إيران» اللذين يملكان فروعا في الإمارات يقول التاجر: «إنهما تماما كمن يودع أمواله في حصالة فلا يمكنك استخدامهما للتحويل أو أي شيء ضمن النظام المالي».

ولعل كل ما تفعله دولة الإمارات العربية المتحدة هو الالتزام بالعقوبات الأممية على إيران مع مراعاة بعض الجوانب الإنسانية، لكن لا يخفى على أحد أن التزام الإمارات التي لطالما اعتبرت إيران أهم شركائها التجاريين، بتطبيق العقوبات الدولية شكل عامل ضغط إضافي ومهم في مضاعفة التأثير على التجار الإيرانيين، خاصة مع تتالي حلقات الانخفاض الدراماتيكي للعملة الإيرانية أمام الدولار (دولار واحد يعادل ٤٠ ألف ريال).

ويضيق الخناق شيئا فشيئا على التجار والمقيمين الإيرانيين في الإمارات العربية المتحدة مع توقف جميع شركات الصرافة تقريبا عن التعامل مع الريال الإيراني، سواء أكان هذا التعامل بيعا أم شراء أم تحويلا لدرجة أن معظم هذه الشركات ألغت رمز العملة الإيرانية من على أنظمة الصرافة لديها، ليس هذا فحسب، فقد علمت «الشرق الأوسط» من مصادر في شركات الصرافة أن الإيرانيين لا يستطيعون تحويل الأموال ليس إلى إيران فقط ولكن إلى كل أنحاء العالم.

وبحسب مجلس الأعمال الإيراني في دبي تعمل ٨ آلاف شركة إيرانية في الإمارات بشكل رئيسي في قطاع المواد الغذائية والمواد الخام والحديد والفولاذ والإلكترونيات والإطارات والمعدات المنزلية، وغيرها من المواد، إضافة إلى نشاط الإيرانيين في تجارة إعادة التصدير عبر دبي والتي بدأت تخضع لرقابة شديدة.

وتشير الأرقام غير الرسمية إلى أن عدد الإيرانيين المقيمين في الإمارات وصل إلى ٤٠٠ ألف إيراني بينهم نسبة كبيرة من التجار ورجال الأعمال، جميعهم لا يستطيعون تحويل الأموال إلا ضمن حدود ضيقة أو بطرق خارج النظام المصرفي الإماراتي وهذا جزء من العقوبات الدولية على بلادهم، وأثناء إعداد هذا التقرير التقت «الشرق الأوسط» بتاجر إيراني في إحدى شركات الصرافة توقف جانبا لأكثر من نصف ساعة بانتظار معاملات يجريها الموظف بهدف تحويل ٣٠٠ ألف درهم إماراتي إلى أستراليا، لكن جميع المحاولة باءت بالفشل، فيما اكتفى التاجر الإيراني بالقول: «تحويل مبلغ مالي هي رحلة معاناة بحد ذاتها فجميع شركات الصرافة والبنوك العالمية والمحلية ترفض إتمام معاملاتي المالية عند معرفة جنسيتي».

وتعلل شركات الصرافة ذلك بأن العقوبات الدولية على إيران تجعل من غير القانوني إتمام أي عملية تحويل للإيرانيين «إلا أن الإيرانيين ربما وجدوا بدائل من خلال عمليات ما بات يعرف بالتحويل بالباطن خارج النظام المصرفي المحلي أو الاعتماد على خدمة (ويسترن يونيون) للحوالات الصغيرة».

وإن كانت العقوبات الغربية على إيران تزيد أيضا من وطأة التدهور المزمن الذي تعانيه العملة الإيرانية إلا أن ما تشهده العملة من انخفاض وتذبذب أمام الدولار يظهر أن العقوبات النفطية الأخيرة كانت الأشد والأكثر تأثيرا، ففي العام الماضي فقط، فقد الريال الإيراني نحو نصف قيمته بعد أن شدد الغرب العقوبات على إيران بسبب برنامجها النووي المثير للجدل.

وكانت الإمارات العربية المتحدة قد قطعت علاقاتها مع ١٧ بنكا إيرانيا تماشيا مع العقوبات الدولية، على اعتبار أن هذه البنوك تصنف على أنها ضمن القائمة السوداء في الولايات المتحدة، منها «بنك صادرات إيران» و«بنك ملي إيران» اللذين يملكان فروعا لهما في دولة الإمارات.

ويشتكي تاجر إيراني لـ«الشرق الأوسط» بالقول: «أسير تجارتي من دبي منذ ثلاثين عاما، لكنني اليوم أحتاج إلى أشهر لمجرد فتح حساب مصرفي في أحد البنوك الإماراتية»، ليس هذا فحسب «فالتأمين أيضا أصبح عقبة كبيرة، حيث إن كثيرا من شركات التأمين تعزف عن توفير تغطية تأمينية للبضائع المتجهة من الإمارات إلى إيران» وكل ذلك خوفا من مفاجآت الريال، ويضيف التاجر الذي يفضل عدم ذكر اسمه كغيره من التجار الإيرانيين ممن يقبلون أن يخوضوا في هذه القضية المصيرية بالنسبة لهم: «أستطيع أن أقول لك إني لم أفلس حتى الآن لكنني فقدت ٧٠٪ من قيمة تجارتي، وشبح الإفلاس يحوم من حولي»، وعن البدائل التي يملكها في حال حدوث ذلك قال: «لا خطط.. لا بدائل.. كل الطرق مغلقة».

ولا يبدو هذا التاجر الذي يصارع الإفلاس وحيدا، حيث يروي أحد التجار الإيرانيين العاملين في قطاع البناء قصة تاجر آخر كان يقيم في أحد أرقى وأغلى أحياء دبي، انتقل للعيش في غرفة واحدة مع زوجته وابنه في إحدى المناطق البعيدة، ليس هذا فحسب، فهو يحصل على مساعدات مالية لدفع أجرة بيته البالغة (١٢ ألف درهم سنويا)، ويضيف تاجر البناء: «هذا الرجل كان يلعب بملايين الدولارات، بينما هو الآن صفر اليدين، ولولا ما يتلقاه من مساعدات لنام في الشارع مع أسرته» وتقول زوجة أحد التجار الإيرانيين في دبي وهي تستقل سيارتها الفارهة: «زوجي يسير بضاعته إلى إيران لكن الأوضاع من سيئ إلى أسوأ، ونحن الآن على وشك الإفلاس وهذه السيارة في طريقها إلى البيع لتسديد أقساطها.. لا نعرف ماذا نفعل فلا بد لنا من عمل للحصول على إقامة في الإمارات» مشيرة إلى أنها كانت تمارس هواية التصوير الضوئي «لكنني سأضطر إلى العمل مصورة لتلبية احتياجاتنا اليومية» وتجدر الإشارة إلى أن قصص إفلاس التجار الإيرانيين في الإمارات تعتبر مثالا مصغرا لما هو عليه حالهم في كل أنحاء العالم، فما يعانيه التاجر الإيراني في الإمارات هو ذاته في أي دولة من دول العالم تلتزم بالعقوبات الدولية على إيران، بحسب تجار.

إيران وإسرائيل والثورة السورية

د. رضوان السيد – الشرق الأوسط ٢٠١٣/٢/٨

دخلت إسرائيل على الموضوع السوري مؤخرا من بابين: الإغارة على مواقع عسكرية في سوريا ما تزال تفاصيل أهدافها غامضة فيما بين مركز للأبحاث العسكرية وقافلة صواريخ متطورة إلى حزب الله، والإعلان من جهة أُخرى عن إجراءات على الحدود مع سوريا على مرحلتين: إقامة سور عازل يشبه ذاك الذي أقامته إسرائيل ضمن الضفة الغربية والقدس وعلى تخومهما، والقرار أخيرا بإقامة منطقة عازلة في الجولان السوري بعرض ١٥ كيلومترا للوقاية من التطورات المحتملة بعد سقوط الأسد ونظامه. أما إيران فقد أرسلت إلى سوريا سعيد جليلي مدير مجلس الأمن القومي، وقد بقي الرجل عدة أيام اجتمع خلالها بالأسد، وأعلن بعدها أنّ إسرائيل ستندم على ما قامت به؛ في حين قال مسؤولون إيرانيون آخرون إنّ الردَّ السوري على الهجوم الإسرائيلي سيكون حاسما، ويوشك أن يُدخل الكيان الصهيوني في حالة غيبوبة! وفي الوقت نفسِه اجتمع وزير الخارجية الإيراني صالحي في ميونيخ بمعاذ الخطيب رئيس الائتلاف للمعارضة والثورة، وقال صالحي بعدها إنّ الاجتماع كان ممتازا لأنّ الخطيب قبل التفاوض مع نظام الأسد بشروط!

ماذا يريد الإسرائيليون، وماذا يريد الإيرانيون، وما العلاقة بين التحركين؟ كلا الطرفين الإسرائيلي والإيراني يقف مع نظام الأسد، لكنهما يُعدّان في الوقت نفسِه لصَون مصالحهما إذا سقط النظام. فالإسرائيلي يتخذ إجراءات على الحدود للحماية والوقاية بعد أن ظلَّ ساكنا ومطمئنا منذ عام ١٩٧٤ من دون سورٍ واقٍ ومن دون منطقة عازلة. هل كان مطمئنا إلى وجود المراقبين الدوليين، أم كان مطمئنا إلى أنّ حكم البعث هو السور الواقي؟ الأرجح هو الأمر الثاني، لأنّ المُراقبين الدوليين ما يزالون موجودين، وسيظلون هناك بعد سقوط النظام. أمّا الغارة الإسرائيلية على مراكز وتحركات عسكرية؛ فإنها تريد التنبيه إلى أنّ «مشكلة» إسرائيل لن تتحلَّ باتفاق الأميركيين والروس على حل في سوريا؛ بل إنها تريد حلاً لمشكلة حزب الله، والسلاح الذي تكدَّس ويتكدسُ لديه.

وهكذا فإنّ إسرائيل افتقدت وتفتقد بقيام الثورة السورية إلى سورين عازلين وليس سورا واحدا: تريد ضمانا لبقاء الهدوء على الحدود بينها وبين سوريا، وتريد ضمانا أيضا إلى حدودها مع لبنان بسبب بقاء الطرف الآخر للتوازُن المتمثل في حزب الله، والذي ما نشط لشيء بعد حرب عام ٢٠٠٦؛ بل انصرف لإحكام السيطرة على الداخل اللبناني، مطمئنا إلى سطوة المحور الذي أقامه الإيرانيون بين العراق وسوريا ولبنان. فالأطراف العربية الثلاثة للمحور الإيراني، كما أمّنت منطقة نفوذٍ ممتدة لإيران من الأهواز وإلى شاطئ المتوسط، أمّنت لإسرائيل «عدم تحرُّشٍ» لهذه الجهة طوال قرابة ٧ سنوات. وخلال ذلك انتقل خطُّ الاشتباك إلى غزة كما هو معروف، إلى أنّ تسلّمت مصر بعد الثورة المسؤولية عن التهدئة لهذه الناحية.

القلق الإسرائيلي المتصاعد إذن هو في أحد تعبيراته، قلقٌ من تزعْزُع المحور الإيراني الذي توصلت إسرائيل معه إلى حالة «ربط نزاع». ومن هناك تأتي العلاقة بين التحركين الإسرائيلي والإيراني. فالإيرانيون أكثر قلقا بالطبع، لأنّ الذي تزعزع هو محورُهم ومركزُهُ سوريا ونظامُها على الخصوص، وإدراكا من إيران لأخطار التزعزع هذه، نشطت منذ قيام الثورة السورية لدعم النظام هناك بشتّى الوسائل المادية واللوجستية والعسكرية المباشرة. وما اكتفت بالدعم المباشر، بل طلبت من المالكي وحزب الله القيام بالشيء نفسِه.

فإلى جانب التسهيلات المالية واللوجستية والعتاد، هناك عدة آلافٍ من المقاتلين، لجهة نهر الفرات، ولجهة دمشق، ولجهة خط حمص - القُصير - الهرمل. بيد أنّ الغارة على المواقع السورية، أثارت لدى الإيرانيين قلقا آخر كبيرا، إذ بذلك تعرضت هيبة المحور الذي تدعي إيران أنها أقامته في وجه إسرائيل، لضربة قوية تستدعي ردا من نوعٍ ما، أو لا تعود هناك فائدة (دعائية على الأقلّ) من مزاعم الممانعة والمقاومة. ومن أجل «الردّ» المحتمل جاء جليلي إلى سوريا. لكنّ «تقدير الموقف» مع الأسد وضباطه، أفضى فيما يبدو إلى أنه لا فائدة تُرجى من تظاهُر النظام القيام بالردّ المُزلْزِل. فهل يقوم حزب الله؟

لقد نقضت إسرائيل شروط الهدنة القائمة بين المحور وبينها بالغارة؛ في حين كان المحور وفيا لالتزاماته وتعهداته بعد الحرب عام ٢٠٠٦. والتي أنجزها الأميركيون مع إيران في سياق انسحابهم من العراق. والاتفاق كان ألا يتعرض المحور للقوات الأميركية أثناء

الانسحاب، ولا يتحرش بإسرائيل بعد الانسحاب. والذي حدث أن إسرائيل هي التي تحرشت، بسبب انخفاض منسوب الهيبة، ولأنها تريد ضماناتٍ ما عادت إيران ولا الولايات المتحدة تستطيع تأمينها لها بعد قيام الثورة السورية. بيد أنّ ترميم ما تصدّع اعتمادا على القدرات الهجومية لحزب الله، يُعتبر فخا أيضا: فما الذي يضمن ألا يتحول التعرض الصاروخي لإسرائيل إلى فرصة لها لـ«حلّ» مشكلة صواريخ الحزب من الأساس في حربٍ شاملة أو محدودة؟! ولذا فقد جرى صرف النظر حاليا فيما يبدو عن القيام بأي عملٍ عسكري، انتظارا، وربما، لطلْقة أخيرة يطلقها نظام الممانعة في لحظة الانهيار!

على أنّ الضيق الإيراني لا ينحصر بمشكلته الحالية مع تَداعي النظام السوري. فالإيراني مُقْبلٌ على مفاوضاتٍ مصيرية على النووي مع الأميركيين (الذين قدّموا عرضا أخيرا في لقاء بايدن وصالحي بميونيخ). وهم مترددون في ماذا يفعلون؟ هناك هموم الحصار الخانق، وهموم ضعف محور الممانعة، والمزايدات الداخلية التي تتطلبها انتخابات الرئاسة في يونيو (حزيران) المقبل. وليس من دون دلالة العرض شبه العلَني الذي يقدّمونه للأميركيين بشأن نفوذهم في المناطق الشيعية بأفغانستان، وإمكانيات التعاوُن ما دام الأميركيون يريدون الانسحاب من هناك عام ٢٠١٤. كما تعاونوا معهم عند دخولهم إلى أفغانستان عام ٢٠٠١ - ٢٠٠٢. وشاركوهم عند دخولهم إلى العراق عام ٢٠٠٣. وخلفوهم عند خروجهم عام ٢٠١١.

إنّ الذين ينظرون إلى خطوة معاذ الخطيب باعتبارها تراجُعا عن مواقف سابقة، ينسَون أنها خطوة تستند إلى تعديلٍ في الموازين على الأرض. فالمعارضة الآن سلطة على أجزاءٍ كبيرة من الأرض السورية. وصحيحٌ أنّ الأشهر الثلاثة الأخيرة ما شهدت تقدما بارزا للمعارضة العسكرية، وشهدت في المقابل عنفا هائلا من جانب قوات النظام؛ بيد أنّ الروس والإيرانيين (والصينيين الذين مضى إليهم المقداد) يعرفون يقينا (فهم على الأرض أيضا) أنه لا حياة باقية للنظام الذي يدعمونه من قُرابة السنتين من عمر الثورة - ولذا فإنهم (وكلٌّ على انفراد) يستقبلون عرض مُعاذ الخطيب، ويحاولون البناء عليه والحساب لما بعد الأسد: وإلاّ فكيف صار الإرهابيون والعملاء فجأة شركاء مقبولين في حل تفاوضي؟!

إنها «شراكة» قامت منذ مطالع القرن الحادي والعشرين برعاية الأميركيين بين الإسرائيليين والإيرانيين والأتراك على «ملء الفراغ» في منطقة الهلال الخصيب، وكان موضوعها العراق وسوريا ولبنان. وقد خرج من الشراكة – لكونها ما عادت مُجزية - كلٌّ من الأتراك والإسرائيليين في اتجاهاتٍ مختلفة. ودخل إلى الساحة الروس (بحكم موقعهم في النظام الدولي)، والعرب أو بعضهم (بسبب دعمهم للثورة السورية، وتصديهم للتدخل الإيراني في الشؤون العربية). لقد بدأ الحراك الاستراتيجي العربي المعاصر بالصراع على سوريا - بحسب تعبير باتريك سيل. وقد جرت تصفيته بفصل سوريا عن مصر، ثم صرفها للصراع مع العراق، فإلى إلحاقها بإيران قبل أكثر من عقدين. وتكتمل الحركة العربية الجديدة باستعادة سوريا إلى ذاتها، وإلى أمتها العربية.

تريتا بارسي وتهمة "العمالة المزدوجة"؟

محمد بن صقر السلمي – مدونته ٢٠١٣/٩/٢٦

تريتا بارسي باحث إيراني يحمل الجنسية السويدية، ويقيم في الولايات المتحدة وهو رئيس المجلس الوطني الإيراني الأميركي (NIAC) كما أنه مؤلف الكتاب الشهير «التحالف الغادر: التعاملات السريّة بين إسرائيل وإيران والولايات المتّحدة الأميركية Treacherous Alliance: The Secret Dealings Of Israel, Iran And The U.S» وله كتاب آخر صدر مؤخرا بعنوان «لفة واحدة من النرد Single Role of the Dice» بالإضافة إلى العديد من المقالات والمقابلات التلفزيونية، وقد نجح في التقرب من صانعي القرار في البيت الأبيض ووزارة الخارجية الأميركية وسيطر على بعض وسائل الإعلام الأميركية الناطقة بالفارسية مثل إذاعة «صوت اميركا» وقام بتسريح معظم العاملين فيها وعين طاقما جديدا تحت اشرافه والمنظمة التي يترأسها.

كما يعتبر بارسي الشخصية الأكثر صراحة في واشنطن، التي تدعو للمشاركة والركون إلى التفاهم مع النظام الاسلامي في طهران، كما يدعو صانعي السياسة الغربية والأميركية تحديدا إلى استيعاب نظام الملالي في طهران أو ما يطلق عليه الانخراط الحكيم، بدلا من مواجهته في قضايا مثل البرنامج النووي وتهمة دعم المجموعات الإرهابية وملفات حقوق الإنسان.

وعرف بارسي بتصريحاته المناهطة لمنظمة «مجاهدين خلق» الإيرانية المعارضة واستماتته في اقناع السلطات الأمريكية بعدم رفع اسم الحركة من قائمة المجموعات الإرهابية الأجنبية، مما آثارت الشكوك في أن توصيات بارسي ومجموعته ليست مجرد دفع لحمائم السلام في السياسة الخارجية الأمريكية بل يدافعون عن النظام الحاكم في الجمهورية الإسلامية في إيران، كما أن بعض إيرانيي المهجر يطلقون عليه لقب «سفير إيران المتنقل».

وفي هذا الصدد فقد حامت حول تريتا بارسي الكثير من التهم بالعمل لصالح النظام الإيراني فقد كتبت صحيفة «واشنطن تايمز» في عام ٢٠٠٩ مقالا مطولاً عن الدور الذي تقوم به المنظمة التي يترأسها بارسي (NIAC) لأن الكثيرين يرونها قوة ضغط (لوبي) إيراني في الولايات المتحدة الأمريكية على غرار منظمة «ابيك» اليهودية الأمريكية (AIPAC) على أن المنظمة وجميع أعضائها غير مسجلين كجماعة ضغط، وبالتالي فهي تخالف القوانين الأمريكي كما تحدث البعض عن أموال دخلت إلى حساب بنكي له في السويد يعتقد أنها من مصادر مشبوهة ويتهمه خصومه من الإيرانيين في المهجر بتلقي أموال من النظام الإيراني كما يراه البعض عميلاً مزدوجاً للنظامين الإيراني والأمريكي على حد سواء، إلا أن بارسي نفى كل هذه التهم، وقال إن تلك الأموال التي تحول لحسابه البنكي في السويد تأتي من المقابلات التي تجريها معه قنوات تلفزيونية، ومقالات يكتبها في عدد من الصحف والمجلات العالمية، ويصر بارسي ومنظمته على أنهم يعملون لما هو في مصلحة المجتمع الإيراني في امريكا وليس حكومة طهران.

إلى ذلك فقد ظهرت الى السطح خلافات عديدة بين بارسي وبعض الشخصيات الإعلامية الأمريكية من أصول إيرانية وصلت بعض هذه الخلافات الى أروقة المحاكم الأمريكية، ولعل أبرزها الدعوة التي رفعها تريتا بارسي ضد الصحافي الامريكي من أصول إيرانية حسن داعي، الذي كتب في عام ٢٠٠٨، مقالا وصف فيه بارسي بأنه أبرز شخصيات اللوبي المناصر لملالي طهران في الولايات المتحدة، وأن بارسي لا يكترث بحقوق الإنسان المضطهدة هناك، كما أنه على تواصل مستمر مع عدد من المسؤولين الإيرانيين في الداخل والخارج.

هذه التهمة دعت بارسي والمنظمة التي يرأسها إلى رفع قضية ضد داعي، زاعما بأن الأخير شوه سمعته والمنظمة.

استمرت المحاكمة لأكثر من ثلاث سنوات بين تهم موجهة بين الطرفين وكم هائل من الوثائق والمستندات، حتى أصدر قاض المحكمة الفيدرالية في واشنطن دي سي «جون باتس» الأسبوع المنصرم حكمه النهائي في القضية.

على الرغم من أن القاضي أكد أن داعي تلاعب في بعض تصريحات بارسي وكتاباته، من خلال حذف بعض الأجزاء أو استخدام بعض عبارات بارسي في غير موضعها الصحيح، إلا أن هذا لا يدينه مطلقا وليس في ذلك أي تضليل للقراء، وبالتالي أصدر القاضي حكمين منفصلين في هذه القضية، أكد الأول على بطلان الدعوة التي رفعها تريتا بارسي ومنظمة (NIAC) ضد الصحافي حسن داعي، كما وجد القاضي أن دفاع بارسي عن حقوق الانسان في إيران كانت «فاترة»، مما يدعم وجهة نظر الصحافي داعي في هذا الصدد، أما الحكم الثاني فكان يقضي بتحمل تريتا بارسي نسبة كبيرة من تكاليف المحامين، الذين قام بتوكيلهم داعي.

هذا الحكم شكل صدمة لمؤيدي تريتا بارسي، كما استقبل ايرانيو المهجر الحكم الصادر بترحيب كبير، واعتبروه انتصارا لهم ضد اللوبي الايراني في الولايات المتحدة، ورسالة للنظام الحاكم في طهران.

ويبدو أن المصائب لا تأتي فرادا كما يقال، فما هو إلا أسبوع واحد بعد صدور حكم المحكمة، حتى تحدثت وسائل الإعلام الأمريكية عن أن الولايات المتحدة بصدد حذف اسم حركة «مجاهدين خلق» من قائمة المجموعات الإرهابية، كما ذكرت صحيفة «واشنطن بوست».

وبالتالي وفي حالة قامت الولايات المتحدة بذلك فعلاً فهي ضربة موجعة أخرى لتريتا بارسي، الذي ما لبث يقاتل من أجل بقائها على قائمة المنظمات الإرهابية، وقد كتب وصرح غير مرة ضد الحركة وتوجهاتها، وأنها حركة إرهابية قتلت العديد من الأبرياء داخل إيران وخارجها، وهو توجه يتفق وسياسة النظام الإيراني ضد الحركة.

ختاما، يبقى السؤال المطروح هو: هل ستكون هاتان الضربان كفيلتين باسقاط تريتا بارسي، بعد أن توغل في أروقة البيت الأبيض والخارجية الأمريكية ومراكز صنع القرار هناك، وبالتالي تخسر إيران أحد رجالها في واشنطن.. ربما!

جامعات إيرانية في الخليج!

محمد بن صقر السلمي – مدونته ٢٠١٣/١٠/١٦

قبل بضعة أيام نشر موقع إيراني شهير خبرا مفاده أن حسن قشقاوي، مساعد وزيرالخارجية الإيراني للشؤون القنصلية قام بتفقد الجامعات الإيرانية بمدينة دبي بدولة الامارات العربية المتحدة وقد شكر قشقاوي المسؤولين في هذه الجامعات على نشاطهم في المجالين العلمي والثقافي وطالبهم بالمزيد، كما التقى قشاوي ببعض طلاب هذه الجامعات. قشقاوي كان في زيارة للامارات للمشاركة في الاجتماع السابع للجنة القنصلية المشتركة بين ايران والامارات.

وجود جامعات إيرانية في الامارات معلومة جديدة لم أسمع أو اقرأ عنها من قبل. نقلت الخبر كما هو على صفحتي في «تويتر» و ذيلته بسؤال عن عدد الجامعات الإيرانية في دولة الامارات، لعلي أجد الإجابة عند أحد الأصدقاء.

كان التفاعل مع الخبر مثيراً جداً، فهناك من شكك في دقة المعلومة وآخرون قاموا بنفي الخبر جملة وتفصيلا وصنف ثالث طالب بمزيد من التفاصيل والأدلة، بينما تقبل البعض المعلومة وأعاد تدوير التغريدة دون تعليق.

الأهم في ذلك كله أنني لم أتلق أي رد من الأصدقاء يؤكد صحة الخبر اطلاقا. لم أشك مطلقا في دقة المعلومة ولكن فضولي قادني إلى البحث في المواقع العربية بداية فلم أجد ضالتي ثم انتقلت إلى البحث باللغة الفارسية وهنا كانت المفاجأة.

بعد قليل من البحث وجدت أن عدد الجامعات الإيرانية في دبي قد بلغ حتى عام ٢٠٠٧ أربع جامعات وكلية وجميعها في قرية المعرفة في دبي (Dubai Knowledge Village).

وبشكل أكثر تفصيلاً، اتضح أن الجامعات الإيرانية في دبي هي عبارة عن فروع لجامعات في مدن إيرانية بعضها حكومية وأخرى أهلية. الجامعات الإيرانية في دبي هي: الجامعة الإسلامية الحرة، وهي أول جامعة إيرانية في دبي وتم افتتاحها في عام ٢٠٠٤، وهناك جامعة شيراز، وجامعة شهيد بهشتي وجامعة پيام نور وأخيرا كلية علوم الحديث. يدرّس في هذه الجامعات تخصصات عدة من بينها القانون والمحاسبة والرياضيات والحاسب الآلي وإدارة الأعمال بالإضافة إلى التخصصات الدينية والعلوم الشرعية، وتستخدم اللغات العربية والفارسية والانجليزية في كثير من هذه التخصصات وتمنح هذه الجامعات مختلف الدرجات العلمية (البكالوريوس والماجستير والدكتوراه).

وفي شهر يوليو الماضي، ووفقا لما نشرته وكالة الأنباء الإيرانية الرسمية، اعترفت وزارة التعليم في دولة الامارات بإثني عشر تخصصا تدرسها الجامعة الحرة في مراحل تعليمية مختلفة. والحقيقة ليس لدي معلومة دقيقة حول مدى اعتراف وزارة التعليم الإماراتية بالجامعات الإيرانية الأخرى من عدمه.

لاحقا أردت أن أتعمق قليلا في البحث فأردت أن أرى ما إذا كانت هذه الجامعات الإيرانية محصورة في الامارات فقط أو أن هناك فروعا لجامعات أخرى في دول الجوار. اتضح أن هناك فروعا لجامعات إيرانية في اكثر من عشر دول عربية واسلامية وأجنبية، فبالإضافة إلى الامارات، هناك جامعة واحدة في سوريا وهي فرع لجامعة تربيت مدرس واطلق عليها اسم جامعة الفارابي، و حالياً هناك طلبان من جامعتي امير كبير و جامعة شيراز الحكوميتين لفتح فروع لهما في سوريا أيضاً، أما في ما يتعلق بالجامعات الإيرانية في لبنان فهناك فرع للجامعة الإسلامية الحرة وقريبا سيتم افتتاح فرع لجامعة طهران، ونجد فرعا لجامعة پيام وآخر لجامعة الفردوسي في افغانستان، بالإضافة إلى فروع لعدة جامعات في دول مثل باكستان، جزر القمر، تنزانيا، فنزويلا، طاجكستان وزنجبار، بعضها فتحت أبوابها للطلاب وأخرى قيد الافتتاح.

لماذا افتتحت إيران هذه الجامعات في الخارج؟

وفقا لتصريح لوزير التعليم العالي الإيراني حول الموضوع، فإن طهران ترى أن افتتاح مثل هذه الجامعات يعود بالنفع عليها من جانبين أثنين، أحدهما، تنمية الاعتماد على النفس بين الأساتذة الجامعيين في إيران وبالتالي الاحتكاك بالبيئة التعليمية الأجنبية والغربية على وجه الخصوص.

ثانيا، يرى الوزير أن هذه الفروع هي بمثابة فرصة عظيمة لتعريف العالم بقدرات إيران العلمية والفنية والبحثية كما أن ذلك ينعكس إيجابا على رفع مراكز الجامعات الإيرانية في الترتيب العالمي ويساهم في الوقت

ذاته في تسريع عجلة النمو والتقدم في البلاد.

أضف إلى ذلك، أن تواجد جامعات إيران في الخارج، والحديث لا يزال للمسؤول الإيراني، تقدم انطباعا ومثالا حيا للنموذج الإسلامي والثقافي للبلاد وهي بمثابة سفير حضاري وثقافي لإيران المسالمة و المهتمة بالعلم والمعرفة مما يؤثر بشكل إيجابي على صورة إيران السياسية والعلمية في الخارج، على حد قول الوزير.

شخصياً، لا أعترض مطلقا على افتتاح مثل هذه الجامعات خاصة إذا كان الهدف منها اكاديمي بحت ويخدم الجانب الإيراني والبلد المضيف على حد سواء، كما أنني لن أناقش موضوع نشاطات هذه الجامعات بعيدا عن المجال الأكاديمي الصرف.

لكن الأهم من وجهة نظري الشخصية هو هل تقبل إيران أن تقوم إحدى دول الخليج العربي بافتتاح فرع لها في طهران أو في إحدى المدن الإيرانية الأخرى بخاصة تلك التي يشكل فيها العرب الأغلبية السكانية؟ وإن كانت الإجابة بنعم، رغم أنني أشك في ذلك كثيرا، فهل ستتخذ جامعاتنا الخليجية مثل هذه الخطوة في القريب العاجل؟.. شخصياً، أتمنى ذلك.

حالة من التشاؤم تعم إيران في ظل احتدام الصراع على السلطة

أمير طاهري – الشرق الأوسط ٢٠١٣/١٢/١٤

على غرار كل الأنظمة التي ظلت في متاهات آيديولوجية، يواجه النظام الخميني، مجددا، أحد تناقضاته المحورية، المتمثل في سؤال: هل هو جمهورية، بعبارة أخرى، نظام سياسي قائم على إرادة الشعب كما تعبر عنها الانتخابات، أم «إمامة» يزعم فيها «المرشد الأعلى» أنه يحمل تفويضا إلهيا؟

تجلى ذلك التناقض في معارك الرسائل الشهر الماضي بين الرئيس محمود أحمدي نجاد والأخوين لاريجاني، اللذين يشغلان منصبي رئيس مجلس الشورى الإسلامي، بديل البرلمان، ورئيس القضاء. من الواضح أن الأخوين يسعيان للفوز بمنصب الرئاسة، جنبا إلى جنب مع علي أردشير، عضو مجلس الشورى الإسلامي، كمرشح رئاسي آخر. لكنهما على يقين من أنهما ما لم يبعدا المرشحين المؤهلين، فلن تكون أمامهما سوى فرصة ضئيلة للفوز.

في المرة الأخيرة التي خاض فيها علي أردشير سباق الترشح للرئاسة، جمع قرابة نسبة ٤ في المائة من الأصوات.

من الواضح أن الأخوين قد بدآ حيلهما الخداعية بما هو أكثر من محاولة الحصول على دعم «المرشد الأعلى» علي خامنئي. بمفردهما، لم يكونا ليحظيان بقاعدة الدعم الكافية لتقديم هذا الطلب شديد الوقاحة بالترشح لأعلى المناصب المنتخبة في الدولة.

إن الأخوين يشنان هجوما على جبهتين: من جهة، يحاولان الحد من شأن أحمدي نجاد مع استعداده لترك منصبه خلال ستة أشهر. لقد حشد علي أردشير أصدقاءه في مجلس الشورى الإسلامي لتمرير قوانين تتخطى الحكومة، بتحويل جزء من المسؤوليات إلى السلطة التنفيذية. أما أخوه الآخر، صادق، وهو ملا، فقد رفض إشراف الرئيس على السلطة القضائية. إذا ما تم إرساء هذا الإجراء كممارسة ممنهجة، فإن من شأن هذه الخطوات أن تقلص سلطات الرئاسة بشكل هائل.

ومن جهة ثانية، يحاول الأخوان أن يجعلا من المستحيل بالنسبة لكثير من المرشحين المحتملين خوض الانتخابات الرئاسية المقبلة في شهر يونيو (حزيران).

يتطلب تعديل مقترح للقانون المنظم للانتخابات الرئاسية وضع شروط جديدة بشكل خاص لعرقلة منافسين بعينهم. فعلى سبيل المثال، هناك شرط ينص على أنه يجب ألا تزيد أعمار المرشحين على ٧٥ عاما، وبالتالي سيتم استبعاد الرئيس السابق هاشمي رافسنجاني الذي يرغب في خوض السباق.

ويتمثل شرط آخر في أن ضرورة أن يحمل المرشح المتوقع درجة الماجستير من إحدى الجامعات. وهذا الشرط بالتبعية سوف يقصي مرشحا محتملا آخر، هو الرئيس السابق محمد خاتمي، الذي يحمل درجة البكالوريوس في الكيمياء، ووزير الداخلية السابق عبد الله نوري الذي تدرب كرجل دين مبتدئ. فضلا عن ذلك، فإن من شأن التعديلات المقترحة أن تضع حدا لسيطرة الحكومة على الانتخابات عبر وزارة الداخلية.

وتلك السيطرة يمكن أن تمكن حزب أحمدي نجاد من «ترتيب» انتصار لمرشحه، بفرض نجاحه في جعله يجتاز المعوقات التي وضعها الأخوان لاريجاني كحجر عثرة في طريقه. ومع إجراء الانتخابات من قبل لجنة تتألف من رجال تم تعيينهم من قبل الأخوين لاريجاني وخامنئي، سيتمكن الثلاثي من الدفع بمرشحهم إلى نقطة النهاية.

ويتمثل أهم الشروط الجديدة في ضرورة حصول المرشحين على تصديق من ١٠٠ «قائد سياسي وديني رفيع المستوى» قبل إرسال طلب خوضهم الانتخابات الرئاسية إلى مجلس صيانة الدستور المؤلف من ١٢ عضوا لاتخاذ قرار أخير بشأنه.

ليس من الواضح كيف سيتم اختيار «القادة السياسيين والدينيين رفيعي المستوى» المفترضين. غير أن الأخوين لاريجاني قد لمحا إلى أن القرار متروك لمجلس الشورى الإسلامي والسلطة القضائية، الهيئتين اللتين يفرضان سيطرتهما عليهما. ويعني هذا أن الأخوين يمكن أن يصوتا بالرفض على المرشحين الذين دفع بهم حزب أحمدي نجاد.

لم يخف خامنئي رغبته في تقليل مكانة الرئيس إلى مجرد مستشار لـ«المرشد الأعلى». بالنسبة له، تعتبر إيران «إمامة» وليس جمهورية، وهو النظام الذي ابتكره «الملاحدة» الغربيون في القرن الثامن عشر.

لقد لمح خامنئي إلى أنه ربما يتم إلغاء منصب الرئاسة لصالح نظام يقوم فيه «المرشد الأعلى» بتعيين رئيس وزراء يتولى إدارة الشؤون التنفيذية.

ومع تبقي أقل من ستة أشهر على تركه منصبه، يبدو أن أحمدي نجاد قد قرر خوض المعركة من أجل الحفاظ على ما تبقى من مكانته كرئيس. لقد نشر نصوص الخطابات التي كتبها للأخوين لاريجاني وأيضا لخامنئي، مذكرا الثلاثة أن الرئيس، المنتخب من الشعب، يتمتع بشرعية لم يكن أي من المسؤولين الآخرين، بمن فيهم «المرشد الأعلى» غير المنتخب، ليطالب بأحقيته فيها.

لقد ميز أحمدي نجاد نفسه بوصفه وصيا على الدستور، وأيضا، صدق أو لا تصدق، الصوت الديمقراطي للشعب.

لا يترك أسلوب خطابات أحمدي نجاد سوى مساحة محدودة من الشك بشأن عزمه تفادي أن يزج به في غيابات النسيان من دون قتال. من الواضح جليا أيضا أنه يرغب في أن يكون حزبه حاضرا في الانتخابات المقبلة من خلال مرشح جدير بالثقة، حتى وإن كان ذلك يعني تحدي «المرشد الأعلى».وبعيدا عن المنافسات الشخصية، المتأصلة في معظم الأنظمة السياسية، يعاني نظام الخميني من أزمة هوية عميقة. إنه نظام استبدادي له مطامح ديكتاتورية واضحة. ومع ذلك، ففي الوقت نفسه، له سمات ديمقراطية. والنتيجة هي نسر ذو رأسين عاجز عن التحليق عاليا في أي اتجاه.

إذا ما زاد النظام جرعته الاستبدادية بحرمان الرئاسة من أي سلطة ضئيلة متبقية، فربما تكون النتيجة خسارة كبيرة للدعم بين النخبة الضيقة قوية الإرادة من البيروقراطيين والتكنوقراطيين والأجهزة العسكرية والأمنية التي تبقي النظام عائما.

على الجانب الآخر، في حالة ما إذا منح النظام مزيدا من الحرية لإظهار سماته الديمقراطية، فربما يشجع ذلك الأغلبية الصامتة التي لم يتودد إليها النظام الخميني مطلقا، على تحدي جوهر وجود النظام.

وتأتي الجولة الأخيرة في الصراع الدائر على السلطة من أجل تشكيل المسار المستقبلي لإيران في وقت تتعمق فيه الأزمة الاقتصادية ويستمر فيه التهديد باندلاع نزاع عسكري مع الولايات المتحدة و/أو إسرائيل.

في الوقت نفسه، يتغير المشهد السياسي في الشرق الأوسط بصور يمكن أن تزيد من عزلة الجمهورية الإسلامية. قد يعني التغيير في سوريا نهاية الفرع اللبناني لحزب الله وهيمنة إيران في لبنان. في الوقت نفسه، على الرغم من جهود رئيس الوزراء نوري المالكي، تعتبر العلاقات مع إيران على حافة الهاوية. إذن، فليس من المفاجئ أن تعم إيران هذه الأيام حالة من التشاؤم الشديد.

طهران تكثف ضغوطها على التحالف الشيعي لإبقاء المالكي

معد فياض - الشرق الأوسط ٢٠١٣/٢/٦

يتناقض الموقفان المعلن والمبطن للمجلس الأعلى الإسلامي الذي يتزعمه عمار الحكيم حول موضوع بقاء نوري المالكي رئيسا للحكومة وعن مدى تأثيرات طهران على مواقف المجلس في هذا الشأن، ففي حين أكد قيادي في المجلس، أن «الضغوط الإيرانية على المجلس كبيرة من أجل دعم بقاء المالكي»، نفى حميد معلة، المتحدث الرسمي باسم المجلس «وجود مثل هذه الضغوط والتأثرات».

وتفيد المعلومات التي حصلت عليها «الشرق الأوسط» بأن إيران تمارس اليوم ضغوطها بشدة على التحالف الوطني الشيعي من أجل دعم بقاء المالكي والتخفيف من شدة تصريحات بعض قيادييه، وخاصة

الصدر، المتحمسة لمطالب المتظاهرين السنة.

وقال القيادي في المجلس الأعلى، والذي فضل عدم نشر اسمه: «نعم هناك ضغوط، وضغوط قوية ليس على المجلس فحسب، بل على التحالف الوطني برمته من أجل بقاء المالكي وتأييد خطواته»، مشيرا إلى أن «هناك قيادات وكتلا داخل التحالف الشيعي تخضع لهذه التأثيرات، ومنها المجلس وإبراهيم الجعفري، بينما هناك قيادات وأشخاص لا يخضعون لهذا التأثير وأبرزهم السيد مقتدى الصدر الذي تعتقد إيران أنه خرج عن طوعها، بل هو لم يكن طوع تأثيراتها». وقال: «كانت هناك محاولة لأن تستضيف إيران السيد الصدر في مؤتمر الوحدة الإسلامية الذي عقد في طهران مؤخرا وشارك فيه الحكيم والجعفري، لكن الصدر بدلا من تلبية الدعوة بعث بمن يمثله من قيادات تياره وهناك محاولات جادة من قبل التحالف الوطني لإقناع زعيم التيار الصدري بعدم التغريد خارج السرب الشيعي».

وأضاف القيادي في المجلس الأعلى قائلا: «إن الضغوط الإيرانية هي عبارة عن ممارسة نفوذها القوي أو النفوذ الاقتصادي، كما أن هناك قيادات شيعية تعتقد أن إيران هي مرجعيتها السياسية، خاصة أن السيد عمار الحكيم حاول أن يتقرب، ولا يزال، من قادة الدول العربية السنية وعلى رأسها السعودية وقطر والكويت والأردن، وإن كانت علاقاته جيدة مع قيادات هذه الدول، لكنها ليست مؤثرة».

لكن المتحدث الرسمي باسم المجلس الأعلى نفى في حديث مماثل لـ«الشرق الأوسط» عبر الهاتف من قم التي كان يزورها «بهدف زيارة الإمام الرضا»، حسب توضيحه، أن يكون هناك أي «توجيهات إيرانية للحكيم بصدد دعم المالكي»، وقال: «موقفنا معلن بضرورة استجابة الحكومة لمطالب المتظاهرين المشروعة من دون تأخير أو تفكيك أو مماطلة». وحول مطلب المتظاهرين بإسقاط الحكومة قال معلة، إن «تغيير المالكي ليس خطا أحمر، ومن حق المتظاهرين أن يطلبوا تغيير الحكومة ورئيسها، لكن هذا المطلب لم يرد في ورقة مطالبهم، وهناك آليات لتغيير الحكومة ورئيسها تمر عبر البرلمان أو أن تسحب الكتل المعارضة للمالكي وزراءها من الحكومة».

من جهته، أكد أمير الكناني، عضو مجلس النواب عن التيار الصدري، أن «الموقف الإيراني الداعم للمالكي واضح، وتجسد في الضغوط التي مارستها إيران واستخباراتها على قياديين أكراد وعرب، ومنهم الرئيس جلال طالباني من أجل عدم سحب الثقة من رئيس الوزراء بعد مؤتمر أربيل العام الماضي»، منبها إلى أن «إيران وأميركا ما زالتا تدعمان بقاء المالكي، وطهران ترى أن الأمور يجب أن تبقى هكذا حتى الانتخابات القادمة بسبب المتغيرات الدولية والإقليمية، خاصة أنها تخضع للعقوبات ولشبه عزلة دولية، وكذلك تطور الأوضاع في سوريا ولبنان بما يشكل ضغوطا إضافية عليها، لهذا تفضل بقاء حكومة في العراق داعمة لها (إيران)».

وحول الضغوط الإيرانية على التحالف الوطني ومنها التيار الصدري من أجل دعم المالكي، قال الكناني: «الكل يعلم أن المجلس الأعلى قريب من الجمهورية الإسلامية ورأي طهران يحترم من قبلهم، وللمجلس رأيان، الأول معلن وهو غير مؤيد لإقالة المالكي والثاني مبطن وهو غير راض عن رئيس الوزراء». وكشف الكناني عن أن إيران «حاولت وجربت الضغط على السيد مقتدى الصدر إلا أنهم فشلوا، وبيانات وتصريحات قائد التيار واضحة من الحكومة ورئيسها، وكان آخرها قبل يومين، والذي استنكر محاولة السلطة التنفيذية بالسيطرة على القضاء، وذلك عندما قال المالكي إن المحكمة الاتحادية لن تمرر قرار البرلمان بتحديد ولايات رئيس الوزراء بدورتين»، مشيرا إلى أن «موقف السيد الصدر كان واضحا بدعم سحب الثقة عن المالكي أو استجوابه».

نفاق النخبة العلمانية تجاه حقوق المرأة

أسامة شحادة – الغد ٢٠١٣/٢/٨

أكتب هذا المقال من القاهرة ومن مدينة الإنتاج الإعلامي بالتحديد، حيث لمست مدى نفاق النخبة العلمانية في تبني حقوق المرأة وقضاياها، فهذه النخبة إعلاميين ومثقفين وسياسيين يعملون بكل قوة على تأجيج المشاعر العامة ضد قوات الشرطة ووزارة الداخلية بسبب جريمة سحل المواطن صابر حمادة وتعريته من قبل بعض أفراد الشرطة أمام قصر الاتحادية في الإضطرابات المتكررة هناك.

ولكن العجيب أن هذه النخبة التي تؤجج هذه المشاعر العامة ضد السلطة السياسية خاصة ضد جماعة الإخوان المسلمين والرئيس محمد مرسي

المنتسب لها، لكنهم في نفس الوقت يتجاهلون جريمة أشد بشاعة وفظاعة وحجماً وتكراراً لكنها لا تخدم أجندتهم السياسية الإنتهازية، وهي جريمة التحرش والإغتصاب الجماعي والمنظم والمتكررة من قبل متظاهرين في ميادين التحرير باستخدام الأسلحة البيضاء ومن أعداد كبيرة وبشكل علنى أمام الناس، والتي بلغت بحسب بيان المجلس القومي للمرأة أكثر من ٢٠ حالة في يومي ٢٥- ٢٠١٣/١/٢٦، وكانت الجريمة مقصودة ومتعمدة حتى أنها طالت إمرأة في الستين من عمرها !!

وهذه الجريمة البشعة لم تهتم النخبة العلمانية بكل أطيافها ومواقعها من التنديد بها والبحث عن المجرمين المتورطين بها ولا اهتمت إدانة القائمين بها وتحديد هويتهم برغم أنها تجرى بالترافق مع مظاهراتهم وفعالياتهم التي يدعون لها في ميدان التحرير !!

ولعل من أوقح ما صدر عن هذه النخبة العلمانية المنافقة والمتجارة بحقوق المرأة أن جبهة الإنقاذ المعارضة للرئيس د.محمد مرسي أصدرت بيان حملت الرئيس مرسى ووزير داخليته المسئولية السياسية والجنائية عن الإخفاق فى حماية هؤلاء المغتصبات من اعتداءات مليشيات العنف والبلطجة، وقال بيان الجبهة إن هذه الاعتداءات تأتي «بهدف قهر ارادة المرأة وإخماد صوتها (صوت الثورة) وانتهاك كرامتها وحقها فى التظاهر السلمى والتعبير عن الرأى» !!

وهذا البيان نموذج صارخ للنفاق السياسي الذي تمارسه هذه النخبة العلمانية، فهؤلاء الضحايا تعرضن للاغتصاب في فعالياتكم ومن قبل جيرانكم/ شركائكم في الاعتصامات والتظاهرات، وتم هذا تحت بصركم وسمعكم ولم تتدخلوا لمنعه وإيقافه وفضح المجرمين المتورطين به، وقد كانت «قوة العمل ضد التحرش» وهي مجموعات تطوعية تهدف للتصدي للتحرش قد أدانت في بيانها بخصوص هذه الجرائم المروعة قد أدانت موقف القوى الثورية والأحزاب والحركات الداعية للمسيرات والفعاليات السياسية، واتهمتها بأنها لم تؤد واجبها وتتحمل مسؤوليتها في تأمين الميدان ومحاولة حماية المشاركات في الثورة من مثل هذه الاعتداءات المتكررة.

ويتجلى هذا النفاق الإنتهازي بخصوص حقوق المرأة بين المقارنة للمواقف الباهتة لإدانة هذه الجريمة بحق اكثر من ٢٠ من النساء بالموقف من جريمة سحل رجل وتعرية رجل واحد، ولكن الفارق بين الجريمتين أن المتورط بالجريمة الأكبر هو شركاء وجيران النخبة العلمانية بينما الجريمة الأقل تورط بها أفراد من قوات الشرطة، ولهذا نجد أن هذه النخبة العلمانية المنافقة شنت حملة إعلامية شعواء إبان حكم المجلس العسكري قبل نحو عام ضد قوات الشرطة أيضاً بسبب جريمة قيام أفراد من قوات الشرطة بسحل وتعرية فتاة في احدى مظاهرات ميدان التحرير، وكذلك موقفهم الصاخب تعرض بعض المعتصمات لكشف إجباري على عذريتهن من جانب الشرطة العسكرية.

ولذلك نجد برنامج «الحياة اليوم»- على قناة الحياة الفضائية- والذي أشعل الشارع المصري بتكرار عرض جريمة سحل صابر، لم يهتم بتبنى قضية ضحايا التحرش والإغتصاب الذي تعرضت له ٢٠ من النساء في ميدان التحرير من قبل البلطجية المتظاهرين هناك، وبدلاً من ذلك قام بعرض مشهد جر فتاة من شعرها كانت في سيارة أمن مركزي على يد أحد قوات الأمن !! وهذا كله لأنه يصب في الجندة المغرضة للنخبة العلمانية التي رسبت وسقطت في الانتخابات المتعددة البرلمانية والرئاسية واستفتاء الدستور فتريد إسقاط العملية السياسية من خلال إلهاب الشارع بدلاً من الإستعداد للجولة الجديدة من الانتخابات البرلمانية، بتحريض الناس على الرئيس وتحميله كل جرائم وزارة الداخلية والتي لا تزال الدولة العميقة تتحكم بها، ولذلك لا يزال شرفاء الشرطة منبوذون منها، كما أن مرسي للآن لم يتمكن من تثبيت حق ضباط الشرطة بحرية تربية اللحية على غرار كثير من الدول في العالم.

وقد انتقد هذا النفاق الإنتهازي من النخبة الإعلامية العلمانية الكاتب الصحفي وائل قنديل في مقاله بجريدة «الشروق»، وقد نقل عن مديرة مركز النديم لتأهيل ضحايا العنف، أن عمليات الاغتصاب تتم بطريقة ممنهجة.

وهذا النفاق الإنتهازي يكشف حقيقة مزاعم هذه النخبة من أن الدستور الجديد الذي أقر لا يضمن حقوق المرأة، بينما الواقع يقول أن المرأة لا كرامة لها ولا حقوق في مظاهرات وفعاليات هذه النخبة العلمانية، حيث يندر أن تخلوا فعالية لهم من حالات تحرش بالفتيات والنساء، بينما تغيب هذه الجريمة عن الفعاليات التي تدعوا لها الأحزاب والتجمعات الإسلامية.

والعجيب أن حملة لواء حقوق المرأة خرسوا هذه المرة ليس في مصر فقط بل في المنطقة العربية كلها، فلو قارنا المقالات والتحليلات والمدخلات التي قامت بها كتيبة النفاق العلماني بخصوص الاعتداء الطالباني على احدى الفتيات قبل عدة أشهر لعرفنا حجم الإنتهازية المقيتة التي تتبناها هذه الكتيبة المنافقة، أو تعليقاتهم واستنكارهم لحادثة التحرش والاغتصاب الجماعي التي تعرضت لها فتاة هندية مؤخراً.

ورغم أن هذه الكتيبة المنافقة تشغل الرأي العام بقضايا التحرش وجرائم الشرف وختان النساء وزواج الفتيات ومؤخراً أثاروا الزواج من اللاجئات السوريات، فإنهم يتجاهلون الجرائم الحقيقية التي عانت منها النساء على يد حلفائهم.

فالاغتصاب المنظم من بلطجية التظاهرات العلمانية في مصر لا تستدعي التدخل والإعتراض، وكذلك الإغتصاب الممنهج من قبل شبيحة النظام السوري، وأيضاً اغتصاب السجينات العراقيات من قبل قوات وميلشيات الحكم الطائفي بالعراق بقيادة رئيس الوزراء نوري المالكي، او ما تتعرض له المسلمات في بورما من قبل الميلشيات البوذية والشيوعية هناك، كل هذا يلفت نظر هذه الكتيبة العلمانية المنافقة، وهذا الموقف المنافق والانتهازي يتماهي مع الجريمة البشعة التي تمت تحت سمع العالم وبصره ولم يقتص من الجناة فيها ولم يبحث عن حق الضحايا المسكينات ألا وهي جريمة اغتصاب عشرات الآلاف من البوسنيات المسلمات على يد القوات الصربية المجرمة، فتباً لهذه النخبة العلمانية في الداخل والخارج المنافقة والمتاجرة بحقوق النساء لمصالحهم وأهوائهم.

تقطيع أوصال أهل السنّة، بعد المسيحيين، في لبنان

خير الله خير الله – إيلاف ٢٠١٣/١/٢٧

متى وضعنا جانبا اللف والدوران والاستعراضات المضحكة- المبكية، نجد أنّ هناك ازمة بين لبنان ودول الخليج العربي. الازمة عائدة اساسا الى وجود حكومة «حزب اللّه» برئاسة شخصية سنّية تغطي الممارسات الايرانية في لبنان.

تصبّ هذه الممارسات في تحويل الوطن الصغير مستعمرة ايرانية وذلك بغض النظر عن مصير النظام السوري. هذا النظام الساقط عمليا، خصوصا بعد فقدان سيطرته على معظم الاراضي السورية، بما في ذلك احياء في دمشق نفسها.

ليس مهمّا استقبال مسؤول سعودي كبير في مستوى وليّ العهد الامير سلمان بن عبدالعزيز رئيس مجلس الوزراء اللبناني نجيب ميقاتي والوفد المرافق له الذي شارك في القمة العربية الاقتصادية التي انعقدت اخيرا في الرياض.

مثل هذا الاستقبال طبيعي وعادي، نظرا الى ان المسؤولين السعوديين الكبار يلتقون في العادة، من باب المجاملة، كل رؤساء الوفود الذين يشاركون في المؤتمرات التي تستضيفها المملكة، فكيف عندما يتعلّق الامر بقمة عربية. المسؤولون السعوديون الكبار، خصوصا ابناء العائلة الحاكمة، معروفون بتهذيبهم الشديد واللياقة وحرصهم على تفاصيل البروتوكول المعتمد وحسن الضيافة. لذلك يتوجّب وضع اللقاء في اطاره الحقيقي لا اكثر.

قبل اللقاء وبعده، وهو لقاء ذو طابع بروتوكولي حضره جميع اعضاء الوفد، لم يكن هناك مجال لمناقشة اي امور لها علاقة بالاساس. والاساس هو عملية ربط لبنان بايران عن طريق ميليشيا مسلحة، ذات عناصر لبنانية، تشكل جزءا لا يتجزّأ من «الحرس الثوري الايراني». يترافق ذلك مع سعي دؤوب الى عزل لبنان عن محيطه العربي.

ما يؤكد ذلك حضور وزير الخارجية اللبنانية اللقاء وظهوره في الصور. هل يمكن مناقشة مسائل جدية ذات علاقة بالمستقبل العربي بين لبنان وأيّ دولة عربية خليجية في حضور وزير الخارجية المعروف بارتباطه العضوي بالمحور الايراني- السوري؟

بالطبع، أن ذلك من رابع المستحيلات، مثلما أنّ من رابع المستحيلات ان لا تكون هذه الدولة العربية الخليجية او تلك على معرفة دقيقة بما يدور في لبنان والمحاولات التي يبذلها «حزب اللّه» الايراني من اجل وضع اليد على البلد كلّه. يفعل ذلك عن طريق تقطيع اوصال الطوائف اللبنانية واحدة واحدة وتقليبها على بعضها بعضا مع احتفاظ بسيطرته الكاملة على الطائفة الشيعية الكريمة التي لا تزال فيها عناصر واعية تقاوم الهيمنة الايرانية ونظرية ولاية الفقيه.

هناك محاولات واضحة لالهاء اللبنانيين عن الموضوع الاساسي المرتبط بالجهود التي يبذلها «حزب

اللّه» لتنفيذ المشروع الايراني الذي يشمل بين ما يشمل قطع علاقة لبنان بعرب الخليج.

ليس مهما ان يزور رئيس مجلس الوزراء السنّي هذا البلد العربي او الاوروبي او ذاك. المهم ان تسفر زيارته عن طمأنة لاهل الخليج كي يعودوا الى لبنان ويستثمرون فيه. فالقطيعة الخليجية للبنان التي تسبب بها «حزب اللّه» ذات اهداف واضحة ومحددة. على رأس هذه الاهداف نشر البؤس في لبنان وتعطيل الحركة الاقتصادية والسياحية فيه. يحصل ذلك عن طريق الحكومة الحالية التي ترفض الاعتراف بما يتعرض الوطن الصغير من جهة وتؤمن الغطاء لما تقوم به ايران على نحو مكشوف من جهة اخرى.

لقد قطع المشروع الايراني شوطا كبيرا الى الآن، خصوصا بعدما أمّن غطاء سنّيا لحكومته التي كان الهدف من تشكيلها اذلال اهل السنّة والمسيحيين بعد النجاح في ضبط الطائفة الدرزية، التي باتت تشعر بأنها مهددة، عن طريق تدجين زعيمها وليد جنبلاط.

حقّق المشروع الايراني اختراقا مهما على الصعيد المسيحي عندما حوّل النائب ميشال عون مجرّد تابع لـ«حزب اللّه». صار في استطاعة ميشال عون اثارة الغرائز المسيحية كي يتسنى له نصب افخاخ للمسيحيين الآخرين الذين رفضوا السير في ركابه والدخول في مشروع حلف الاقليات. هذا الحلف الذي يدعمه المحور الايراني- السوري والذي لا يصبّ في نهاية المطاف الاّ في خدمة المشروع الاسرائيلي الذي يحظى بدعم «المقاومة» و «الممانعة».

بدل التلهي بمَن استقبل مَن في هذه الدولة العربية او الاوروبية او تلك، فانّ افضل ما يستطيع رئيس مجلس الوزراء اللبناني عمله، بغض النظر عن اسمه وارتباطاته، هو الوقوف في وجه المحاولات التي تستهدف طائفته وتماسكها وصمودها، أقلّه الى الآن، في وجه المشروع الايراني.

لعلّ اوّل ما يفترض برئيس مجلس الوزراء اللبناني استيعابه أنّ لا هدف ايرانيا هذه الايّام سوى تقطيع اوصال اهل السنّة على غرار ما حصل مع المسيحيين عن طريق ميشال عون. هل هو على استعداد لأن يكون ميشال عون آخر؟

بالمختصر المفيد، لا هدف من النسبية التي يصرّ عليها «حزب اللّه» اساساً لاي قانون انتخابي جديد سوى ضرب السنّة من داخل بعد ضرب المسيحيين وتدجين الدروز.

يبدو مطلوبا أن تكون هناك طائفة وحيدة مسلّحة في لبنان قادرة على ضبط كل الاراضي اللبنانية. هذا الهدف يتحقق عن طريق السلاح الموجه الى صدور اللبنانيين العزل، بمن في ذلك الشيعة، والمال الايراني «النظيف» وشراء الاراضي التي يمتلكها المسيحيون والدروز بهدف ربط اجزاء دويلة «حزب اللّه» ببعضها بعضا على حساب مؤسسات الدولة اللبنانية.

كلّ كلام آخر عن ترحيب برئيس مجلس الوزراء اللبناني في هذه الدولة الخليجية او تلك او في أيّ دولة اوروبية ذات وزن مجرد بيع للاوهام وضحك على ذقون اللبنايين. يظل السؤال الذي لا مفرّ من طرحه. هل ساهمت هذه الصورة او تلك في عودة خليجي واحد الى لبنان؟ هل في استطاعة الحكومة، او على الاصح هل تريد الحكومة، عمل شيء من اجل مدّ الجسور مع الخليجيين؟ الجواب أن ذلك مستحيل وممكن في آن. نعم ممكن، في حال اقتناع رئيس مجلس الوزراء بأنّه يُستخدم في تأمين غطاء سنّي للمشروع الايراني. ولذلك ليس امامه سوى الاستقالة. ولكن هل يمتلك حرية الاستقالة؟

لماذا إيران وشيعتها خطر؟

سعد عبد المجيد - المصريون ٢٠١٣/٢/١١

فجرت مشاركة الرئيس الإيرانى أحمدشى نجاد فى أعمال قمة رؤساء وملوك دولة منظمة التعاون الإسلامى الأخيرة بالقاهرة، موجة من النقد والنقد المتبادل.. تساؤلات كثيرة طرحت بسبب هذه الزيارة، وبصفة خاصة زيارته للأزهر، هل إيران خطر وما هو الفرق بينها وبين البلاد الأخرى؟ وهل ستظل العلاقات مجمدة معها رغم رحيل المخلوع عن حكم مصر ؟ وما مصلحة مصر فى دوام تجميد هذه العلاقة؟ أليست إيران تساعد الفلسطينيين وتقطع علاقاتها مع دولة الاحتلال الصهيونى؟

فى مقالتى اليوم، لا أريد التعرض للزيارة فى حد ذاتها، هل هى مسئولية الدولة المصرية من عدمه، لأن إيران عضو بالمنظمة ومن ثم، يحق لرئيسها المشاركة.

لكن، ما يعنينى فى مقالتى هذه هو مسعى عودة العلاقات الطبيعية مع إيران، أسوة بوجود علاقات لمصر الرسمية مع أمريكا وإسرائيل والصين الشيوعية، ومن ثم

لا مانع فى وجود علاقات دبلوماسية (فقط) مع طهران، غير أن فتح الطريق للشيعة الصفوية لدخول مصر - لاحظوا علامة النصر التى أشار إليها نجاد فى مؤتمراته بالقاهرة- تساويًا مع السياح الأمريكيين والصينيين والهندوس والتاميل وغيرهم من أجناس الأرض، يمثل خطورة كبيرة جدًا على الأمن القومى المصرى، ذلك أن الأجناس المختلفة التى تزور مصر للسياحة، باستثناء اليهود الصهاينة، لا يعنيها لا من قريب ولا بعيد، مساجد آل البيت النبوى الموجودة بمصر، لكن هذه المساجد وأضرحتها، بل وميّل وحب المصريين لآل البيت النبوى الشريف، هى محط وهدف رئيسى عند زيارة الإيرانيين لمصر، فأحمدى نجاد مثلًا، لم يذهب للأهرامات، وإنما لمسجد الإمام الحسين.

البعض يظن، بحسن نيّة وقلب طيب، أن إيران بسيّاحها، ممكن أن توفر لمصر حصيلة من العملات الصعبة التى تعانى منها البلاد بشدة فى الظروف الحالية، وهذا صحيح من الناحية النظرية والعملية، لكن هؤلاء السيّاح سيأتون لمصرنا أيضًا، حاملين معهم، البلاء والفتنة، لأن سيّاح إيران، لن يكونوا من سُّنة إيران، بل من شيعتها، وإيران لا تزال تدور فى فلك توجهات عصر الدولة الصفوية - دخلت فى حرب دموية مع الدولة العثمانية السنيّة فى القرن الـ ١٦ م- التى غيّرت فى زمانها مفردات الآذان المحمدى، ووضعت فيه الكلمات الإضافية التى يعرفها الجميع، ضاربة بعرض الحائط ختم وتصديق رسول الله على كلمات الآذان، فهل دولة وحركتها السياسية الملتحفة بالدين، غيّرت الآذان المصدق عليه من رسول الله - ﷺ- وتلعن الصحابة والخلفاء الراشدين، وتطعن فى شرف عائشة أم المؤمنين (رضى الله عنها)، ليل نهار، يمكن أن يكون لها أمان.

البعض، لا يصدق أن إيران وحركتها السياسية المتشيعة، ستلحق بنا الضرر، ويقول: لماذا لا نعاملها دبلوماسيًا وسياحيًا، كما نعامل دولة الاحتلال الصهيونى؟ والبعض، لا يزال يفترض حسن النيّة فى شيعة إيران، وأنهم ممكن أن يكونوا أخوة لنا - كما ادعى أحمدى نجاد فى زيارته للأزهر - وبهذه المناسبة، أود أن أسوق واقعة حقيقية ،عشتها بنفسى قبل سنتين تقريبًا مع رئيس فرقة الشيعة الجعفرية بإسطنبول.

جلست أتحاور مع صلاح الدين اق جوندوز - رئيس الجعافرة بتركيا - ، وكان معنا إمام مسجد الجعفرية بحى خلقالى بغرب إسطنبول، دار الحديث عن الأخوة والوحدة والترابط بين المسلمين لمواجهة مخاطر الصهيونية واحتلالها للمسجد الأقصى، والتوقف عن الفرقة والتشتت، وخلال الحديث، شدد أق جوندوز على رفض لعن الصحابة والطعن فى شرف أم المؤمنين، عائشة زوج رسول الله، كما شدّد على إكرامنا بطعام العشاء، شكرناهم على حسن القبول وعلى موقفهم من الأخوة والوحدة ورفض اللعن والتجريح والسبّ، ثم، جاء آذان المغرب، ذهب الإمام ورئيس الطائفة لمسجدهما- الوحيد بالمنطقة- لأداء الصلاة، بينما توجهت أنا للطهارة والوضوء، ثم لحقت بالصلاة فى نفس المسجد، ووقفت فى الصف الأخير مؤديًا الصلاة على مذهب أهل السنة والجماعة، وبمجرد انتهاء الصلاة، دار الإمام متوجهًا ناحية المصلين، ثم بدأ فى اللعن، تعجبت حائرًا، فلم يمض سوى دقائق على حديثنا حول كراهية وجريمة اللعن والسبّ والتجريح فى الصحابة الكرام، ثم زاد تعجبى حين وجدت صلاح الدين أق جوندوز- رئيس الجعافرة- يرفع يده مشاركًا فى اللعن، متخذًا مكانه فى الصفوف الأمامية الجانبية.

قلت لنفسى، يبدو أنهما لم يدركا أنى فى الصلاة، انسحبت خارجًا من المسجد، متوجهًا لمركز ثقافى يقع أسفل بناية الطائفة بغرض أخذ فكرة عن مشروع المركز الثقافى الدينى الجديد للجعفرية الذى تبنيه إيران وشيعة الخليج، جلست مع ابن صلاح الدين أق جوندوز، الذى يدير هذا المركز، أثناء شرب الشاى، كان يتحدث هذا الشاب عن الأخوة والوحدة الإسلامية ورفضه لتصرفات الطائفة الشيعية العلوية بتركيا وسعى الجعفرية لإقناعها بالتراجع عن أفكارها المنحرفة، قلت له: هل كنت مشاركًا فى صلاة المغرب بمسجدكم قبل قليل؟ رد قائلًا: نعم.

انتهت الواقعة والتعليق متروك للسادة القرّاء، ولمن يعتقد بوجود عهد وأمان لدى إيران ولدى الشيعة.